

وقفات مع ثمرات الجهاد

بين الجهل في الشرع
والجهل بالواقع

للشيخ

أبي محمد، عاصم المقدسي

منبر التوحيد والجهاد

* * *

<http://www.tawhed.ws>

<http://www.almaqdese.net>

<http://www.alsunnah.info>

<http://www.abu-qatada.com>

<http://www.mtj.tw>

إهداء إلى كل داعية ومجاهد بين يدي النفير

أبو محمد المقدسي
سجن قفقيا
الجمعة الأول من ربيع الثاني 1425هـ

كلمة بين يدي الوقفات

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه خلجات قلم وشجون سجون خططتها حرصاً على
إخواني ونصحا للدعوة والدعاة والجهاد والمجاهدين ..

وأنصح كل داعية ومجاهد قراءتها وتدبرها وتأملها
والاستفادة من التجارب والأمثلة التي أودعتها فيها ..

وعدم تشتيت هذه الاستفادة وإضعاف ثمرتها أو تضييعها
في البحث عمّن يقصد الشيخ والتفكير بل عله يقصد فلاناً
أو علاناً .. فالأمر أكبر من الأشخاص ..

والخطب أعظم من هذا التحجيم .. ونحن بحاجة لعقول
ترتفع عن هذه السطحية في تناول الأشياء ، ولا تحجر أو
تحصر الأمور في أشخاص معينين أو مسميات .. فالدين
اليوم يحارب حرباً شعواء ، والجهاد يكاد له كيداً عظيماً
على كافة الأصعدة وبشتى الوسائل والأساليب
والمؤامرات ، ولا بد من وقفات مراجعة للمسيرة ، ولفئات
تسديد وتوجيه لكل غيور على هذا الدين ؛ كي نرتقي
بتفكيرنا وفهمنا ودعوتنا وعملنا وجهادنا إلى مستوى
التحديات ..

وما هذه الورقات إلا محاولة مني في هذا الاتجاه ، أسأل
الله تعالى أن يتقبلها مني وأن ينفعني وإخواني بها وأن
يجعلها خالصة لوجهه الكريم ..

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين

الوقفة الأولى

سوء فهم لحديث الصَّعب بن جَنامة

عندما كتبت في شرعية العمليات الجهادية التي ينغمس فيها بعض المجاهدين في الكفار ويفجرون أنفسهم ليثخنوا في الكفار أصرت على ضبطها بضوابط وعدم جعلها كسائر الوسائل القتالية التقليدية المشروعة على إطلاقها ، فالتزمت ما التزمه علماؤنا المحققون من ضوابط حين جؤزوا قتل ترس أسارى المسلمين إذا تترس بهم الكفار وكان في ترك قتل المترس مفسدة أعظم من قتله بأن تكون المصلحة ضرورية قطعية ، وقد راجعني بعض طلبة العلم في هذه التقييدات والضوابط ومازلت مُصِرّاً عليها خصوصاً وأنا أسمع وأرى من يفجر نفسه لقتل كافر واحد أو كافرين يمكن قتلها بالمسدس أو البندقية وكثرنا مراراً أن مشروعاتها تظهر في حال عجز المجاهد عن الجهاد بدونها بحيث يكون في ترك هذه الوسيلة تعطيل للجهاد وعلوٌ لدين الكفر والكفار ، ويُصِرُّ مخالفونا على أنها وسيلة كسائر وسائل القتال ولو لغير ضرورة ولولم يكن من ورائها إثمٌ أو مصلحة عظيمة ...

وهذا التقييد منا والتشديد باعته تعظيم حُرمة دم المسلم والحرص على تحقيق مقاصد الجهاد كما يحبها ربنا ويرضى ..

وإذا كان هذا التشديد في قتل المسلم نفسه في هذه الصورة فكيف في تسيبه في قتل غيره من المسلمين بسبب الفوضى التي عَمَّتْ بعض ساحات القتال وعدم التزام المقاتلين فيها بضوابط الشرع وحدود الله ...

فقد أصبح كثير من الشباب مُغرماً بعمليات التفجير للضرورة أو غير ضرورة وكان الجهاد لا يصلح إلا بالمتفجرات ... !!

أو كأن هؤلاء الشباب لا يُحسنون غيرها ...

وكانهم لما تدرّبوا عليها صار لزاماً أن لا يجاهدوا إلا بها ..

حتى صار أعداؤنا يشمّون رائحة هؤلاء الشباب ويقرّرون في تحقيقاتهم الأولية أنهم وراء مثل هذه الأعمال بمجرد كون العمل تفجيراً لغير ضرورة ، أو بمعرفة نوع المتفجرات التي لا يُحسن بعض هؤلاء الشباب غيرها

ربما لأنهم يسمعون ويشاهدون بعض العمليات المتقنة التي يُنفذها المجاهدون المتمرسون في الشيشان أو القاعدة ونحوهم من ذوي الخبرة فيسعون إلى محاكاتهم وتقليدهم دون أن يمتلكوا خبراتهم وتمرسهم فيحصدون بذلك فشلاً ذريعاً وأخطاءً تُحزن الموحدين وتقرّ أعين المشركين ، ولا يُعفي أولئك الشباب من المساءلة والملامة والانتقاد كون ذلك الشارع أو السوق أو الميدان الذي أوقفت أو وضعت فيه سياراتهم المفخخة أو عبواتهم الناسفة قبالة سفارة عدو أو أمام بيته مادام يُنال مثل هذا العدو بالطرق التقليدية دونما تفجير ومادام هؤلاء الشباب لا يُعمّمون التكفير على جماهير المسلمين في ديارنا كما يفعله الغلاة ...

فأي شرع أو عقل يُبيح مثل هذه الأعمال .. وهل حقاً هي من الجهاد الذي يرضي ربنا؟؟

فكم سمعنا بعمليات ذهب ضحيتها جمع من الأبرياء المسلمين وربما لم يذهب فيها عدو واحد لله ، وما ذلك إلا للإصرار على تنفيذها بواسطة المتفجرات وكان يمكن أن تحسم بطلقات معدودات ، وعندما تتوجّه باللوم إلى أولئك الشباب أو نُعاتبهم ونناصحهم أو ننكر عليهم وندعوهم إلى أن يتقوا الله في المسلمين وفي الجهادِ وسُمعته ونذكرهم بحرمة دم المسلم ولو كان عاصياً فأجراً يبادرون فوراً بالاستدلال بحديث الصَّعب بن جثامة وأن فعلهم إنما هو من جنس تبييت الكفار ...

وإذا كان الأمر كذلك فتعالوا بنا فلننظر في حديث الصَّعب بن جثامة وفي دلالاته وفِقهه وكلام العلماء فيه ...

روى البخاري ومسلم من حديث الصَّعب بن جثامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن أهل الدار يبيتون من المشركين فيصاب من نسائهم وذرائعهم ؟ قال : " هم منهم " وسمعته يقول : " لا جُمى إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم " ففي هذا الحديث جواز الإغارة على الكفار والمشركين ليلاً ولو ترتب على ذلك

أن يقتل معهم بعض نسائهم وذرائعهم الذين نهينا عن
تقصّد قتلهم ...

ففي الحديث رفع الحَرَج عن قتلهم من غير تقصّد في
مثل هذه الحالات التي يعسر على المجاهدين فيها تجنب
غير المقاتلين ، وأدخل في ذلك العلماء الرّمي بالمنجنيق
... (الذي من جنسه اليوم المتفجرات) على حصون
الكفار فإن التحرز فيه عن غير المقاتلين مستحيل

فجاء هؤلاء الشباب فاستدلوا بهذا الحديث على تجويز
عمليات التفجير في شوارع المسلمين وأسواقهم مع أن
قوله صلى الله عليه وسلم " هم منهم لآحمى إلا لله
ولرسوله " دليل عليهم لا لهم إذ فيه دلالة على عصمة
المسلم وأن له حمى لا يجوز تعدي حدودها .. وأن الذين
لآحمى لهم إنما هم المشركون وذرائعهم لآالمسلمين
وذرائعهم ، أضف إلى ذلك أن نفي الحمى عن ذراري
المشركين ونسائهم في هذا الحديث إنما هو في حالة
البيات التي لا يقدر المجاهدون فيها على التحرز منهم
وليس على إطلاقها للأدلة الأخرى التي نهت عن تقصّد
قتل نسائهم وأولادهم

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : ((هم منهم)) "
المراد إذا لم يمكن الوصول إلى الأبناء إلا بوطء الذرية
فإذا أصيبوا لآختلاطهم بهم جاز " أه

وقال النووي في شرح مسلم ((ومعنى البيات)) " أن
يُغار عليهم بالليل بحيث لا يعرف الرجل من المرأة من
الصبي " أه

تأمل كيف أن هذا التحرز وإلحياط هو في نساء
وذرائع المشركين ... فمن باب أولى وأحرى أن يكون
في المسلمين إذا خالطوا الكفار ...

فكيف إذا لم يكن الهدف بيوتاً أو تجمعات سكنية
مخصّصة للكفار أو مواقع عسكرية لهم ... بل صارت
الأهداف شوارع المسلمين وأسواقهم وجافلاتهم وأماكن
تجمعاتهم ؟ بدعوى أن في ذلك الشارع أو السوق سفارة
للعدو أو بيتاً لضابط ثم تكون نتائج هذه الأعمال عشرات
الأبرياء من الرّجال والنساء والولدان المسلمين ... ولا
ينالون من عدوّ نيلاً ... ثم يستدلون بحديث الصّعب بن

حُثامة وينصب النبي صلى الله عليه وسلم المنجنيق على
الطائف ...

يا إخواننا اتقوا الله في المسلمين واتقوا الله في
الجهاد ، نستوعب جيداً ونتفهم استدلال المجاهدين بأمثال
ذلك حين يغيرون على المواقع العسكرية أو المجمعات
السكنية المخصصة للمشركين ولو تواجد فيها بعض
المنتسبين للإسلام .. فهذه ليست أماكن للمسلمين ولا
بعضها من هجمات المجاهدين وجود بعض من يتولى
المشركين وبظاهريهم أو يكبر سوادهم ممن يدعي
الإسلام .. وبدل على ذلك أيضاً حديث الجيش الذي يغزو
الكعبة فيخسف الله بأولهم وآخرهم وفيهم من ليس منهم
فيهلكون مهلكاً واحداً لا يميز الله في مهلكهم في الدنيا
ويبعثون يوم القيامة على نياتهم ، فما دام هذا الجيش
واضح الزاوية والوجهة وكونها شركية تريد غزو الكعبة أو
الدين وأهله ، فكيف يعصم أو يمنع من قتاله سير بعض
المنتسبين للإسلام في ركابه أو تكثيرهم لسواده فضلاً
عن توليه ومظاهرتة ؟؟ فلنكن واضحين فهذا أمر آخر لا
ننكره ولا يتكلم فيه بل ندفع عن المجاهدين فيه ..
ونزيدهم أدلة إلى أدلتهم في تجويزه ، وإنما الذي ننكره
أن يعكس البعض الأمر فتصير أماكن مرور المسلمين
وتجمعاتهم ووسائل نقلهم وشوارعهم التي تكتظ بنسائهم
ورجالهم وذرائعهم أهدافاً لعمليات تفجير عمياء بدعوى أن
بالقرب دكاناً لكافر أو سيارة لمشرك أو سفارة لعدو ..
يطال تفجيرهم عشرات المسلمين ويحصد النساء
والأطفال والأبرياء ولا ينالون من العدو الذي كان يمكن
أن ينالوه بغير التفجير نيلاً ...

يا إخواننا نذكركم بحديث المصطفى صلى الله عليه
وسلم : ((ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برها
وقاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى بذي عهدها
فليس مني)) وفي رواية "ولست منه" رواه مسلم ...
عن أبي هريرة ، ماذا يستفيد المجاهد من جهاده إذا دخل
في وعيد هذا الحديث وشملت براءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم منه ومن جهاده ... الكفة اللثة في
المسلمين وفي حرمتهم ودمائهم ... الله الله في الجهاد
وثمراته ..

ألم تعلموا أن من حَفَرَ بئراً في طريق المسلمين
وشوارعهم فتلف بها مسلم فإنه تجب عليه الكفارة
والدية على عاقلته ويلتحق بالبئر كل حفرة أو سبب من

أسباب الإتلاف .. نص على ذلك جمعٌ من الفقهاء عند شرحهم لحديث " العجماء جرحها جبار والبيئر جبار ... " رواه البخاري وغيره وبيّنوا أنّ البيئر التي لا دية ولا كفارة على صاحبها هي تلك التي يحفرها في أرضه أو في أرض موات أو في بادية بعيدة عن طريق المسلمين ..

وقال الشافعي : (واضع الحَجَر في أرض لا يملكها ضامن) .

بل نصّوا على أن من يزجّم دابة في طريق المسلمين فيغيّر طريقها فتدوس إنساناً فإنه يضمنه ...

وبعضهم نصّ على أنه لو أهمل صيانة جدار بيته فسقط على مسلم فقتله فإنه يضمنه وكذا من أخرج عن حدّ بيته شيئاً كخشية أو نحوها فأصاب إنساناً فهو ضامن ، بل إن بعضهم ضمّن من توضع فصب الماء في طريق المسلمين فمر مسلم فزلق به ..

إنها دماء المسلمين ... والمسألة ليست لعب ... يجب أن تعلموا يا إخواننا أن دم المسلم غال وحرمة عظيمة ، واستباحة دماء المسلمين خطر عظيم وترك قتل ألف كافر - كما نص علماءنا - أهون من سفك محجمةٍ من دم مسلم عمداً ..

ولقد نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمة في البلد الحرام في الشهر الحرام في يوم الحج الأكبر قائلاً ((إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب قرب مبلغ أوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)) رواه البخاري

وأختم هذا بقوله تعالى : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً) الفتح (25) ...

فهذه آيات نزلت تحزّزاً لدماء عددٍ قليل من المسلمين المستضعفين الذين يكتُمون إيمانهم بين ظهرائي المشركين في مكة قال تعالى (لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم)

أي يصيبكم إثم وغرامة ..

وهذا إذا وطؤوهم وتسببوا بقتلهم بغير علم ولم يعلموهم ؛ فكيف إذا كانوا يعلمون ويتيقنون بأن جمهور المارة في هذا الشارع أو جمهور المتواجدين في ذلك الميدان من المسلمين فيطؤوهم بعلم ؛ ألا يصيبهم بذلك معرّة وأي معرّة ؟...؟

قال : المفسرون في المعرّة

هي الإثم والغمّ والشدة ...

وقالوا : هي مفسدةٌ تحدّث المشركين بأنّ المسلمين يقتلون أهل دينهم ...

وقالوا : هي كفارة القتل الخطأ ..

الوقفه الثانية

أعط القوس باريها

تقدم في الوقفة الأولى أنّ من معاني قوله تعالى في آثار قتل المسلمين بغير علم (فتصيبكم منهم معرة) أي تحصل مفسدة تحدث المشركين أن المسلمين يقتلون أهل دينهم ، وتُغيرون بذلك ، وصح في أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاه بعض أصحابه إلى قتل بعض المنافقين أنه أبى ذلك وقال : " دعهم ، يتحدث الناس محمدٌ يقتل أصحابه " فهذه مفسدة رأى الشارع التحرز منها خصوصا في مراحل ما قبل الإثخان والتمكين الكامل في الأرض .. فيجب على المجاهدين مراعاتها باختيار الأهداف الأنقى والأنفع للجهاد وللإسلام والمسلمين والأنكى والأغيب لأعداء الدين ، والأبعد عن خلط الأوراق وتشوبه الجهاد وتشتيت دائرة الصراع ، وإن المتأمل في بعض العمليات التي ينفذها بعض من قصّر في أحد الفقهاء فقه الواقع وفقه الشرع أو فيهما معا ؛ ليرى أنهم لا يراعون هذه المفسدة في اختيار الأهداف أو توقيتها ولا يرفعون بذلك رأسا فلا ينظرون في الواقع نظرة فاحصة ولا يتابعون ما يدور حولهم في العالم ليكونوا على مستوى تحديات العصر ومكاييد الأعداء ويتعرفوا إلى الأنفع لدينهم والأفيد لإسلامهم وجهادهم فيتخيروه ...

فبينما الناس المسلمون وغيرهم يتابعون أخبار القاعدة والطالبان وهم يتصدّون لأعداء الإسلام من الصليبيين والعلمانيين والملاحدة ويشدّ أنظارهم صمود المجاهدين الشيشان وتحطيمهم لكبرياء الترسانة الروسية واستهتارهم بجيروتها بنقلهم للمعركة من أقاصي الشيشان إلى قلب موسكو ، ويشير إعجابهم تحدي الأطفال والشبان في فلسطين للذبابات اليهودية وأسلحتهم المدججة ويشاهدون بأم أعينهم كيف يفر اليهودي ببندقيته موليا الأدبار مخافة حصيات يقذفه بها غلام صغير ..

يخرج علينا بعض الناس ممن أظنهم يحسبون عقولهم في قواقع ولا يعايشون هذا الواقع ليطلقوا النار على المصلين في بعض مساجد السودان وآخرون يفجرون مسجدا للشيعة في قرية من قرى باكستان وبعضهم

مغرم بتفجير الحافلات المكتظة بعوام المسلمين من رجال ونساء وولدان في شوارع كراتشي و لاهور. وبينما يتطلع المسلمون إلى معالي الأمور وعظائمها ويسعى ذوي الهمة العالية من مجاهديهم إلى جهاد يمكن لأهل الإسلام في هذا الزمان ... أو إلى أهداف تكسر عظم أعدائهم المحاربين وترغم أنوفهم باستهداف مدمرات نووية أو مراكز استخباراتية وأعمدة السياسة أو أركان الحكم والاقتصاد في عقر ديار المشركين يخرج علينا بعض المتحمسين من الشباب بالإغارة على كنائس أو قتل سياح عجائز أو مندوبي هيئات إغاثة ونحو ذلك من سفاسف الأهداف التي لا يراعون فيها مصلحة الدعوة والجهاد والإسلام ولا يتخيرون الأنكى في كسر شوكة أعداء الله ، وإنما كان اختيارها فقط لكونها أهدافاً سهلة المنال ، ويقوم آخرون بتفجير صالات للسينما أو يخططون لتفجير منتزهات أو نواحي للرياضة ونحوها من الأماكن التي يقصدها فساق المسلمين فيحصدون بذلك عشرات منهم أو مئات ويعاقبونهم بالقتل وليس ذلك بعقوبة شرعية لمثل ذلك ... فيجمعون بين مخالفة الشرع والتخبط في الواقع .. ويستعدون بذلك عوام الناس الذين جمهورهم يتعاطف مع جهاد المسلمين في كل مكان ، فيخلطون الأوراق ويشتتون دائرة الصراع ... فبدلاً من التركيز على حرب الطواغيت وأعداء الدين في كل مكان تنقلب الحرب والحرب إلى جماهير الشعوب التي كان ينبغي أن توجه إليهم الدعوة ويسعى لإنقاذهم من براثن الطاغوت وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد

....

وبينما يتابع الناس أخبار المقاومة في العراق وكيف تحصد كل يوم من تحصده من الأمريكان وكيف تبت روح القتال والمقاومة في الجماهير المسلمة وتتسبب بالإحراج لبوش وإدارته وتحبط مخططاته وتطلعاته ..

يفاجئنا البعض بعمليات عجيبة وغريبة تحصد عشرات العراقيين هنا أو هناك بسيارات مفخخة توقف في شوارع بغداد أو بقذائف الهاون ترمى على السجون لتحصد عشرات العراقيين من المارة أو المسجونين ...

ويُجمع العقلاء بعد ذلك على أنهم بأعمالهم العشوائية هذه المتخبطة بين الجهل بالشرع والجهل بالواقع ينقدون الرئيس الصليبي بوش من ورطته التي ما فتئت تعيره بها وسائل الإعلام العالمية كل يوم ، فتتحول من الحديث عن

القتلى البريطانيين والأمريكان الذين تحصدهم المقاومة كل يوم ؛ إلى الحديث عن القتلى العراقيين على أيدي من تصفهم بالإرهابيين ، وينقلب جنود الإحتلال الأمريكي من جنود احتلال وعزاة إلى حُماة للشعب العراقي من الإرهابيين ويتحولون إلى مكافحين للإرهاب ... !!

وُستعدى الشعب العراقي فبدلاً من تعاطفه مع المجاهدين والمقاومين تراهم يلعنونهم ويسببونهم ويسعون لتسليمهم إلى الأمريكان ...

يا قومنا إن الفقه بالشرع والفقه بالواقع ومعرفة مكائد الأعداء والتبصّر بمكرهم يعين المجاهد على اختيار الهدف المناسب في المكان المناسب والتوقيت المناسب ...

وإذا أهمل المجاهد هذا ؛ أصابته المعرّة في جهاده وحصد المفاسد بدلاً من المصالح ، والفشل بدلاً من الفلاح وربما استثمر عمله واستفاد منه أعداء الدين ..

فكم من العمليات لسوء اختيارها وتوقيتها في ظرف من الظروف يُفقد منها طواعيت أو صناديد للكفر فتخرجهم من ورطات وتنتشلهم من إحراجات وتمنحهم التبريرات والمسوغات لمزيد من القمع والبطش والاستبداد دون أن تقدّم أدنى فائدة أو مصلحة للدين ...

بل إن بعض تلك الأعمال الساذجة قد تعين في نجاح انتخابي لطاغوت كان على وشك السقوط .. أو تلفت الأنظار عنه وتخرجه من أزمة أو نكسة كان متورطاً بها وربما حصد بعض ضباط المخابرات وجلاوزتهم ببركات أعمال سطحية متخبطة أو فاشلة كهذه الرتب والمكافآت والصلاحيات ؛ فيتسلقون إلى أمجادهم الطاغوتية على ظهور هؤلاء الشباب ، وفي المقابل يحصد المسلمون منها حزناً وإحباطاً بتكرار التخبّط واجترار الفشل والأخطاء نفسها ..

ولذلك عُرفت عني عبارة أكررها على مسامع كثير من المتحمسين :

(إما أن تشتغلوا صحّ ، أو فلا تشتغلوا والزموا الدعوة فكفاناً فقد شعبنا تخيماً) !!

يا باري القوسِ برياً لست تحسُّهُ
القوسِ باريها لا تفسدنها وأعطِ

فهل يتنبه المجاهدون لمثل هذا

وهل يتصَّرون بشرع ربهم وبواقع أمتهم ليكونوا
بالمستوى الذي يليق بالجهاد الإسلامي العظيم ويحقق
أمال المسلمين ..

قد هيئتوك لأمرٍ لو فطنت له
ترعى مع الهمل فارباً بنفسك أن

الوقفة الثالثة

ويقللكم في أعينهم

العاقل من يكمن في ضعفه ويتصبر حال قلة عدده وعدته ، ويتتبع عورات عدوه من غير أن يشعره ، ويمكر به دون أن ينبهه ليأمن مكره ويتقي كيده ويتحين غرته ، فإن التهويش والتهديد قبل الأوان ينبه العدو ليعد عدته ، وصاحبه كمستعرض الهواء ينبله قبل موعد الرمي ، أو كمنبه الطريدة قبل رميه لها ...

ومن بالغ في التهديد وأكثر من الوعيد استخف به عدوه فإن التهديد والوعيد لا يجرح نفساً ولا ينكا عدواً ، والإكثار منه يسقط المهابة ويفرع المصداقية ، ومن أراد أن يكون داهية فلا يُعرّف العدو بدهائه فإن من عرف بالدهاء حذره عدوه ، حتى يمتنع منه الضعيف فضلاً عن القوي ...

حربُ المستضعفين دوماً لا تعتمد على كثرة العَدَد ولا العُدَد ، بل تستغل نقاط ضعف العدو ومكامن غفلته وغرته وتختار الضربات القاصمة في الأوقات الحاسمة ، ولكن بعض من لا يفقه هذه الحقائق يُحب أن يتنفش بريشه ويُعطي لنفسه حجماً أكبر من حجمها الحقيقية ، فيترب على ذلك أن يحسب له العدو ألف حساب ولا يكتفي بمتابعته ورصده بإجهته الأمنية المحلية ، بل ويستنصر عليه ويستعين بأوليائه في أنحاء الأرض ليكبح إرهابه الذي يصيرونه إرهاباً عالمياً بل كونياً !!

ولو كان صاحبنا عاقلاً ما فرح بهذا التضخم المتعمد من قبل الأعداء إذ من السذاجة الفرح بمبررات قمعه ، ومن السّفه إعانة الأعداء على تكريس أكاذيبهم التي تعظم خطره ليألبوا العالم عليه وليتازروا على استئصال خطره ، وقد يُصاب المسكين بلوثة من الغرور فينسى حجمه الحقيقي ويصدق تضخم أعدائه له فيمسي يتصرف وكأنه فعلاً كما يصفه أعداؤه ويبدأ بإطلاق التصريحات النارية والتهديدات العريضة بالويل والثبور وعظائم الأمور وكأنه القعقاع بن عمرو أو قتيبة بن مسلم أول جيشه في بغداد وآخره يشق سور الصين العظيم ، والأمراء ماسترون لاماتسمعون ، وسترون ناراً ودخاناً وتخبيصاً وسخاماً ، فيغرر بذلك باتباعه ويغدون يتصرفون

وكان أزمّة العالم أصبحت بأيديهم حتى ليصدق عليهم
قول الشاعر ...

" إنّ الزرازير لما طار طائرهما
شواهينا¹ توهمت أنها صارت

وينكشف الغبار بعد ذلك عن فقاعات كفقاعات
الصابون التي ينفخها الغلمان فتكبر وتكبر ثم تطير وترتفع
ثم لاتلبث أن تتلاشى فجاة ..

ولو كان يحترم جهاده ودعوته لما تكلم ولأستعان على
قضاء حوائجه بالكتمان ...

فإنّ من هيبة القائد ومصداقيته أن لا يتوعّد إلا ويديه
ملئى بما يتوعّد به حتى لا يصبح وعيده كتلك الفقاعات ..

ومن علامات نجاحه وفلاحه أن لا يعطي نفسه أكبر
من حجمها ، وإن كان جادا في العمل صادقا مع نفسه
أخفى ما عنده فيبدو وكأنه ليس على شيء حتى إن عدوه
ليهمله ويستصغره ولا يعدّ له العدة المناسبة ..

وقد قيل ((من استصغره عدوّه اغترّ به ومن اغترّ به
عدوّه لم يسلم منه)) .

حتى إذا ما أخذ عدوّه (أخذَهُ أَخَذَ سَبْعَةً) .

قال تعالى في وصف الأمر قبل غزوة بدر: (ويقلّلکم
في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا) الأنفال (44) .

وكان هذا في ابتداء القتال ، حتى قال أبو جهل
مستخفاً بالمؤمنين : (إنما هم أكلةٌ جزور⁽¹⁾ خذوهم أخذاً
واربطوهم بالحبال) فلما التحم الصقان وأخذوا في
القتال واستأسد المؤمنون بثباتهم ، عظموا في أعينهم
وكثروا ، كما قال تعالى : (يرونهم مثليهم رأي العين) .

اللهم فقّهنّا في ديننا وبصّرنا بواقعنا واكبت عدونا .

⁽¹⁾ يعني هم قليل لا يتعدى عددهم عدد أكلة بغير واحد .

الوقفة الرابعة

(ولتستبين سبيل المجرمين)

لا يليق بمن يواجه أعداء الدين ويسعى لتقويض باطلهم أن يُهمل معرفة حكم الله فيهم قبل ذلك ، فيكون أعمشاً في نظره إليهم يُحسن الظنَّ بهم أو يظنهم داخل دائرة الدين ...

أعرف شباباً دفعهم الحماس إلى السعي إلى الجهاد واقتناء السلاح والتخطيط من أجل ذلك ثم لما تم اعتقالهم صدمتُ عندما عرفت أنهم تعاملوا مع من اعتقلولهم وكأنهم مسلمون ؛ يصدِّقون وعودهم ويتخرجون من الكذب عليهم أو مخادعتهم في التحقيق ... فصدَّقوا في اعترافاتهم وأدلو لهم بها بالتفصيل الممل ظناً منهم أنهم بالمؤمنين رؤوفون رحيمون .. فكان أن نالوا بتلك الاعترافات أحكاماً جائرة ظالمة طويلة في السجن ... فعدم معرفتهم بسبيل المجرمين وحكم الله فيهم وعدم تبصُّرهم باخلاصهم لأوليائهم الكفار وبأنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولاذمة ، وجهلهم بمكائدهم وغدرهم بالمجاهدين وأن الأصل فيهم وفي أخلاقهم الغدر والكذب والخيانة جعلهم يثقون بهم ...

وأعرف أحد حفظة كتاب الله من ذوي الصبر والجلد أودي وضرباً وعذب عذاباً شديداً كي يعترف اعترافات سيحكم بها حكماً طويلاً بالسجن ، فثبت وأبى أن يعترف رغم الأذى والتعذيب الشديد الذي سُلط عليه ثم إنهم لجؤوا معه إلى الحيلة والغدر ... فقد كان الأخ قبل اعتقاله إماماً لأحد المساجد فحوَّلوه إلى محقق كان يصلي خلفه في مسجده فعزَّفه بنفسه وذكره بصلاته معه في المسجد وأقسم له الأيمان المغلظة لئيسأعدته إن اعترف وأن لا يحيله إلى المحكمة فاعترف الأخ لذلك المحقق بناءً على وعوده له دون أن يمسه بضربة واحدة بعد أن كان ثبت ولم يعترف تحت عذاب قل من يتحمَّله ، فنالوا منه بالحيلة والمكر والوعد والأيمن الكاذبة ما لم ينالوه منه بالأذى والتعذيب .. فكان جزاء ثقته بهم وتصديقه لوعودهم وعهودهم أن حُكِمَ بالسجن المؤبد ...

طبعاً هذا الأخ لم يكن قبل ذلك يكفر هؤلاء المجرمين
وربما لأنه لم يكن مستبيناً لسبيل المجرمين كانت صلاة
ذلك المحقق تعني عنده الشيء الكثير ...

وهذا خطأ عظيم كلّفه إلى اليوم عشر سنين فكّ الله
أسره ...

وأعرف شاباً وجد قبيلة في غابة فأخذها إلى بيته ثم
وفي لحظة غياب قاتلة قرّر أن يصير مواطناً صالحاً - كما
يقولون - !!

فذهب إلى مركز الشرطة الذين يُحسن الظن بهم
بالطبع ولا يكفّرهم فذكر لهم أنه عثر على قبيلة في غابة
وهي في بيته ويودّ منهم أن يحضروا ليسلمها لهم ...

فطلبوا منه أن ينتظرهم في بيته وأنهم سيحضرون
لتسلمها بعد ساعة ... وبالفعل حضروا بعد أقل من ساعة
... !! ولكن بأعداد غفيرة من رجال الشرطة والقوات
الخاصة والمخابرات والسيارات المسلحة وحاصروا البيت
وداهموه وفتشوه واعتقلوه مع قبيلته ..

وسجّلوا بحقه قضية حيازة قنابل ومتفجرات بصورة
غير مشروعة ولم يذكروا في حيثيات القضية أنه هو الذي
أبلغهم عن القبيلة وطلب حضورهم لتسلمها ، بل ذكروا
أن رجال المخابرات والشرطة اكتشفوا بحنكتهم وخبرتهم
وتتبعهم ، حيازته للقبيلة وحموا المجتمع من خطر وشيك
، فحكم بناءً على ذلك بالسجن سبع سنين ..

وأعرف آخر كان يعيش في الجزيرة حيث ميشايخ
السُّلطان ينهون دوماً عن تعلم أحكام التكفير وينفرون
عنها ويحذرون منها ... ويعدّون تكفير الحكومات
وأنصارهم غلوا في الدين ومن طرائق التكفيريين وعقائد
الخوارج ... فلم يُجهد نفسه في التعرّف على حكم الحكام
وعساكرهم في دين الله فكيف إذا رأى بعضهم يصلون

أو رأى - وباللّهول - على جبين بعضهم علامة السجود
؟؟

دفع الحماس صاحبنا للتفكير بالجهاد في سبيل الله
بقتال اليهود في فلسطين فنجح بتهريب بندقيته الآلية إلى

أن تسلل بأعجوبة عبر النهر دون أن يتنبه إليه أو يشعر به الجنود الأردنيون الحرس على حدود اليهود - طبعاً هو لا يعرف أنهم حرس وعيون ساهرة على اليهود - وإلا لما كان ركن إليهم أو وثق بهم لذلك وبعد أن عبر النهر وشعر بالعطش الشديد وتذكر أنه لم يحضر معه ماء عاد فرجع القهقري وذهب إلى موقع حراسة لأحد أولئك الجنود ليطلب منه الماء ببلاهة وسذاجة .. واطمان إلى ذلك لما وصل إلى موقع الجندي فوجده يصلي .. وبعد أن أنهى الجندي صلاته ورأى صاحبنا والبندقية بيده سألته عن شأنه فما كان من سطحية صاحبنا إلا أن ذكر له مقصده ، وطلب منه الماء فأعطاه الجندي الماء ثم طلب منه أن يريه بندقيته - وهنا أتوقف وأقارن وأتذكر أبا بصير رضي الله عنه وفطانة المؤمن وكيف طلب بدهائه من أسريه أن يريه سيفهما فقتل أحدهما وكان في ذلك نجاته - أما صاحبنا فأعطى بسذاجته وسطحيته بندقيته للجندي المصلي ووثق به !! فكان في ذلك عطبه ... حيث بادر الجندي إلى إطلاق النار من البندقية بدعوى تجريبها ... والحقيقة أنه أراد بذلك استدعاء وتبنيه قيادته فجاؤوا إلى موقعه يهرعون واعتقلوا الأخ الذي أحيل إلى محكمة أمن الدولة وحكم بالسجن سبع سنين ...

هذه الحكايات يا إخواني أقسم بالله أنها حقيقة موجودة في سجون بلاذلي وليست هي من نسج خيالي وأمثالها كثير ... والمأساة التي نتجت عنها كان سببها في الغالب حسن الظن بأعداء الدين وعدم استبانة سبيل المجرمين ، وعدم معرفة واقعهم الإجرامي ومكرهم بهذا الجهاد وكيدهم لأهله وموالاتهم لأعداء الدين ...

فالغاية عندهم تبرير الوسيلة .. ولا حرج عندهم من سلوك أي طريق شريفة أم غير شريفة لإحباط جهاد المجاهدين وحفظ عروش الظالمين ..

الأصل فيهم الكذب ، وسبيلهم الغدر والخيانة ..

(لا يرقبون في مؤمن إلا ولازمة وأولئك هم المعتدون ..)

(وُدُّوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواءً)

(هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون)

ومن لم يع هذه الأمور ويعرفها ويستين سبيل
المجرمين فلا حاجة للجهاد بسذاجته وغبائه..

كما أنه لا حاجة له بمزيد من الفشل والإحباط ..

ومن يتخذ الضرغام للصيد يازباً تصيده الضرغام
فيمن تصيداً

الوقفه الخامسة

العشائرية ومنزلق الركون إليها

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ألم يجدك يتيماً فاوياً) أي : أواك إلى جدك الكافر ومن بعده إليّ عمك الكافر الذي كان يحوطك وينصرك ويمنعك ويكف عنك أذى قومك .

وقال سبحانه عن أعداء نبيه شعيب: (ولولا رهطك لرجمناك) (هود 91) وقد كان رهطه كفاراً ...

وقال تعالى في شأن نبي الله صالح ووليه الذي كان يدفع عنه: (قالوا تقاسموا بالله لنبيّته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون) (النمل 49)

فلا حرج على الداعية أو المجاهد إذا ناصره قومه الكفار أو دافعت عنه قبيلته أو عشيرته بدافع الجاهلية والقبلية.

ولا حرج عليه أن يستفيد من تأييد قومه له بروابط العصية وأواصر النسب ما دام هو لا يعقد الولاء والبراء أو المودة على أساس هذه الروابط الجاهلية ...

ومن جنس ذلك أن ينصره أو يدفع عنه بعض الوطنيين أو الحقوقيين أو الديمقراطيين أو غيرهم ممن ينتهجون غير نهج الإسلام، ومثل ذلك لונصره ودفع عنه أو خدمه بعض مندوبي المنظمات الدولية الكافرة بسواء كانت صليبية أم غير ذلك ممن يسعون ولو ظاهراً في تخفيف الظلم؛ فلا حرج عليه في ذلك مادام هو يكفر ويبرأ من هذه المناهج المنحرفة والأديان الكفرية ولا يمتدحها أو يوالي ويعادي عليها ..

لكن الأمر الذي لا يحل له بحال ومقصودنا هاهنا التنبيه إليه والتحذير منه ... هو الركون إلى القبيلة أو أمثالها مما تقدم والاعتماد على ثقلها والثوق بها ، فهذه الأواصر أو الهيئات لا حرج على المسلم أن سخرها لله في وقت من الأوقات أو ظرف من الظروف، واستفاد منها ، أما أن يركن إليها أو يؤمل بها ابتداءً ويعتمد عليها في جهادها فهذه منزقات قاتلة عايشت أهلها .. وناصحتهم فقل فيهم المنتصحين ..

بذلك لهم نصحي بمنعرج اللوي *** فلم يستبينوا
الرشد إلا صحن الغد

فمنهم شباب يحركهم الحماس دون بصر بالشرع أو
الواقع ، عهدهم بالجاهلية قريب لم يتحرروا بعد من
عنجهيتها وفخرها بأواصر القبلية .. حتى بلغ الأمر ببعضهم
أن يعتبر الأخذ بأسباب السرية والكتمان عيباً أوجبنا وعاراً
..

وأخر يدفعه اتكاؤه على الواقع القبلي الذي يعايشه أن
يُجاهر بحمله لسلاحه الألي بل وقنابله يتجول بها بسيارته
هنا وهناك بُريها لهذا ولذاك، ولا يابه بالثرثرة لكل أحد عن
أحلام يقظته وأمايئه في قتال الأمريكان وتدمير قواعدهم
في البلد، ومن ثم يتعجب أشد العجب عندما يواجهه أعداء
الله في تحقيقاتهم بذلك كله؛ ويتساءل : كيف أطلعوا عليه
؟! وكيف وصلهم؟! ويعزوا ذلك إلى إمكاناتهم الزهية !!
ووسائلهم الحديثة وجواسيسهم المبتوثين .. وو ..

ولا يعزوه أبداً إلى تفريطه وغبائه وتخبطه الذي يتناساه .

وكم كنت أذكر أمثال هؤلاء وأعظهم بعدم الاعتماد على
ما عهدوه من قبل من غص الطواغيت طرفهم عن
عشائرتهم وحيازتها للسلاح وأنهم إنما يفعلون ذلك معهم
مادام ولاء العشيرة للدولة ظاهراً ، بل وفي بعض الدول
يهدى الطواغيت السلاح المذهب والمزين لمشايخ العشائر
ورؤوس القبائل ، وما ذلك كله إلا لمعرفة أنهم أن هذا السلاح
لن يستخدم إلا لنصرة الدولة وتثبيت عروش الطواغيت
مادامت القبيلة أو العشيرة منهم وولاؤها لهم ...

أما إذا ما غرّ ابن القبيلة ولاءه فصار ولاؤه للإسلام
وأهله فقط، وصار من أنصار الدين وأظهر عداؤه للطاغوت
وتبراً من أوليائه أو سعى لجهاد أسياذ الطاغوت الغربيين أو
الشرقيين فعندها ستختلف الموازين وستنقلب الأمور
وسيكشر الطاغوت ساعته عن أنيابه لابن القبيلة بل
ولقبيلته كلها إن فكرت بإيوائه وحمايته .. كيف لا وكثير من
هؤلاء الطواغيت قد تنكروا وأنقلب علي أقرب الناس إليه
عند الحقائق فمنهم من أقصى أباه أو غدر بأخيه ونحى
أقرب الناس إليه في سبيل مصالحه أو مصلحة نظامه أو
لأجل مصالح أسياذيه، فهل يعقل أن تقف عشيرة أو قبيلة
عقبة عنده أو عائناً دون ذلك ..

والحقيقة أن هذا أمرٌ ظاهرٌ معروف، وهو بين أيضاً في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد تنكرت قريش له مع أنه كان من أفضلها عشيرة وأشرفها أباً لما أظهر براءته من دينهم وأبدي عداوته لأهنتهم وسفهاها، فلم يابهاوا بعشيرته بل تآلبوا عليها وحاصروا بني هاشم في الشعب وقاطعوهم وأذوهم ..

وهكذا فإن الطواغيت في كل زمان يعتمدون على القبائل في تثبيت عروشهم، ويغضون الطرف عن كثير من تجاوزاتها ومخالفاتها مادامت موالية لهم تقف في صفهم وتنحاز إلى عدوتهم .

أما حين تفكر بنصرة بعض أبنائها الذين يقفون في العدوة المواجهة للطاغوت - وهذا نادر في زماننا - فإن الطاغوت عندئذ لا يابه بها بل سيدكها ويستبيح حرمتها كأن لم تكن مدللة عنده بالأمس، وقد عايش الناس ذلك في بلادنا وراوا كيف دُكت قريئاً ومدن بأكملها، وكيف أمست ساحة معركة اقتحمتها المدرعات ودكتها الطائرات عندما حاولت أن تآوي بعض أبنائها ورفضت تسليمهم للدولة، وكنيت اسمع أعداء الله يسبون أولئك الشباب وعشائرتهم بأقذع الألفاظ وأحط الأسباب ويقولون: عندنا خطوط حمراء إذا تجوزت فلا نسال بعشيرة ولا بغيرها ..

ولا أشك أن من أهم هذه الخطوط الحمراء وقبل المس بعروشهم؛ محاولة المس بامن أسيادهم الأمريكان ..

ولا تتعجب بعد ذلك وبعد أن تُدك مدن بأكملها؛ أن تخرج عشائرها معلنة ولاءها للنظام وانحيازها لسياساته ببراءتها من الخارجين عليه المخالفين لقوانينه ولو كانوا من أعز أبنائها، فإنه زمن الخنوع والإنكسار ..

أفلم يأن لإخواننا أن يعوا هذا الدرس .. وأن ينزعوا على عتبة الإسلام عنجهية الجاهلية وركونها إلى العشائرية أو حسن ظنها بالقبلية ..

ويتبصروا بحقيقة هذه الطريق وطبيعة هذه الدعوة؛ وأنها فرق بين الناس .. وفرقان بين الحق والباطل، لها صورتها الخاصة وشائجها النقية ..

ولا تصلح وشائج الجاهلية ولا تصمد أمام تكاليفها وتبعاتها ..

فلا يحلّ للعاقل أن يعتمد عليها أو يتكىء على ثقلها أو
يركن إليها ...

الوقفه السادسة

والله ما هزلت فيستامها المغلسون

هذه الدَّعوة دعوة عظيمة ، وهذا الجهاد سلعة غالية نفيسة لا يُوقَفُ لحملها إلا من أخذها بحقها فتبصَّرَ بحقيقتها وعرف تكاليفها وأحاط بشرعها وواقعها علماً ...

(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

فقد نَبَّهنا كلَّ عاقل في بيان ملة إبراهيم أن هذه الطريق ليست مفروشةً بالورود والرياحين أو محفوفةً بالتراحة والدَّعة بل هي محفوفة بالمكآره والأذى والابتلاءات ، مزروعة بالدماء والسجون والمعتقلات ، وفيها مفارقة الأحباب وقطع الرقاب ولذلك لا يقوم بتكاليفها حق القيام إلا الليوث والصقور ، لا بُغات الطيور أو الدراويش ..

لكنَّ بعض من لم يفقه ذلك ولا رفع به رأياً ولم يتبصَّر بكيد أعداء الدين وبضراوة جنقهم من هذه الدَّعوة وحقدهم على هذا الجهاد ومكرهم بأهله ، ربما تزيى بها وانتسب إليها دون أن يكون كفوّاً لها فيظن الغر أنها نزهة يتنزهها أو أنها لعبة يتسلى بها ...

فيقتحم غمارها ويعبر إلى ميدانها دون أن يتبصَّر بها أو بأركانها ودون أن يعرف حقيقتها وحقيقة تكاليفها .. ودون أن يستبين سبيل أعدائها ...

ثم تكون الصدمة عنيفة عليه قاصمةً لظهره وقد تكون قاضية إذا ما ابتلي ببعض تكاليفها فتكون الانتكاسة ويرتد على عقبه ... كم شاهدت من مأس في السجون خصوصاً في بعض تلك القضايا التي يُضخِّمها أعداء الله ويظهرونها على أنها قضايا إرهابية خطيرة ويكون أفرادها في كثير من الأحيان شباباً صغاراً أو أغراراً لا يشكّلون خطراً حقيقياً على الطواغيت أو على أسيادهم الأمريكان ، ويعرف العدو ذلك ولكنه مع ذلك يابى إلا أن يضخمهم ويكبّرهم ويُعظمهم ليتسلق على ظهورهم ويقبض ثمن إحباطه لمؤامراتهم الفظيعة المزعومة وإفشاله لمخططاتهم الرهيبة التي أكثرها من أحلام اليقظة ونسج الخيال ، وليتد مثل هذه

الأحلام في مهدها مخافة أن تتسع مدارك أصحابها
ويتطوروا فيطوروها إلى حقائق ...

حتى بلغ الأمر أن اعتقلوا شاباً متخلفاً عقلياً وضبطوا
معه لعبة أطفال على هيئة مسدس وَصَّرَحَ لهم ذلك الشاب
بتفكيره وحلمه بقتال اليهود فاعتقلوه فوراً ووجهوا له تهمة
المؤامرة الإرهابية وَحُوِّلَ إلى مدعي عام محكمة أمن
الدولة الذي أوقفه في السَّجْنِ عدَّةَ شهور ولم يصَّرَحْ
كفالته إلا بشق الأنفس مع شهادة القاضي والداني بتخلفه
العقلي ...

هذا الشاب كان سبب اعتقاله أنه سأل جندياً عن
الطريق المؤدية إلى فلسطين فلما استفسر منه الجندي
عن سبب سؤاله صَّرَحَ له مباشرة بحلمه الذي يحلم به فما
كان من الجندي إلا أن اعتقله وسلمه لآسياده ، وتحت
الضرب والتحقيق كي يعترف عن السلاح الذي كان سيقا تل
به اليهود دلهم على مسدس لعبة كان يخفيه في بيته يريد
أن يجاهد به اليهود ...

هذا الشاب لا لوم عليه فهو ممن رفع عنهم القلم

لكن اللوم يتوجه إلى بعض المتخلفين ممن رزقهم الله
نعمة العقل لكنهم لم يتعلموا ولم يتربوا ولم يتأهلوا شرعياً
ولا نفسياً لتكاليف هذه الدعوة الغالية ولم يحيطوا علماً
بخط أعدائها ولم يتبصَّروا بسبيلهم وأساليبهم الخبيثة في
المكر والكيد للدعاة والمجاهدين ، دافعهم الحماس
الاجوف وحده ، لم يجدوا من يوجههم إلى تعلم دينهم
وعقيدتهم وتوحيدهم .. فهم لا يكلفون أنفسهم الجلوس
في حلق العلم أو العكوف على كتبه إذ ليس من أولوياتهم
طلب العلم الشرعي أو التبصر بواقع المسلمين ولم
يستفيدوا من خبرات أو تجارب غيرهم ممن سبقوهم في
هذه الطريق ويصَّرون على اجترار الأخطاء نفسها التي وقع
بها أقرانهم مع أن السعيد من وُعِظَ بغيره ...

بعضهم يجلس في الشوارع ساعات طوال يُضيع وقته
بالدردشة واللهو واللعب بل والتدخين ... فإذا سقط في
أيديهم مسدس بدؤوا يفكرون بأي عمل يقومون به أياً كان
ذلك العمل ... وربما بسبب الفراغ الإجتماعي وقلة ذات
اليد والفراغ الفكري أيضاً والفراغ من الهمة العالية .. ربما
قادهم تفكيرهم إلى السطو على بيت امرأة عجوز بدعوى
أنها بغى أو بدعوى أنها مشبوهة ، أو الإغارة على دكان

وسلب مال صاحبه بحجة أنه يتعاطى الخمر أو يبيعها ، ولا تقلق على المدافع والبواعث فسيجعلها صاحبتنا إسلامية نقية فالمال ليس لدخانه ولا حتى لطعامه وشرايه كلا وحاشا ؛ بل هو لتمويل جهاده الذي يتراءى له في أحلام اليقظة ...

وذلك السطو وهذه الإغارة ليست سرقة ولا غصباً ، بل هي جهاد وإعداد في سبيل الله !!

الحزم واجب على صاحب الدعوة ولا بد منه مع هذه الفئام من الناس ، والوضوح معهم منذ أول الطريق ضرورة لا يستهتر بها من يحترم وقته وعمره ودعوته ، وإذ لم يكن صاحب هذه الدعوة الغالية وجهادها المبارك حازماً معهم جرحوه وأشغلوه وأضاعوا جهده ووقته ، ولو ثوهم ولو ثوهم دعوته وجهاده بقضاياهم العجيبة الغريبة التي سيحاكمون عليها في خاتمة المطاف وستجد في لوائح اتهاماتهم غالباً تناقضاً صارخاً ، وأشياء تحزن المؤمنين وتفرح أعداء هذه الدعوة وتفر أعين الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وتعينهم على تشويه الدعوة والطعن فيها ، وتجعل لهم سبيلاً وأي سبيل على المؤمنين ، ويتعجب المتابعون لمثل هذه القضايا ، فهم يرون المتهمين فيها ملتحين ويُجاء بهم إلى المحاكم وهم يكبرون ويهللون ويهتفون بهتافات إسلامية ... ويرى التهم الموجهة إليهم متناقضة لا يجمع بينها جامع فتجد فيها المؤامرة الإرهابية والتنظيم المسلح ومضافاً إليها السرقة أو السطو أو السلب وخيانة الأمانة !! وأنا هنا لا أحسن الظن بقوانين أعداء الله التي عادةً تُسمى الأشياء بغير مسمياتها .. كما لا أبرئ أعداء الله من تليفيق التهم والكذب والإفتراء ؛ فالأصل فيهم كما قدمنا الكذب والخيانة وهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمّة وأكثرهم من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ... ولكن في الوقت نفسه وحتى أكون صادقاً مع نفسي ومع أخواني في النصيح والإصلاح والتغيير لا أبرئ بعض هؤلاء الشباب ، فأننا لا أتكلم من فراغ أو من خيال بل أتكلم من واقع سجوني عايشته وقد رأيت وسمعت وعايشت من قد جعلوا بتخبّطهم للكافرين عليهم سبيلاً وأي سبيل ؛ وذلك بتورّطهم بتهم وأعمال تنم عن جهل في شرع الله وغفلة أي غفلة عن واقع المسلمين اليوم ... جهل في الشرع يدفعهم إلى التورّط بأعمال مشبوهة واستحلال أموال حقيقتها أنها معصومة حتى ولو كان أصحابها فساقاً فجّاراً ... وجهل في الواقع يجعلهم يتخبّطون تارةً في اختيار أهداف عجيبة تجعلهم أضحوكة

للناس وتجعل الدّعوة والجهاد هدفاً لسهام الطّاعنين
والمستهزئين ، وتارة أهداف تسوّغ لأعداء الدين مزيداً من
التسلط على المسلمين دون أدنى نكايّة في أعداء الله أو
فائدة تعود على الإسلام وأهله ...

ثم وبسبب ضعف التربية الإيمانية السابقة لليلاء أو
عدمها ، تجد أكثر هؤلاء يضعفون ويخنعون حين يقعون
بأيدي أعداء الله فبعضهم يستجديهم ويظهر التوبة والندم
ويخاطبهم بلفظة (سيدي) وبعضهم يلعن ويطعن في
إخوانه ويبرأ منهم ، فاي جهاد هذا الذي لم يتهيأ أصحابه
لتكاليفه ولم يتبصّروا بحجم تحدياته ، فصاروا العوبة بأيدي
أعداء الدين ، فمنهم من أنتكس أو جاد عن الطريق ومنهم
من استعمله أعداء الله بعد ذلك عينا على إخوانه ، وقليل
منهم المتعظون المعترفون الذين ثبتوا وما بدلوا تبديلاً ..

أولم يأن لهؤلاء أن يرتقوا إلى مستوى هذا الجهاد
العظيم ويكونوا أكفأً لحمل هذه الدعوة الغالية .. ويكونوا
على مستوى كيد أعداء الله لأهل هذا الدين فهم لا يتعاملون
أبداً حتى مع غلمان المسلمين الذين قد يتورطون بشيء
مما سلف ذكره أو غيره على أنهم فتيان أو غلمان أو
يافعين ، كلا بل يكيدون لهم ولكل منتسب لهذه الدّعوة
مهما تضاءل خطره أو صغر سنه ، ويحاربونهم ويتعاملون
معهم على أنهم إرهابيون خطرون يستهدفون اقتلاع
إنظمتهم الكافرة من جذورها ، ودك عروشهم الفاسدة من
أصولها وحرق أسيادهم واستئصالهم ... فيشمرّون لهم
ويأتمرون بهم ويكيدون ويرصدون ويعدون لهم ويتعاونون
ويتأمرون

فمتى نكون حقاً كما يحسب لنا أعداؤنا ويظنون ...

ومتى نصير بالمستوى الذي يعيش الرُّعب بفطنتنا
وإتقاننا وحقنا في قلوبهم حقاً وفعلاً ... لا تلبسنا منهم
وتدليساً ..؟؟

الوقفه السابعة

السجن جنّات ونار

السجن بلاء إما أن يُثمر أو يكسر أو يُعكر..

هذه المقولة نردّها نحن خريجو السجون كما حلوا للبعض تسميتنا وهي مقولة تكوّنت من مشاهداتنا في السجون ، ولذلك فهي تصف حقيقة السجن وأثاره المتباينة على من يدخلونه ويعيشون في أقبية وبين قضبانهم ويمكنون في زنازينه ويعايشون ساحات تعذيبه.

ومن لم يعايش ذلك ويعرفه عن قرب فقد يعجب أو يفاجأ بما يصدر عن كثير من رواد السجون من تقلبات أو تصرّجات..

أما من عايشه وذاق ويلات بلائه وصنوف الأذى وفنون التعذيب في ساحاته فربما ترؤى وترث قبل أن يطلق أحكامه على بعض أهله إن بدرت منهم بعض التصريحات العكرة أو حتى المنكسرة ، وترث في متابعة فتاويهم المناقضة لمنهجهم والتي قد تصدر تحت الإكراه..

فالسجين قاصر الأهلية لمظنة تعرضه للضغط والإكراه ؛ ولذلك لا يحل أن يحمل المسؤولية الكاملة عن أقواله حتى يخرج من الأسر والقيود فيبين عن أقواله مختاراً دون أي ضغط أو إكراه ؛ ويتأكد ذلك في مشايخ التيار الجهادي لضراوة عداوة الطواغيت لهم وشدة ضغطهم عليهم.. فبدهي أن شدة عداوتهم لمن جرّد سيفه في وجوههم أو حرّض على ذلك ليست كعداوتهم لغيره..

ولذلك نصحنا كل من زارنا وراجعنا بما صدر عن الشيخ الخضير والشيخ ناصر الفهد وأمثالهم من المشايخ بعدم الإغترار بما صدر عنهم من الفتاوى أو التراجمات في الأسر أولاً ، والترث ثانياً وعدم إطالة سنتهم في أعراض هؤلاء المشايخ ، والدعاء لهم بأن ينجيهم الله من كيد الطواغيت والترث إلى أن يفك الله أسرهم..

ولذلك كفنا سنتنا عن قيادات الجماعة الإسلامية في مصر لما خرج عنهم ما خرج من تراجمات في السجون تحت مسمى المراجعات ولازلنا إلى اليوم نتحفظ في

كلامنا على من لا زال منهم في الأسر ونحفظ لهم سابقة دعوتهم وجهادهم وبلائهم في الله ، بخلاف من قد خرجوا أو كانوا بالخارج أصلاً فقد ساءنا إخلاد بعضهم إلى الأرض وما نسب إليهم من انتكاسات كما ساءنا جداً هجومهم على إخواننا المجاهدين في القاعدة ومبادرتهم بالتبيري منهم ، ودعوتهم إلى التوبة مما يقومون به من عمليات جهادية ؛ وكانهم قد اقترفوا منكراً من الفعل وزوراً ؛ معتمدين في التشنيع عليهم بدعاوى قتلهم للمسلمين واستهدافهم لمكة والمعتمرين ؛ على المعلومات التي تعلنها الحكومات الكافرة ويروجها إعلامها الخبيث ، مع أنهم أنفسهم قد جربوا كذب هذه الحكومات وإعلامها وقد اکتووا بناره من قبل ؛! وإلا فهل يصدق مسلم عاقل أن مجاهدي القاعدة وأمثالهم من المجاهدين يمكن أن يستهدفوا المسلمين سواء كانوا في الرياض أو جدة أو غيرها ؛ فضلاً عن استهداف المعتمرين في مكة البلد الحرام ؟! اللهم إلا إذا كانوا يعدّون عملاء النسي أي إيه والإف بي أي الذين قد طفحت بهم الجزيرة من المسلمين ، أو أنهم يقصدون بالمعتمرين الطواغيت الذين يعتمرون لالتقاط صور يروجونها على شعوبهم وللتضيق على المسلمين في مناسكهم .. .

أعتذر للقارئ عن هذا الاسترسال ، وأرجع إلى ما كنا فيه .. .

- نعم السجن قد يثمر ثمرات عظيمة عندما يوفق صاحب الدعوة أو المجاهد في استغلاله في طاعة الله وعبادته وحفظ كتابه وطلب العلم ونشر الدعوة ، والاستفادة من تجاربه وتجارب الآخرين ليخرج منه أصلب مراساً وأشد تمسكاً بدعوته وثباتاً على جهاده ومنهاجه .

- وقد يكسر بأن ينقلب المرء على عقبيه فيجعل فتنة الناس كعذاب الله فيبدل ويغير ويتراجع ويخلد إلى الأرض بعد أن عرف الحق وأبصره وسار على الدرب وتبينه.. فيغدو يلبس الحق بالباطل وينحاز إلى عدوة أعداء الدين ، وصور ذلك كثيرة ومتنوعة ، نسال الله العافية والسلامة وحسن الختام .. .

- وقد يُعكّر.. والمعنى أنه قد يحرف المرء عن الجادة بحسب طبيعة المرء ، فإن كان إلى الشدة أميل انحرف به القيد والكبت والتعذيب إلى الغلو ، ومن كيس هؤلاء خرج الفكر السجوني التكفيري الذي كفر الخلائق بالعموم

والمجتمعات بالجملة ، وصار التكفير عندهم لا يتبع المدليل بل عبارة عن ردود أفعال انتقامية وتشنجية لا تستثني أحداً إلا من كان على طريقتهم واعتقد معتقداتهم بحذافيرها وإن كانت طبيعة السجن إلى اليمين أميل انحرف به إلى التجهم والإرجاء العصري أو التفريط والمداهنة وتتبع الرخص أو قل زلات العلماء وأخطائهم وتبنيها لا عن قناعة وتفهم واستدلال ؛ بل لمناسبتها لرغباته وتوجهاته التي مال إليها في ضيق السجن ، وبنات أفكاره التي ارتضاها وانحرف إليها عقله المعيشي لشدة القيد.. .

هذه كلها آفات عايشنا أهلها ، ونجانا الله تعالى بفضله ومنه وكرمه وإحسانه وتوفيقه وتثبيتته وحده ؛ من أهل الإفراط وإفراطهم وأهل التفريط وتفريطهم..

أضف إلى هذا أن فتنة السجن وأذى أعداء الله فيه تتفاوت تبعاً للبلاد المختلفة وضراوة التعذيب فيها ، وتبعاً لمجاهرة صاحب الدعوة بدعوته وعقيدته الحقبة ، وتبعاً لمهدي قربه من التيار الجهادي الأشد عداوة للطواغيت ، وأيضاً تبعاً للمراحل التي يمر بها المعتقل ، فأول أيام الاعتقال حيث الحبس الانفرادي والتحقيق المتواصل وساحات التعذيب ومنع الاتصال مع العالم الخارجي ، هذه الظروف أشد من ظروف السجن بعد استقرار أمره ونقله إلى السجن العام ، حيث يتيسر اتصاله بالناس.. .

ومعرفة تفاصيل هذا كله ، وفي أي المراحل والظروف صدر ما صدر عن المعتقل يمكن من خلاله تقدير مصداقيته وقيمته.. وعلى كل حال يبقى السجن عموماً مظنة للضغط والإكراه فالسجين ما دام في القيد والأسر فهو عرضة لتقلب ظروفه ونقله وتحويله إلى سجن آخر وتعرضه إلى ضغوط مفاجئة ، وغير ذلك من الأحوال التي يجب مراعاتها والنظر فيها عند تمحيص ما يصدر عن السجناء من فتاوى وتصريحات.. ويتأكد ذلك إذا جاءت مناقضة لنهجهم وسيرتهم الأولى..

أذكر هذا لمن لم يعايش السجن وفتنها ليعرف ويتبصر بحال ما يصدر عن السجن فلا يتعجل بالحكم عليه ، أو يتضرر بتقليباته في السجن أو تراجعاته إذا كان شيخاً أو متبوعاً ، وإن كان الأولى فيمن كان كذلك أن يأخذ بالعزيمة ولو قطع ولو حرق ، وأن يختار القتل والأذى والهوان في سبيل صيانة دينه وعدم التلبس على

الإمة ويتأكد ذلك في حق رموز التيار الجهادي في زماننا لأنهم أقل من القليل والناس تنظر إليهم في خصم الملحمة الدائرة بين الإسلام والكفر ويسمعون ما يقولون , ولهم في ذلك قدوة وأسوة بمن سبقوهم كالإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام النابلسي الذي سلخ جلده ليبدل فتواه في قتال العبيدين المرتدين فلم يفعل حتى قتل رحمه الله وأمثالهم ممن رفع الله ذكرهم بثباتهم على الحق..

ولا يغفلوا عن قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) وليتذكروا دوماً حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما شكوا له بعض أصحابه أذى المشركين في مكة فقال : (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها , ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين , ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه , ما يصده ذلك عن دينه.. الحديث) رواه البخاري.

ومع هذا فلا بد من اعتبار ما قدمناه حتى لا يبادر المرء بالطعن في إخوانه المبتليين أو التضرب بتصريحاتهم وفتاواهم التي تصدر من وراء القضبان , بل يتأملها فإن كانت على ما كانوا عليه من الحق من قبل فيها ونعمت وإن تغيرت إلى الإفراط أو التفريط لم يبادر إلى الثلب والطعن على قائلها حتى يعرف ظروف قوله لها , وليتريث حتى يفرج الله عنه , فإن أصر في السعة على ما قاله في القيد فلكل حادث حديث.. وإلا فقد كفى الله المؤمنين القتال وحفظنا أخانا في غيبته , فالأصل إحسان الظن بالمسلمين فضلاً عن أنصار الدين..

وأخيراً فقد قال تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) فهذه قاعدة من قواعد أهل الإسلام أن الله كتب على نبيه صلى الله عليه وسلم الموت (إنك ميت وإنهم ميتون) ولم يعلق دينهم بحياته ووجود شخصه بينهم , وإنما علق قلوبهم به سبحانه الحي الذي لا يموت وبدينه وكتابه الذي لا يغسله الماء , ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه , فمن تعلق به فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها , وإذا كان ذلك كذلك بالنسبة لشخص النبي صلى الله عليه وسلم أعز الخلق وأحبهم إلى المسلمين , فغيره من

البشر الذين قد تطرؤ عليهم إضافة إلى طوارئ الموت أو القتل ؛ طوارئ الردة والتغيير والتبديل من باب أولى أن لا يعلق المسلم دينه بأشخاصهم ، والأصل فينا أهل الإسلام عموماً ودعاة التوحيد وأهل الجهاد على وجه الخصوص عدم التقليد ، وعدم قبول قول القائل إلا بدليل شرعي..

قال تعالى لنبيه : (قل إنما أنذركم بالوحي).

وقال سبحانه : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء).

ودين الله غني عن العالمين : (إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد)..

ولو شاء الله لانتصر من أعدائه بغير أنصار ورجال ، ولكن ليلو بعض الناس ببعض ويتخذ من المؤمنين شهداء..

وهذه الهزات يتميز بها أهل الثبات عن أهل الذبذبة والإرجاف.. الضانين بالله ظن السوء الذين لا يزيدون الصف إلا خبالاً ، فمن كان ينتظر مثل هذه الهزات ليعلل بها تخاذله ومفارقته للقافلة وتركه الصف ، فأبعده الله وسيزداد الصف ببعده تماسكاً ورضاً وثباتاً..

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب).

فمن كان يعبد المشايخ الخضير أو ناصر الفهد أو أبا قتادة أو المقدسي أو غيرهم فإن المشايخ غير معصومين ولا تؤمن عليهم الفتنة ، ومن كان يعبد الله فإن دين الله ثابت راسخ معصوم لا يعتريه التبديل ولا التغيير (إن ربي على صراط مستقيم) ومن علم الله منه خيراً وصدقاً ثبته وعصمه ، ومن علم منه غير ذلك صفى الصفوف ونقاها منه ومن أمثاله بمثل هذه الهزات..

(وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم).

الوقفه الثامنة

" رفقا بالقوارير "

الزج بنساء المسلمين لغير ما ضرورة في أعمال قتالية أو جهادية أو تنظيمية أو غير ذلك من المهمات التي يمكن أن يتولاها الرجال أمرٌ لا يهجم عليه من يعرف واقع اليوم الإجرامي الكفري ، ولا يتسرع فيه من يعرف سفالة وأنحطاط كفار زماننا ويهمه صيانة أعراض المسلمات ...

قديمًا كان الكفار مع كفرهم ذوي نخوة ومروءة .. فعندما هرع أسافل خلق الله على بيت نبي الله لوط طمعاً في أضيافه وقال لهم عليه السلام : (هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم) ... (قالوا ؛ لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) ؛ فهم مع سفالتهم وأنحطاطهم راعوا حق بناته سواء لأنهن بنات رجل من قومهم أو لأنهم يعرفون أنهنّ لا يحلن لهم لكونهم كفاراً ؛ وإنما يقول لوط ذلك مشاغلةً لهم عن أضيافه ، أو لأي سبب المهم أنهم في نهاية المطاف رغم إسرافهم وإجرامهم وردالتهم لم يتعدوا على بناتِه وراعوا حقهن لعلمهم أنه لا حق لهم فيهن ...

وعندما ائتمر مشركوا قريش ومكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه واقترح بعض سفهائهم أن يقتحموا عليه بيته رفض ذلك أبو جهل رأس الكفر رفضاً باتاً واستنكره بشدة قائلاً : (أتريدون أن تعيرنا العرب بأننا روعنا بنات محمد) وقد كان شاعرهم يقول :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتني *** حتى يوارني
جارتني مثواها

ويقول الآخر :

وإن جارتني ألوت رياح بيبتها *** تشاغلث حتى يستر
البيت جانبه

أما كفار زماننا فهم لا يرقبون في مؤمن ولا مؤمنة إلاّ ولا ذمة ، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ..

وديدنهم قذف المحصنات الغافلات والطعن في أعراض المؤمنين والمؤمنات فحري بكل مسلم أن يصون المسلمات من دنس هؤلاء المشركين فلا يجعل لهم عليهن سبيلاً بتوريطهن بأعمال يُستغنى عنهن فيها بالرجال قد يتسلط أعداء الله بها عليهن .

وصور ذلك في زماننا كثيرة سواءً بتصديرهن في مقدمة المظاهرات والمصادمات مع الأنظمة كما تفعل كثير من الجماعات المتخبطة حتى شاهد الناس أعداء الله يضربونهن بالهراوات ويطاردونهن بالكلاب ، وبعضهن كنّ يلبسن الشرط فيتعرضن لأفحش الردود وأقذع السباب ... فهم قوم فحش لا حياء عندهم ولا مروءة ..

أو بأن توكل إليهن أعمال تنظيمية أو يُخفى عندهن شيء من العتاد والسلاح أو التمويل ثم يعترف عليهن فيجرحن أو يُزج بهن في تحقيقات يتسلط فيها عليهن أناس سفلة أنذال يمتهنونهن أو يتطاولون عليهن ويُسمعنهن ما لا يقبله مسلم أو حرّ لكرائمه ، هذا إذا لم تتعدى الأمور إلى ما هو أخس وأحقر من سلوكيات أعداء الله ، وقد يُحَلن إلى محاكمهم الكفرية وتنشر صورهن على شاشات تلفزتهم وعلى صفحات جرائدهم ويودعن سجونهم القذرة مع الساقطات والعاشرات ...

لا ينبغي لمسلم عاقل يعرف سفالة أعداء الله وقذارتهم أن يشحن بنات المسلمين بالحمايس الأخوف ليزج بهن في مزلق توقعهن في براثن هؤلاء السفلة الأردال ما دام في الرجال غنية عن ذلك ... ولا يجوز أن يُحتج لتسويغ ذلك بما قدره الله أو يُقدره سبحانه من بلاء على بعض المسلمات ، ففرق بين أن يتسلط أعداء الله على النساء لمجرد تدينهن وإسلامهن كما جرى لبعض المستضعفات من المسلمات الأوائل وكما قد يجري على أمثالهن في كل زمان ممن لا يجدن ولياً ولا يجدن نصيراً ؛ وبين أن يكون الدعاة أو المجاهدون بتخبطهم سبياً في تسليط أعداء الله عليهن وإعطائهم المبررات والمسوّغات لهتك سترهن وتوريطهن فيما لا تُحمد عقباه ، بل يجب على المسلم العاقل الحريص على صيانتهم أن يتجنب حتى ذكرهن بين يدي أعداء الله في التحقيقات وغيرها وأن لا يحملهن أو يكلفهن من الأعمال ما قد يكون سبياً لتطرق التحقيق إليهن حتى لا يجعل للكفار عليهن سبيلاً في الملاحقة والمتابعة أو التحقيق فضلاً عن الإهانة والإعتقال ... إذ هم كما قلنا سفلة منحطون لا يؤتمنون على عرض ولا يوثق بهم .

والخلاصة أن توريط نساء المسلمين في أعمال لا طائل
تحتها أو الزج بهن في التحقيقات أو تحميلهن ما يمكن أن
يتحمله عنهن الرجال أمرٌ لا يستمرئه مسلمٌ حُرٌّ عاقلٌ
خصوصاً في زمن الاستضعاف حيث لا دولة للمسلمين ولا
دار يآوون إليها وترعاهم وتدفع عن أعراضهم ..

وإلى أن تكون الدولة التي تُجيش الجيوش الجرارة
لأجل صرخة مسلمة في أي بقعة من بقاع الأرض ؛
فالأوجب صيانة المؤمنات عن مثل هذه المنزقات ،
والأولى إشغالهن بالجوانب التربوية الدعوية التيسوية البحتة
، وإذا ما مُسَّ عرض امرأة مسلمة فالواجب أن يكون ردُّ
المجاهدين قاسياً موجعاً لفاعله بشرِّد به من خلفه ويبقى
محفوظاً ماثلاً للعيان رادعاً لكل من تسوّل له نفسه
الإقدام على مثله ..

وليتذكر المجاهدون دوماً وليتذكر أعداؤهم أيضاً أن
كعب بن الأشرف كان معاهداً معصوم الدم ، فهدر رسول
الله صلى الله عليه وسلم دمه فقتله فتية من أنصار هذا
الدين وعلوا هامته بالسيوف لتشبيهه ببعض نساء
المسلمين .

وليتذكروا أخيراً أنّ من عقيدة المسلمين ودينهم ؛ أن
من مات دون عرضه فهو شهيد ..

كذا أخبر الصادق المصدوق ..

صلوات الله وسلامه عليه .

الوقفه التاسعة

(من لي بمثل مشيك المدلل * تمشي رويدا وتجي بالأول)

في هذا العصر كم نحن بحاجة إلى رجال من أمثال
محمد عطا وزياد الجراح ومروان الشحي وأحمد الغامدي
وإخوانهم ..

ليس لأجل شجاعتهم فلا أشك بشجاعتهم، ولا ينقص
أمة الإسلام اليوم شجعانا ..

وليس لأجل إقدامهم وتضحيتهم ففي الأمة كثيرون
يتمنون لو تسنح لهم الفرصة فيقومون بمثل ما قام به
أولئك الرجال ويضحون كما ضحوا ..

ولكن لأجل عملهم الجماعي الهادئ المحكم الدؤوب
الذي لا يتأثر بتقلبات الظروف أو بتغير الأحوال ..

فنحن نعاني في هذا الزمان من أزمة أو شح في
العمل الجماعي الحاد الهادئ الخالي من الجعجة،
المتصل غير المنقطع، والمنضبط غير المتضطرب أو
المتقلب ..

فأن تنضبط مجموعة كتلك المجموعة المباركة
بمشروعها لبضع سنين لا تحيد عن الهدف الذي حددته
لنفسها، وتنضبط أسنتها عن الثرثرة طوال سنوات تدريبها
على الطيران وغيره مما تحتاجه لذلك العمل، وتواصل
التدريب الجاد والإعداد الدؤوب ولا تقطعه أو تنصرف عنه
إلى عمل آخر رغم تجدد الأحوال وتقلب الظروف
والأحداث الدولية من حولها حتى تصل إلى مطلوبها
وتحقق هدفها وتفوز ببيغيتها؛ فهذا أمر نادر في العمل
الجماعي الإسلامي في زماننا، وهذه خصال يجب لفت
الانتباه إليها والتركيز عليها، لأنها تنقص كثيرا من
المجاهدين والعاملين لأجل هذا الدين ..

فمن عايش ساحات الجهاد، ولم يكن بمعزل عن
شباب الأمة ومارس العمل الدعوي أو الجهادي الجماعي
أو خالط أهله وجماعته؛ يعلم أننا لا نعاني من نقص في
الشجعان ولا من شح في الصالحين، أو المصلحين أو

الأتقياء والورعين، أو ممن عنده استعداد جاد للتضحية في سبيل دينه؛ ففي أمة الإسلام رجال كثيرون صدقوا ما عاهدوا الله عليه، عاشوا لأجل نصره دين الله، والموت في سبيل ذلك أسمى أمانيتهم، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ..

ولكن ليس بصلاح الدين والإخلاص والورع والتقوى والعاطفة الجياشة وحب الجهاد والإستشهاد والتحرق لنصر الدين ونحو ذلك من المعاني الطيبة والإخصال الحميدة؛ ليس بذالكم وحده ينصر الدين وينكأ العدو، ونتوصل إلى أهدافنا ونحقق أمانيتنا؛ خصوصاً إذا كنا نعمل من خلال جماعة وكانت أهدافنا جليلة تتناسب مع ما يحتاجه الإسلام والمسلمون اليوم من تمكين، أو نصره ليست كأي نصره، أو نكاية في الأعداء تتناسب مع مستويات العصر وتحدياته وتتحدى شراسة الأعداء وخبثهم وعظيم مكائدهم .. بل لا بد مع تلكم الخصال المهمة من خصال أخرى لا تقل أهمية عنها ولا يستقيم العمل الجماعي ولا يصلح ولا يؤتي ثماره إلا بها، ومن أهمها أمران :

الأول : الكتمان .

والثاني : العمل الدؤوب المحدد الأهداف، المتواصل غير المنقطع .

ووقفنا هذه مع الأمر الثاني ..

فالعمل الجماعي له طابع وأبجديات وأصول يجب أن تراعى وضروريات غير ما يحتاجه العمل الفردي .. وكل من يعقل يعرف هذا ..

وإن كانا من حيث المشروعية كلاهما مشروع ..

فإن تجاهد وحدك عند عدم الجماعة ذات الراية النقية مستهدياً بقوله تعالى: (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ..) فتنازل من أعداء الله ما تستطيع نيله؛ عمل صالح مشروع ..

ولكن الأكمل والأصلح الذي يحبه الله لهذا الدين ولأهله أن يكون القتال والجهاد من خلال جماعة أو صف كما سماه الله تعالى فقال: (إن الله يحب الذين يقاتلون في

سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) هذا من حيث
المشروعية والأفضلية، إذ لا يشك عاقل أن ثمرات العمل
الجماعي المحكم الواضح الأهداف أعظم غالباً من نتائج
وثمرات الأعمال الفردية، فكيف إذا نصّ الله تعالى على
أنه يحبه؟!

أما من حيث طبيعة كل منهما ؛ فقتال الفذ غير قتال
الصف ..

فالفذ لا يرتبط غالباً بخطة بينة ومنهاج محدد أو كما
يسمونها بلغة العصر (أجندة) أو (استراتيجية) كما هو
الأصل الذي يجب أن يكون في الجماعة التي تحترم
جهودها وتهمها طاقات أفرادها وأعمارهم ..

فالفذ تجده اليوم يقاتل في أفغانستان وغداً ينتقل إلى
الشيستان وبعد غد تراه يطلب العلم في اليمن أو
الباكستان ثم فجأة يتحول للقتال في البوسنة فالفلبين
فالعراق .. وهكذا، فهو جندي من جنود الإسلام أينما سمع
هبة طار إليها بحثاً عن الشهادة ونصرة الدين والنيل من
أعدائه أينما كانوا ..

ولا شك أن هذا من أحسن الأعمال وأصحابه من انصار
الدين، وهو حال كثير من شباب الأمة اليوم بحمد الله ..

ولكن لا شك أن أحسن منه وأفضل وأكمل لدين الله
العمل أو القتال والجهاد من خلال جماعة لها خطها
الواضح ومنهاجها المحكم وهدفها البين الذي يتطلع إلى
ما يحتاجه المسلمون اليوم ويفتقدونه من التمكين،
ويراعي الأولويات ويتناسب مع مكائد الأعداء ومستوى
حربهم وكيدهم، بحيث تجمع قيادته إلى جانب علمها
بالشرع معرفتها بالواقع معرفة دقيقة عميقة مفصلة، فلا
تتعاطى معه بنظرة سطحية ساذجة، بل ينظر ثاقب
محكم وبعيد، قيادة لا تتعاطى مع الأمور بالعاطفة
والحماس الأخرى وحده، فهذا لا يصلح لمن تقلد
المسؤولية، ولا يليق بمن يسعى لأهداف جليّة عظيمة،
ولا ينبغي لجماعة أو فئة أو طائفة تتعاطى العمل
الجماعي أن تنهج نهج الأفراد فتتنطط في الأهداف
وتتقلب في المنهاج أو تقاتل بحسب المناسبات ..

فالعمل العشوائي غير المنظم ولا المنضبط بخطة أو ()
استراتيجية) كما يسمونها اليوم ؛ يمكن أن يتغاضى عنه

بالنسبة للأفراد، أما أن تتعاطاه الجماعة فتعمل عملاً عشوائياً لا يحدوه منهج محدد ولا تربطه خطة أو برنامج واضح على طريقة الأفراد المبعثرين؛ فهذه جماعة لا تحترم جهودها ولا يهتمها أعمار شبابها ولا تحرص على أموال المسلمين وطاقاتهم ولا يهتمها إهدارها، وإن ادعت خلاف ذلك .

كثيرة هي في زماننا التجمعات العشوائية التي لا تمتلك أية خبرة بالعمل الجماعي، بعضها قادتها العشوائية والتخبط في العمل إلى الفشل والتشردم والتبعثر أو السجون ..

والبعض الآخر لم يتعلم من تجارب الآخرين فلا زال يعمل بعشوائية مع أن السعيد من وفر عمره وما في كَيْسِه واستفاد من تجارب الآخرين وما بدّدوه فتعلم من أخطائهم ووعظ بغيره ..

فترى الجماعة تنشط اليوم في حقل الدعوة إلى التوحيد مقتنعة بذلك العمل متحمسة له ومنطلقة، ثم فجأة تطرأ في البلد بعض التطورات كان توقع اتفاقية سلام مع اليهود أو تجدّ بعض المناسبات كراس الألفية الميلادية الثانية أو نحوها، أو تطرأ بعض التطورات في بعض نواحي البلد كمطاردة أخ من قبل أعداء الله، فإذا بأفراد ذلك التجمع أو أكثرهم فجأة يجتمعون ويقررون التصعيد العسكري ضد اليهود أو السياح المتوقع قدومهم في تلك المناسبات أو يتخذون قراراً بالمواجهة مع النظام لإنصرة ذلك الأخ المطارّد وتحميل إخوانهم الآخرين أثار أخطائه سواء كانت علنيته في اقتناء السلاح أو مجاهرته بأمانيه في قتال الأمريكان أو نحو ذلك .

فيزحون بإخوانهم المشتغلين في خير عظيم ويتنططون بين اختيارات طارئة وغير مدروسة دون أن تكون تلك الخيارات من قبل في حساباتهم أو خطتهم الآنية؛ بل هي قرارات دافعها طروء تلك المناسبة أو ذلك الحدث أو محض حماس الساعة، أو مجرد اندفاع اللحظة، وقد يهمل أكثرهم الدعوة التي ربما كانوا قد قطعوا فيها أشواطاً طيبة، ويقفزون إلى عمل لم يكن في حساباتهم، فيهملون أو يبطلون ما كانوا فيه سائرين، ولا يحسنوا أو يحققوا ما قفزوا إليه ..

وأحياناً تنقسم الجماعة إلى أقسام يعيب أصحاب الجانب التصعيدي الحماسي منهم على أصحاب الدعوة دعوتهم، ويعيرونهم بما يسمونه قعوداً عن الجهاد أو خذلاناً لبعض إخوانهم، وتخرج البيانات الرنانة التي تمتلئ بالعاطفة والحماسة وتتوعد بالويل والثبور، وتعيّر الصابرين على الدعوة لزومهم لدعوتهم، وأحياناً يكون أصحاب تلك البيانات بعيدون كل البعد عن الساحة التي يتكلمون عنها، وغائبون عن الواقع الذي يدفعون إليه إخوانهم دفاعاً.. فيحمسون من يحمسون ويدفعون من يدفعون ويعيرون من يعيرون بجهل، ويتكلمون فيما لا يعلمون، بل كل ذلك بدافع العاطفة والحماس الذي ما يفتأ أن يخبو وينطفئ أمام معطيات الواقع وإمكانات الجماعة الحقيقية ولذلك تراهم لا يستجيب له في البلد حتى أفرادهم المرتبطون معهم تنظيمياً لأنهم يرون ما لا يراه أولئك الغائبون.. ثم يمضي الحدث وتنقضي المناسبة وتطوُّبها الأيام وتبقى تلك البيانات الحماسية شاهداً من شواهد عشوائية العمل .

كم تألمت عندما رأيت ما آل إليه حال بعض الجماعات التي تابعتها شريحة عريضة وواسعة من شباب الأمة حقية من الزمان، ثم تناقضت ونقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، وأبطلت ما أصلته ودعت إليه من قبل تحت مسمى المراجعات وكان جديراً بالمراجعة والمطالعة والنظر والتروي والتأصيل أن يسبق العمل والدعوة والجهاد والترأس والتوجيه، حتى لا تذهب الجهود سدى وتهدر الطاقات هباءً.. فلا يحل أن تمارس الجماعة عملها وتجمع الجموع من حولها وتجنِّش جيوش الشباب وهي لا تدري ما الذي تريده؛ فتراها في فترة تتصادم مع النصاري، ثم تشتغل بالحسبة ومنكرات المجتمع فتفتح حفلات الزفاف وتحطم الكراسي على رؤوس المطربين والمغنيين بل والمدعويين، أو تلقي بالمواد الكيماوية الحارقة على المتبرجات، ثم تنقلب إلى قتل السباح وغير ذلك.. ثم وبعد سنيّ البلاء لا تلبث أن تراجع!! أو تتراجع وتتشرذم وتتبعثر، فينخذها خصوم التيار الجهادي ذريعة للطعن على هذا التيار، مع أن الناظر في جذورها ونشأتها وأدبياتها؛ يعلم أن الخلل كان فيها منذ البدايات..

كما تألمت ولا زلت أتألم عندما كنت أرى كثيراً من التجمعات التي كانت تقر عيني بنشاطها في الدعوة إلى الله وصدعها بالتوحيد وثباتها عليه رغم البلاء وتصديها لدعاة الفتنة من أهل التجهم والإرجاء؛ كم تألمت عندما

كنت أفاجأ بإخلائهم الساحة التي ملأوها نشاطاً ودعوة، وهجرتهم إلى بلد قد قيل أن حدود الله تقام فيه أو جبهة قد قيل أن راية نقية قد رفعت فيه، فيترك أولئك الشباب دعوتهم وجهدهم في بلدهم فجأة بعد أن يكونوا قد قطعوا فيه أشواطاً ومراحل ويخرجوا منها وهم يعلمون أن الرجوع إليها سيعسره الطواغيت بعد أن يعرف بمخرجهم كل أحد، فينتقلوا إلى ذلك البلد أو تلك الجبهة ليصدموا بعد ذلك أن من دفعهم إليها كان مبالغاً في تقاريره عنها، لم بين تلك التقارير على دراسة واعية أو نظرة ثاقبة فاحصة، وإنما الدافع الأوحى كان العاطفة أو الحماس والسطحية، وربما الملل من ملاحقات طواغيت بلادهم ومحاربتهم لدعوتهم؛ فتكون تلك الصدمة والمفاجأة سبباً في انقسام التجمع أو رجوع بعضه من حيث خرج لتلقفه أجهزة المخابرات ويودع سجونهم ولا يطلق سراحه إلا بعد أن يُعصر من المعلومات عن إخوانه وتحركاتهم وتنقلاتهم ومخططاتهم، ويتشظى البعض الآخر ويتناثر بين البلدان والجبهات، فهذه الجبهة عند هذه الطائفة أنظف وتلك البقعة عند هذه المجموعة أصلح، وتبدأ كل طائفة في اختيارها الجديد بداية جديدة بجهود مبعثرة، ودون خطة واضحة أو منهجية محددة، ومع ذلك تستنفر كل طائفة من تعرف من الشباب وتدعوهم لترك ما هم فيه من دعوة للحاق بهم، وتعقد المقارنات بين الجبهات وتجمع التبرعات وتحشد الإمكانيات والطاقات، ثم وبعد مدة وبكل سهولة ويسر تراهم يغيرون الاختيار الجديد ويتركون تلك الجبهة أو ذلك المكان ويقفزون إلى جبهة أخرى أو موقع آخر أو عمل جديد لمناسبة طرأت أو جبهة فتحت .. وهكذا ..

يوما بحزوى ويوماً بالعقيق وبالعذيب يوماً
ويوماً بالخليصاء

وتارة تنتحي نجداً وآونة وشعب الغوير وطوراً
فصر تيماء

فلا عجب أن لا يحقق من كان هذا حاله هدفاً أو يصل إلى غاية أو يتم مشروعاً؛ فضلاً عن أن يقيم دولة ..

والعامه عندنا تقول : (كثير النط قليل الصيد) .

وبعد ..

فهذه أخطاء لا يجوز السكوت عليها بجال، وكل جماعة تحترم نفسها وتحرض على جهد شبابها وأعمارهم وتهملها طاقات المسلمين وإمكاناتهم وأموالهم ؛ لا يمكن أن تمارس مثل هذه الممارسات أو تتقلب مثل هذه التقلبات، فتبطل كل يوم جهوداً وتهمل مسافات ومغازات قطعها، وتتخط في الإختيار دون أدنى دراسة هنا وهناك غير محددة لهدفها أو برنامجها، وغير عارفة لما تريد ..

وقد قال تعالى : (ولا تبطلوا أعمالكم) .

وقال سبحانه : (ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثا) .

أسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا، ويوحد كلمتنا وينصرنا على من عادانا .

الوقفه العاشرة

الحذر والكتمان بين الإفراط والتفريط

يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) فامر سبحانه بأخذ الحذر قبل الأمر بالنفير ..

وقال تعالى : (وخذوا حذرکم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً) فالأخذ بأسباب الحيطة والحذر وكذا الكتمان في العمل الجهادي أمر مشروع في ديننا بل واجب في كثير من الأحيان ، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالإستعانة بأسباب الكتمان في أشياء و حوائج دون العمل العسكري والجهادي فقال : (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ..)

بل إنه صلى الله عليه وسلم تعدى في هديه موضوع الكتمان إلى التموية على الأعداء ومخادعتهم ، فلم يكن الحذر موقوفاً عنده على كتمان الأسرار ؛ بل كان يحرص على تشتيت رقابة الأعداء وتضليل عيونهم وجواسيسهم ، ففي حديث كعب بن مالك في الصحيح (4418) في قصة تخلفه في غزوة تبوك قال : (ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا وري بغيرها ..)

وكان من مبالغته وحرصه على إنجاح غزواته ومهام أصحابه بالكتمان أن يبعث السرية في جهة معينة دون أن يعلمهم عن هدفهم ، بل يكتب لهم كتاباً يذكر فيه الهدف المقصود ، ويأمرهم أن لا يفتحوا الكتاب حتى يقطعوا أغلب سفرهم ويقربوا من غايتهم ، كما فعل صلى الله عليه وسلم مع سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي .. وفي ذلك ما فيه من كتمان الأسرار العسكرية وعدم إظهارها حتى للجند أنفسهم إلا قبيل التنفيذ مباشرة ، حتى لو ان بعضهم ضعف أو سقط أسيراً في أيدي الأعداء لم يكن عنده ما يقوله أو يفشيه ولو قطعوه أو مزقوه ...

ومن هذا الباب انه صلى الله عليه وسلم لما أزمع على الهجرة ..

• جاء إلى أبي بكر في ساعة غير التي اعتاد أن يأتيه فيها ..

• وجاءه متقنّاً ..

• وأمره أن يُخرج من عنده قبل أن يسر إليه بقرار الهجرة رغم أنهم كما قال أبو بكر (إنما هم أهلك)

• وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت معهما في غار جبل ثور ويدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كباثت فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ..

انظر ذلك كله في حديث الهجرة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في صحيح البخاري (3905) .. وفيه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم لسراقة لما أدركهم في الهجرة (أخفي عتاً) ..

وفي صحيح البخاري باب (الحربُ خَدَعَةٌ) وذكر فيه الحديث ، قال الحافظ ابن حجر : (وأصل الخدع إظهار أمر وإضمار خلافه ، وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب والندب إلى خداع الكفار ، وإن لم يتيقظ لذلك لم يامن أن ينعكس الأمر عليه) اهـ .

وفي البخاري أيضاً : (باب الكذب في الحرب) وذكر فيه قصة قتل الصحابة لكعب بن الأشرف طاغوت اليهود وما فيها من مخادعته وإبهامه أنهم يتناقلون ويُعانون مما يأمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقة ، إلى أن استمكنوا منه وقتلوه .. وذكر الحافظ في شرحه في الفتح حديث الترمذي في جواز الكذب في ثلاث ؛ منها الحرب ، وقصة الحجاج بن علاط في استئذانه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول عنه ما شاء لمصلحته في استخلاص ماله من أهل مكة ..

وروى البخاري أيضاً قصة إسلام أبي ذر (3861) وفيها من العبر في هذا الباب ما يدل على أن الصحابة كانوا يحرسون على أسباب الحيلة والحذر والكتمان ولا يُفترطون في شيء من ذلك ، ففيها تردّد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاثة أيام على أبي ذر دون أن يفتحه بشيء حتى اطمئن إليه وسمع خبره أولاً وتأكد من حرصه على الإسلام والوصول إلى النبي صلى الله عليه

وسلم ، ثم اتفاه معه على أن يسير خلفه ليوصله إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يشعر قريباً بذلك وقوله (إن رأيت شيئاً أخاف عليك فمت كاني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي) إلى آخر القصة ..

وفي القرآن أخبرنا الله تعالى في قصة الفتية أصحاب الكهف حذرهم من قومهم وقولهم عمن سيعثونه إلى المدينة (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً إنهم إن يظهروا عليكم يرموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبداً) ..

فهذا كله وغيره كثير ، يدل دلالة واضحة على أن الأخذ بأسباب الحيطة والحذر والكتمان والتمويه على الأعداء ومخادعتهم والكذب عليهم لتجنب مكائدهم ؛ كل ذلك أمور مشروعة لا حرج على المسلم فيها ، ولا يعاب عليها ، وأن عدم الاستفادة من ذلك وإهماله وعدم إعماله قد يسلط أعداء الله على المدعاة والمجاهدين ، وقد يفشل سعيهم ويحبط جهادهم ..

إذا تقرر هذا فاعلم أن الناس مع هذا الأمر بين الإفراط والتفريط فبعضهم بالغ فيه وأفرط حتى أصيب بالشلل التام ، وأمسى يخاف من ظله ، وبحسب كل صيحة عليه . ومنهم من ترك الدعوة والجهاد على إثر بعض النكسات التي أصيب بها بسبب تفريطه في هذا الباب وانقلب بعدها إلى الإفراط وصار يتعامل مع أعداء الله وكأنهم - خابوا وخسروا - يعلمون السر وأخفى ، واندحر أمام تكنولوجيا العصر وانضبع من إمكانياتها في التنصت والإختراق والتجسس فلا يكاد يستعمل أجهزة الحاسوب أو الهاتف أو غيرها من سبل الاتصال ، ولو قدر على استعمال الحمام الزاجل لما استعمل غيره ..

مع أن المسألة لا تحتاج أكثر من شيء من الخبرة بهذه الوسائل لتجنب أثارها ومفاسدها مع خبرة أخرى بأساليب التمويه والخداع والتضليل لأعداء الله ؛ لينقلب السحر على الساحر ..

أما أن نعتزل هذه الوسائل ولا نستغلها للدعوة والجهاد بحجة أنها مدخولة مخترقة ، أو نبالغ في التخوف والتلمس من ذلك دون داع إليه فذلك هو الإندحار

والإنكسار أمام بهرج تكنولوجيا أعداء الله وزخرف
إمكاناتهم ..

ولقد زرت بعض الشباب بعد خروجه من محنة سجن
اعترف فيها بعضهم على بعض في التحقيقات ، فلم أكد
اجلس حتى قام إلى المذياع فشغله بصوت مشوش
فقلت له : ما لنا وللمذياع أغلقه حتى نعرف نتكلم ، فقال
: هذا ضروري للتشويش على أجهزة التنصت إن كانت
موجودة ! فقلت : البيت بيتك والحديث اجتماعي ودي لا
أمني ولا حربي ولا حتى دعوي ، ولا أراك مشوشاً إلا علينا
..

وبعضهم إذا كلمك على الهاتف بالغ في استعمال
التمويه والرموز فيما لا داعي له ولا يستحق ذلك ، حتى
يُصير كلامه طلاسماً ملفتة ومثيرة ، بل ومشكلة عليك فلا
تكاد تفهم ما يريد ، ولو أن أعداء الله استمعوا إلى
طلاسمة لضخموا شأنها ولظنوا أن وراءها عمليات أضخم
من عمليات نيويورك وواشنطن ، مع أن الموضوع أقل
من عادي وأحياناً يكون تافهاً لا يستحق الترميز ولا
التشفير ..

وأحياناً كثيرة يكون التصريح بالكلام أولى لأنه لا حرج
فيه ولا ضرورة لاستعمال التمويه فيه ؛ ومع ذلك يفضل
بعض المتنطعين الغموض والتنطع في التمويه ؛ كان
بها تفك أحدهم قائلاً : لك عندي أمانة ، أو أريدك اليوم
لحاجة ضرورية ، وتكون الأمانة غلبة من الحلوى أو ثوبا أو
قارورة طيب لا حرج من التصريح بها ، وتكون الحاجة
الضرورية دعوة على غداء أو عشاء ، ولكن أولئك
المتنطعين يحبون الإبهام والتمويه السينمائي ولا يعرفون
أنه في هذه الحالات يضر ولا ينفع ، خصوصاً إذا كانت
اتصالاتهم مع المتابعين أمنياً الذين يحاسبهم أعداء الله
على كل كلمة .. وإذا ما اعتقلوا لم يصدقوهم ولو جلفوا
لهم الأيمان المغلظة أن الأمانة كانت من الأشياء
المذكورة ، أو أن الموعد كان غداء أو عشاء ، ولم
يتركوهم حتى يقتلعوا أظافرهم ويمزقوا جلودهم كي
يسلموا الأسلحة والمتفجرات وليقروا ويعترفوا بالموعد
العسكري أو التنظيمي الضروري الذي كان وراء تلكم
الرموز والتشفيرات ..

والبعض يُقر عند أعداء الله ويعترف باتصالاته التي
ربما أضرت به وبإخوانه دون أدنى ضرب أو تهديد بحجة

أنه سمع أو قرأ عن تكنولوجيا حديثة قادرة على التقاط نبرة صوت المطلوب إذا عَمَّموها عبر الأقمار الصناعية في هواتف العالم !! وكان اتصالاته تدور حول أسلحة الدمار الشامل !! ومن ثم فقد تخرج من الكذب عليهم لأن كذبه سينكشف بواسطة تلك التكنولوجيا ، ولا أدري أي شيء يضير المسلم ان عرف أعداء الله بكذبه عليهم أو اكتشفوه ؟ أو ينتظر منهم شهادة حسن سلوك ، أم انه يَجعل من الكذب على أكذب خلق الله وأخبتهم وأغدرهم ، مع أن كذبه إن جرى فلحماية دعوته وجهاده ولدفع الظلم عن نفسه وعن إخوانه ، أما كذبهم المتواصل فهو للكيد بدعوته واستئصال جهاده ولظلمه وظلم إخوانه ..

وإذا كانت هذه أمثلة من الآثار السلبية للإنهيار إلى حد الإندحار أمام تكنولوجيا العصر وإمكانات أعداء الله ، وشيئا من آثار الإفراط والمبالغة في التمويه والتخوف أو الحذر إلى حد الوسوسة لغير ما حاجة وفيما لا طائل من ورائه ..

ففي الطرف المقابل قد فرط البعض في هذا الأمر المهم تفريطاً عظيماً وأهمله وعطله تعطيلاً كلياً فترى أسرارهم مكتوبة ومذكراته ومواعيده المهمة وخططه وتفصيل تنظيمه وتميله وإنفاقه كل ذلك وغيره مبثوثاً على الورق في عصر التكنولوجيا ، وبتفصيلاته بصراحة دون تمويه أو تشفير ، وإذا جاءت رسالة هامة تحذيرية أو تنظيمية أو أمنية بقيت في جيبه - لا أدري للذكرى !! - أياماً وأسابيع ، أو مكثت في بيته شهوراً وأحياناً سنوات دون إتلاف ؛ تنتظر أعداء الله لتصير لهم صيدا ثميناً في أقرب مداهمة لبيته أو اعتقال قد يفجأه فلا يستطيع بسببها أن يجيد في التحقيق يمينا أو شمالاً ، وبصير إهماله سببا لاعتقال إخوانه وإحباط عملهم أو جهادهم أو تراه يتعامل مع وسائل الإتصال بثقة عمياء ، وإذا حذره بعض إخوانه أو أوصوه بأخذ الحيطة والحذر أو بكتمان الحديث عن زيارات أو لقاءات ، أو بحرق رسالة بعد قراءتها أو بعدم الإحتفاظ بأسماء وعنوانين حقيقية وكاملة في أوقات أو أماكن معرضة لتفتيش أعداء الله أو مع أشخاص معرضين للتحقيق والاعتقال ؛ استهجن ذلك واستنكره وربما عدّه جبناً وخوراً وعاراً .. فلا أدري ماذا سيقول مثل هذا لو رأى بعض إخوانه مستخفياً في غار صغير ممتلئ بجحور الأفاعي لا يتسع لأكثر من رجلين في حال طلب الكفار له .. ؟! لا جرم أن عيب مثل هذا لا

ينجم إلا عن ذهول عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وانغماس في حياة الدعة ، وبعد عن حياة الجهاد والعمل الجاد لدين الله ، وركون إلي الأمن الزائف الذي يعيشه عوام الناس وهمّ لهم ويروّج له الطواغيت وأنصارهم ..

هذا التفريط والتسبب والإهمال أدى بكثير من التجارب إلى فشل ونكسات أحرزت أهل الإسلام وأقرت أعين أعداء الله فضخّموها وجعلوا من فشلها إنجازات وانتصارات لأجهزتهم الأمنية على الإرهاب ، والحقيقة أن سبب ذلك الفشل ليس ذكاء أعداء الله ولا حنكة أجهزتهم الأمنية بل تفريط وإهمال أهل تلك التجارب لهذا الجانب ..

فكم كنت أحزن وأتألم عندما كنت أرى بعض من لا يقبلون النصح في هذه الأبواب من الشباب الذي لا يتعلمون من تجارب غيرهم ولا يتعضون بنكساتهم فيكررون زلاتهم ويجترونها أخطاءهم ؛ فإذا همّ أحدهم بعمل جهادي واقتنى سلاحاً لم يكتف بإطلاع كل من يلقاه عليه بل أطلعهم على أمانيه وأحلامه وتخطيطاته في العمل الجهادي ثم لا يدري بعد من أين تأتيه النكسة وكيف باءت أمانيه وتخطيطاته بالفشل !!

ويحزني أن يتقن أهل الدنيا من أصحاب التنظيمات الأرضية أصول العمل العسكري وقواعده الأمنية فتراهم إن هموا بعمل لا يخبرون عنه وعن أهدافه ولا يطلعون على عدته وسلاحه إلا المنفذين فقط وقبيل التنفيذ بوقت وجيز لا يسمح بتسرب شيء من أخبار عملهم ، ولا يعرف المنفذون أكثر مما يحتاجونه من معلومات لتنفيذ مهمتهم ، أما مصادر السلاح وأماكن تخزينه ومن استورده ومن سلمه لهم وهل هناك غيره وهل ثم أهداف أخرى سيقوم بها إخوانهم وغير ذلك ؛ فهذا كله من فضول المعرفة وتعتبر أعباءاً أمنية لا يصح أن يحملها من يجترم عمله العسكري لمن لا تعنيه ، ولذلك تكون الأخطاء والنكسات في حال فشل مثل هذه الأعمال محصورة محدودة .. بخلاف النكسات القاضية والتي تحرق كل من حولها بتخبط بعض الدروايش الذين يلجئون إلى ساحة العمل العسكري بعشوائية وسفه .. مع أن المسلم هو أولى الناس بالإتقان والضبط والحذر والنباهة في هذا الباب فسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم وصحابته حافلة بمعالم وتجارب عظيمة في هذا الباب تقدمت

إشارات منها .. والجهاد بحاجة إلى الليوث والصقور لا إلى الدروايش وبغاث الطيور ..

ومن صور التفريط في هذا الباب أيضاً أن بعض الشباب يتعامل مع السلاح بعد الأمان هذه إلى هذه الطريق كما كان يتعامل معه أيام جاهليته بعنجهية العشائرية والقبلية التي قدمنا الكلام عنها في وقفة سابقة ؛ فتراه لا يتحرج من إظهار حيازته ، وتراه يدور بسيارته ويتجول هنا وهناك ومعه بندقيته الآلية بل وربما بعض القنابل والذخائر باستهتار عجيب ، يربها لهذا ويطلعها عليها ذاك ، فإذا ما وعظته أو ذكرته ونصحته بأن هذا التسيب لا يناسب أصحاب هذه الطريق ، وأن أمسه الجاهلي قد ولى وانقضى ، وقد تبدلت معه وتغيرت نظرة أعداء الله إليه بمجرد ظهور بعض شعيرات في وجهه ، أو باقترابه من بعض أهل هذا التيار الجهادي واتصاله بهم ؛ أسهجن نصحك واستغربه ولم يستوعبه إلا بعد قوات الأوان .. وربما عزاه إلى الجبن والخور ، وقال لا داعي للمبالغة فالأمور عادية .. فإذا ما اعتقل وابتلي بسبب تفريطه هذا لم تعد الأمور عنده بعد ذلك عادية ولا حتى (أوتوماتيكية) بل غالباً ما ينقلب أمثال هذا الصنف بعد البلاء إلى جانب الإفراط الأول فتراه يتلمس من ظله مندحراً أمام تكنولوجيا العصر منضعباً من إمكانات أعداء الله الرهيبة واستخباراتهم الفظيعة التي اكتشفت أسلحته وقنابله المكشوفة !!

ويُلمع أعداء الله ويضخم من شأن أجهزتهم الأمنية بتبريره وعزوه سقوطه إلى ذكاء أعداء الله وخبثهم وقوة مخابراتهم لا إلى غباؤه وتسيبه وإهماله ..

والحق ليس مع تفريطه من قبل ولا مع إفراطه من بعد ، بل مع التوسط والإعتدال في ذلك كله .. فحري بأهل هذه الطريق أن يرتقوا إلى مستوى جهادها العظيم وأن يتبصروا بمكائد أعداءهم ، وياخذوا بأسباب الحيطة والحذر والأمن والكتمان من غير إفراط ولا تفريط ..

أسأل الله تعالى أن ينصر أوليائه ويذل أعداءه

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون <

الوقفه الحادية عشر

مسألة القتال مع الأمير الفاجر بين الإفراط والتفريط

معلوم عند أهل السنة والجماعة جواز القتال مع الأمير الفاجر لدفع العدو الكافر إذا لم يتوفر الأمير الصالح لدفعه ، ولم يمكن الجهاد الا مع الفاجر.. هذه المسألة مشهورة عند أهل السنة والجماعة ، وقد تكرر ذكرها عندهم في كتب الفقه بل والعقائد حيث خالفوا بها أهل البدع ، وهي مسألة مبنية على قاعدة دفع اعظم المفسدتين باحتمال أدناهما وهي قاعدة معروفة من قواعد الفقه ...

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى (28/506) :
(من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر ، فان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم ، كما اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لانه إذا لم يتفق الغزو الا مع الأمراء الفجار ، أو مع معسكر كثير الفجور ، فانه لا بد من أحد أمرين ؛ إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم اعظم ضررا في الدين والدنيا ، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام وأن لم يمكن إقامة جميعها ، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها ، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع الا على هذا الوجه). اهـ.

وقال الطحاوي : (والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة ، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما) اهـ .

وروي في ذلك حديث بلفظ (الجهاد ماض مع البر والفاجر) أخرجه أبو داود وأبو يعلى مرفوعا وموقوفا عن أبي هريرة وقال ابن حجر في الفتح : (لا بأس برواياته الا ان مكحولا لم يسمع من أبي هريرة).

كما قلت هذا أمر معلوم عند أهل السنة والجماعة ، وقد بنى عليه كثير من شبابهم في زماننا مشاركتهم في كثير من جبهات القتال .. ولكن الأمر الذي يخفى على كثير من شبابهم وارغب بالتنبيه عليه هنا كون المقصود " بالأمير

الفاجر " الذي جوز أهل السنة الغزو والقتال معه دفعا للعدو الكافر في حال عدم إمكان دفعه إلا بالغزو مع ذلك الفاجر..

أقول ؛ المقصود بالفاجر هنا هو ذلك الذي يكون فجوره على نفسه كمن يتعاطى بعض المعاصي كشرب الخمر ونحوها من أنواع الفسق التي لا تضر بالمسلمين ، فهذا هو الأمير المقصود بمن جوز أهل السنة الغزو معه واحتمال فجوره لدفع العدو الكافر ، بدليل اعتمادهم في ذلك على قاعدة دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما ، فذلك صريح بان شرط جواز الغزو مع الأمير الفاجر منوط بكون مفسدته قطعاً أدنى من مفسدة الكافر ولذلك احتملت لدفع ما هو أعظم منها ..

بخلاف ما إذا كان فجور الأمير وضرره متعدياً إلى الإضرار بالمسلمين بحيث تكون مفسدة تأميره أو الغزو معه مساوية أو أعظم من مفسدة ترك قتال الكفار ، فليس هذا الفاجر مقصوداً بحال عند أهل السنة في مقولتهم تلك .

ولو تأملت أقاويلهم في هذا الباب و القاعدة المتقدمة التي اعتمدوا عليها في ذلك ، لما شككت في هذا التفريق طرفة عين ..

ولذلك لما سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو أحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف ، مع أيهما يغزى ؟

(قال : أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه ، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين ، فيغزى مع القوي الفاجر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وروي بأقوام لا خلاق لهم ..) اهـ. عن مجموع الفتاوى (28/255)

فتأمل قول الإمام (وفجوره على نفسه) لتفهم عنم يتكلمون..ومثل ذلك ما ذكره ابن قدامة عنه في المغني (إن كان القائد يعرف بشرب الخمر والغلول يغزى معه ؛ إنما ذلك في نفسه ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) اهـ.

إذا تقرر هذا وعلم ان مسالة القتال مع الأمير الفاجر في حال عدم توفر الفاضل لدفع الكافر مقيدة بهذا القيد اعني كون فجوره على نفسه وغير متعد إلى الإضرار بالمسلمين ، وكون الفساد الذي قد يترتب بتأميره أدنى من فساد الكفار وتسلطهم على المسلمين ..

وانه في حال كون فساد الأمير الفاجر وضرره على المسلمين إما مساو لضرر الكفار وتسلطهم على المسلمين أو زائد عليه ؛ فلا يسوغ شرعاً ولا عقلاً القتال مع هذا الفاجر لان القاعدة التي انيط بها هذا الحكم لا تنطبق عليه ، فهو ليس أدنى المفسدتين حتى يحتمل لدفع الأعلى ..

أقول إذا تقرر هذا فمن باب أولى ان لا يزوج تحت هذه القاعدة ويحشر فيها أولئك الأوغاد من الأمراء الذين يتسلقون إلى أمجادهم وعروشهم على جماجم الشهداء وفوق دماء الأبطال وهم يعلنون صراحة دون مداورة عن توجهاتهم وأفكارهم وخططهم المستقبلية في الحكم التي تبنى الديمقراطية الكافرة أو تؤاخي وتوالي طواغيت العرب والعجم أو تتحد معهم في منظماتهم الدولية الكفرية وتتكالب على شرعيتهم الدولية !!

ولا بأس عندهم من دغدغة عواطف الشباب بخطاب ذي صبغة أو ان جاز فقل قشرة إسلامية لاستدراجهم إلى جبهاتهم وسحبهم إلى معسكراتهم والاستحواذ على دعمهم وتبرعاتهم ..

هؤلاء الدجاجلة أو قل اللصوص لا شك عندي انهم من الأمة المضلين أو الدجاجلة الذين اخبر النبي صلى الله عليه وسلم أمته عنهم وحذرهم منها إذ هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا ويستعملون خطابنا وآياتنا وأحاديثنا حين يحتاجون ذلك ؛ فإذا قضوا بأربهم وبلغوا غاياتهم تنكروا لنا ولدمائنا ولجهادنا وكشفوا أقنعتهم عن وجوه خبيثة وقلوب حاقدة على الجهاد و أهله وباعوا الجهاد والمجاهدين بثمن بخس من المناصب الحقيرة التافهة ..

ولو ان الشباب تدبروا تصريحاتهم أول الأمر خصوصاً تلك التي يدلون بها إلى إخوانهم وأوليائهم الذين كفروا من الطواغيت أو أوليائهم أو هيئاتهم ، ولم يغلقوا عقولهم على ما يختصونهم به من الخطاب الديني المصطنع لما انطلبت عليهم الأعيبهم ولما خدعوا بهم أو صدموا بعد فوات الأوان

فالمؤمن كيس فطن ويجب ان يكون حريصا على هذه الروح ان يتق الله فيها فلا يزهقها الا حيث يتيقن نصره الدين العظيم ، فهو لا يملك وفرة من الأرواح يجرب بعضها هنا وبعضها هناك ، فإنما هي روح واحدة فليشج بها ان يمنحها لأولئك الداجلة أو يزهقها في سبلهم ، وليتذكر انه ما من نبي الا وقد حذر أمته من المدجال كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وانه عليه الصلاة والسلام قد أوصانا ان نتعوذ من فتنته في دبر كل صلاة وما ذلك كله كما يقول شيخ الإسلام الا لان جنس فتنته وخبثه ومخادعته موجودة في كل زمان فلنحذرهما .

وفي مقابل هذا التفريط الذي وقع فيه كثير من شباب المسلمين اليوم فاغتروا بأولئك الداجلة وعضوا طرفهم عن سوءاتهم المكشوفة وتصريحاتهم الخبيثة وعلاقاتهم المشبوهة مع الطواغيت وأذنابهم ، وأنساقوا وراء شعاراتهم الزائفة فقاتلوا تحت راياتهم بحجة جواز القتال تحت إمرة الأمير الفاجر فتسلق على ظهورهم أوغاد نقضوا ما عاهدوا عليه وتخلوا عن وعودهم بتحكيم شرع الله والتزام منهج الله ..

أقول في مقابل هذا التفريط افراط بعض الشباب في هذا الباب وغلوا فمنعوا من القتال مع قيادات أو في جبهات لبعض الهنات التي لا تصل إلى الفجور الذي يضر بالمسلمين ولا تقارن مفاسدها بمفاسد تسلط الكفار ولا تقاربها من قريب أو بعيد ..

بل بلغني ان بعض الشباب قد امتنع واستنكف عن الانضواء تحت راية خيرة المجاهدين في زماننا وخلصتهم بدعوى مخالفتهم لبعض ما يحمله أولئك الشباب من اجتهادات يسع فيها الاختلاف ، أو بحجة رفضهم التزام منهج دراسي معين اقترحه أولئك الشباب واختاروه من كتابات بعض المشايخ ونحو ذلك من الحجج والأعذار غير الشرعية التي لا يحل ان يضعف جهاد المسلمين بسببها أو تشتت جهود المسلمين وطاقاتهم من اجلها ..

ختاما نلخص ما تقدم بالنقاط التالية :

أولا: يجب على المجاهدين التفريق بين ما إذا كان الأمير الفاجر أو المعسكر الفاجر أو الدولة الفاجرة واقعا موجودا مفروضا ، وبين ما إذا كان الاختيار بيد المجاهدين ومجاله واسعا فلا يحل لهم ، والحال كذلك القتال تحت

إمرة الفاجر أو اختياره أميراً عليهم بأي حال ، فمسالة القتال مع الأمير الفاجر إنما تطرح في حال عدم توفر غيره من الصالحين أو في حال ضعفهم ووهنهم ..

ثانياً: يجب عليهم التفريق بين الأمير الفاجر الذي فجوره ينحصر في نفسه ، وبين ذلك الذي يتعدى فجوره وضرره إلى الإسلام والمسلمين ، بحيث تكون مفسدته وضرره على المسلمين اعظم من مفسدة الكفار أو مساوية لها ، فالأول هو الذي جوز أهل السنة القتال تحت رايته دفعا لمفسدة الكفار التي هي اعظم من مفسدته ، أما الثاني فلم يجوزوا القتال معه ولا قصدوه في هذه المسالة ؛ لان القاعدة التي بنيت عليها مسالة مشروعية القتال مع الأمير الفاجر وهي دفع اعظم المفسدتين باحتمال أدناهما لا تنطبق عليه ..

ثالثاً: يجب ان يتقظوا ويتنبهوا إلى انه إذا كان مثل هذا الأمير الفاجر وليس بكافر ولكن مفسدته تتعدى مفسدة الكفار أو تساويها فان القاعدة المذكورة لا تنطبق عليه ولا يحل القتال معه ؛ فلا نعمة ولا كرامة إذن للقتال مع الأمير الذي يعلن بدعة مكفرة أو يصرح باختيار منهج كفري أو حكم جاهلي ..

وخلاصة القول ان نجنب الافراط والتفريط في هذا الباب ..

- نجنب التفريط فلا نهض جهاد المسلمين أو نحبط ثمراته ونصيره سلماً للدجاجة والأئمة المضلين يتسلفون عليه إلى أمجادهم الدنيوية وذلك بتسويغ القتال تحت رايات منافقة خبيثة تلمح أو تصرح بتبني مناهج الكفر في حال تمكينها ، أو تبني بدعا مكفرة وتوجهات مناقضة لبيد الإسلام وعراه الوثقى ، بدعوى القتال تحت إمرة الأمير الفاجر ، فنحمل هذه المسالة ما لا تحتملها ، ونزج فيها ما ليس منها ..

- ونتجنب الافراط فلا نخذل إخواننا المجاهدين بتعطيل هذه القاعدة والغائها بان نشترط للقتال معهم شروطاً ما نزل الله بها من سلطان ، كان نشترط نقاء صفوفهم وخلوها من العصاة وهو أمر لا سبيل إليه الا فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم عند خروج المهدي في آخر الزمان وانقسام الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ..

**وإلا فقد تقدم قول شيخ الإسلام عن الغزو مع
الأمير الفاجر : (بل كثير من الغزو الحاصل بعد
ال خلفاء الراشدين لم يقع الا على هذا الوجه) .**

أو نشترط إلزامهم باجتهاداتنا أو اختياراتنا التي يحتمل
فيها الخلاف ، أو نلزمهم بأفكارنا وتصوراتنا مفصلة
بحذافيرها ، وإلا فلا قتال ؛ فنخذلهم ، بذلك أو نضيع بعض
فرص الظفر والتمكين ، بسبب قصر نظرنا وسوء فهمنا ..

ففي البخاري باب (الجهاد ماض مع البر والفاجر)

وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم (الخيال معقود
في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغرم)

ففي هذا الحديث وحديث (لا تزال طائفة من أممي
يقاتلون على الحق إلى قيام الساعة) بشرى بقاء
المجاهدين واستمرار الجهاد وعدم تعطله رغم كل
الظروف إلى قيام الساعة ..

فلينقى متوحدين أخوة متحابين وحذار من الفرقة و
التخلف عن القافلة لحجج جوفاء ..

(ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن
العالمين)

الوقفه الثانية عشر

بين قتال النكاية و قتال التمكين

من المعلوم أن العلماء يقسمون الجهاد إلى نوعين ؛
جهاد دفع و جهاد طلب هذا من حيث حقيقته ، كون الأول
يكون دفعا عن دار الإسلام و حرمة المسلمين إذا
دهمهم العدو ، والثاني يكون بطلب الكفار في ديارهم أو
قتالهم حيث كانوا ..

أما من حيث ثمرات الجهاد و آثاره و نتائجها فهو ينقسم
إلى ما كان من جنس قتال النكاية و ما كان مندرجا تحت
قتال التمكين ..

- فالقتال الذي يكون الهدف منه التنكيل بأعداء الله و لا
تتعدى ثمراته النكاية في الأعداء و إغاثتهم و النيل منهم
و إرهابهم أو كف أذاهم عن بعض المسلمين أو استنقاذ
بعض المستضعفين أو فك الأسارى ، فهو حتى وإن لم
يؤدي عاجلا إلى تمكين للمسلمين إلا أنه عمل صالح
مشروع ، و أهله إن شاء الله من المحسنين ، رضي بذلك
المنهزمون المنحرون أم أبوا ..

فقد قال تعالى : (ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا
ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا
يضيع أجر المحسنين)

و قال سبحانه : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين
من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)

و قال عز وجل : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
والمستضعفين من الرجال و النساء و الولدان ... الآية) .
فحث الله عباده على القتال في سبيله عموما و في
سبيل استنقاذ المستضعفين من المسلمين .

فذلك عمل صالح مشروع أيضا ..

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاد مريضا دعا
له بقوله : (اللهم أشف عبدك يمشي لك إلى صلاة و ينكأ
لك عدوا) فجعل النكاية في الأعداء من وظائف و مقاصد

حياة العبد المسلم ، وجعلها في الدعاء للمريض ليذكر المسلمين دوماً بها ويحرضهم عليها وينبئهم إلى أن يغتنموا عافيتهم لتحقيق المقاصد العظيمة والجليلة التي خلقوا من أجلها وأن من أجلها هذان المقصدان : عبادة الله وحده ونصرة دينه بالنكابة في أعدائه ، فمن أجل ذلك يحيى المسلم وهذه أعظم وظائفه التي إن أقعده عنها المرض سأل الله المعافاة ليرجع إليها ..

وهذا النوع من القتال هو الغالب على قتال المسلمين في زماننا في أقطار الدنيا اليوم .. وهو وإن كان عملاً صالحاً كما قلنا وله ثمراته الكثيرة التي ليس هذا مجال عدّها .. إلا أن هناك نوعاً آخر من أنواع القتال ، يجب على المسلمين تركيز جهودهم عليه وتوجيه طاقتهم إليه ؛ ألا وهو قتال التمكين أو التحرير كما هو في مصطلحات العصر ، فهذا النوع يحتاجه المسلمون اليوم حاجة ماسة وفيه من النكابة في أعداء الله ما فيه إلا أن ثمراته لا تنحصر في النكابة أو تحرير بعض المستضعفين ونحوه كما هو شأن النوع الأول ، بل من أهم ثمراته التمكين للمسلمين في الأرض ، ومعلوم أن من أعظم مصائب أهل الإسلام اليوم أن لا تكون لهم دولة إسلامية تقيم دينهم في الأرض ويأوون إليها ..

وهذا النوع من القتال أعني القتال لأجل التمكين للمسلمين في الأرض أو تحرير بعض بلادهم من أيدي الطواغيت المتغلبين أو المحتلين الغاصبين يحتاج إلى إمكانات وشروط مختلفة عن قتال النكابة ، ويحتاج إلى خطة شاملة وواسعة يشترك فيها أولي البصر والدراية والخبرة من العلماء الربانيين والدعاة العاملين والمجاهدين الصادقين الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، بحيث يتولون أمر هذا الجهاد ويرعون نبتته حق الرعاية بأكفهم المتوضئة وتوجهاتهم النقية ونواياهم المخلصة إلى أن تينع ثمراته لتقطفها الأيدي ذاتها والنوايا والتوجهات نفسها لا غيرها ..

فلا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يجاهد المجاهدون الصادقون ويخلصوا بجهادهم أو يحرّروا بعض بلاد المسلمين ؛ ليتسلق بعد ذلك على جماجم الأبطال ودماء الشهداء من يقطف ثمرة جهادهم من خلال الإحتكام إلى الديمقراطية والانتخابات أو غير ذلك من الطرائق الجاهلية التي تعتمد على الأكثرية المنحرفة والتي أوصلت

إلى الحكم كل نطيحة ومتردية وموقوذة ، بعد جهاد طويل
ومضنٍ للمجاهدين الصادقين ..

لماذا يستحيي المجاهدون المقاتلون الصادقون
أنفسهم الذين دحروا الروس أو الصرب أو غيرهم في
أفغانستان أو البشيشان أو البوسنة بقوتهم وجهادهم ؟
لماذا يستحيون أو يخلون أو يستنكفون من تسلم أزمة
الأمور بالقوة نفسها التي حرّروا بها البلاد ؟

أليسوا أولى الناس بتسلم أزمة الأمور .. ؟

كم ساءني وأحزنتني ما قرأته ذات يوم من كلام بعض
قادة المجاهدين العسكريين البارزين في بعض البلدان
حين سئل في لقاء صحفي ؛ أن هل سيتولى الحكم هو
وأمثاله من القادة العسكريين في حال انتهاء حرب
التحرير .. فأجاب بالنفي وأوضح أنه مجاهد وغايته قتال
أعداء الله في أي مكان (يعني فقط جهاد نكاية) أما
الحكم والسياسة فلها أهلها ونحن لسنا أهلها .. !!

هذا الكلام السخيف لا ينبغي أن يصدر عن مجاهد
يحترم جهاده ويحترم دماء الشهداء وأعمار الشباب
وطاقات الأمة التي شحنت في تلك الجبهات ، ويعرف
مصاب الأمة بفقدانها دولة الإسلام وحاجتها الماسة إلى دار
تاوي إليها وتنبثق منها .. وهذا ليس تشكيكا مني في الأخ
المذكور فلا أشك بأنه يعرف ذلك كله ويحترمه .. ولكن لا
أدري ما باعث هذا الكلام أَوْرَعُ بارد أم استنكاف أم
تواضع في غير محله ؟؟

لماذا لا يكون في حسابات المجاهدين أن يتولوا الحكم
وزمام الأمور بعد التمكين هم بأنفسهم الذين صدقوا في
الميدان وثبتوا خلف المدافع وفي حقول الألغام .. ؟

أليس هؤلاء أخلص الناس وأنظفهم وآمنهم على الحكم ؟

لماذا يستنكف هؤلاء عن الحكم ؟

وإلى متى تبقى مشاريعهم لا تتعدى قتال النكاية
وأمنية الاستشهاد ؟ وأي حرج أو أي مانع يمنع من تبني
مشروع التمكين والسعي له مضافا إلى النكاية وأمنية
الإستشهاد ؟

أليس من الفقه السليم والواعي أن نعرف مقام ورود كثير من الآثار التي حكيبت عن كثير من شهداء الإسلام من صحابة أو تابعين أو غيرهم ؛ من أن أكثر أمانيتهم ودعواتهم كانت تنصب على أن يعقر جواد أجدهم وبكسر سيفه في جماجم الأعداء ويرزق الشهادة ؛ أن أكثر ذلك كان في ظل خلافة ودولة للمسلمين .. وأن الأمانيت والمذعوات في حال عدم هذه الدولة يجب أن تتوسع لتشمل السعي إلى تحقيق عز الإسلام والتمكين للمسلمين ؛ مضافاً إلى تلك الأمانيت الأولى ..

ولماذا لا نكاد نفرح ببعض الجبهات التي تعدّي تفكير أهلها ومشروعهم قتال النكابة ووضعوا في حساباتهم السعي للتحرير أو التمكين ، إلا ويعكر صفو ذلك الفرح قيادات أو شخصيات نكدة مشوشة الولاء منحرفة التصورات متخبطة المنهاج يمنحهم القادة العسكريون من المجاهدين ولاءهم ، يجلسون خلف المكاتب لا في الخنادق وخلف المدافع ، وينتظرون قطف الثمار !! أو يخرجون لنا من صناديق الإقتراع التي يسلم لها بعض المجاهدين ثمرة دمائهم وأرواحهم !!

أي نكد هذا الذي تكرر مراراً مع المسلمين في تجارب شتى خلال حقبة زمنية قصيرة في هذا العصر .. ولأجل ذلك لم يوفقوا ولم يُمكنوا رغم كثرة المخلصين والمجاهدين ووفرة المضحّين والشهداء ..

لماذا يجوز لدكتاتوريات وطواغيت ومجرمين وقتلة بل ومخابيث أن يقتحموا قصور الحكم في بلادنا على ظهر الديابيات ليحكمونا ويحكموا الأمة بأهوائهم وكفرياتهم وبدجنوها ويطوّعوها لأوليائهم الغربيين والأمريكان ..

ولماذا جاز لمن كان قبلهم أن يتآمروا على الخلافة وينقلبوا عليها وينتزعوا الحكم من المسلمين ويحكموهم بأحكام المشركين بقوة السلاح .. ولا يجوز للمجاهدين المسلمين الموحدين ، أو يستنكف بعضهم ويتورعون من أن يتغلبوا عليهم وعلى أمثالهم ، ويستردوا ما انتزع منهم ومن إسلامهم بالقوة نفسها فيطوّعوا العباد لله وحده ويخرجوهم من عبادة العباد ..

أيُّ تدجينٍ للهمم هذا ؟ وأي تخنيث للعزائم والعقول ؟

وأى انتكاس للأفكار يجعل المسلمين كاللدجاج أو كالنعاج .. ويحظر عليهم في زمن القوة ما هم أولى الناس به من القوة والذبح والسيف الذي بُعث به نبيهم صلى الله عليه وسلم بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده ..

لا بد أن يعيد القائمون على الجهاد في بلاد المسلمين النظر في أهداف جهادهم وبرامج وخطط قتالهم ، ولا بد أن يحسموا في حساباتهم وبرامج هذا القتال ؛ أمر العمل لأجل التمكين للمسلمين في الأرض .

ولا بد مع ضرورة التركيز على ذلك وحث الخطأ إليه ؛ أن يدرسوا ميادين قتالهم ويرجحوا الأنفع للمسلمين والأقرب إلى هذه الغاية المهمة ..

ولا بد أن ينتقوا قياداتهم بعناية وبراءوا فيها العلم بالشرع والوعى في الواقع والشجاعة والحزم والمبادرة وعدم التلكؤ أو التردد عن تولي زمام الأمور عند الحقائق .. حتى لا تذهب ثمرات جهاد المجاهدين سدىً أو يقتطفها من لا خلاق لهم ..

وليتنبهوا إلى أن أكثر العمليات القتالية في بلاد المسلمين اليوم هو من جنس قتال النكاية وإن عظم شأنها ..

وعلى رأس ذلك كله ما حصل في واشنطن ونيويورك من عمليات ضخام خطط لها بإحكام فإنه لا يخرج على ضخامته عن هذا النوع من القتال ..

ومثل ذلك قتل الطاغوت السادات في فرصة سنحت للمسلمين في مصر وإقدامهم عليه دون أن يكون عندهم إمكانية تسلّم زمام الأمور في البلاد فهو وإن أشقى صدور قوم مؤمنين لا يخرج عن النكاية ما دام لم يحقق لهم التمكين بل عجل بولاية طاغوت آخر .

وحتى ما يقوم به المسلمون اليوم في العراق بل وفي فلسطين من قتال للأمريكان أو اليهود فإنه كذلك ما دام أهل الإسلام هناك أضعف وقياداتهم ومشايخهم أهزل من أن يتولوا قطف ثمار هذا القتال لو حصل فيهما شيء من التحرير ..

إذ لو حررت هذه البلاد أو حرر أجزاء منها من الأمريكان أو اليهود في ظل ضعف المسلمين اليوم وفقدانهم للقيادات الراشدة ، فتولى الحكم فيها علمانيون كفرة لما كان هذا من التمكين لدين الله في شيء ؛ فهو لا يعدو وإلحال كذلك عن كونه استبدالاً لطاغوت عربي بطاغوت أجنبي ..

ولقد كانت تجارب المجاهدين في أفغانستان والشيشان والبوسنة أحسن حالا من حيث زخم الأنصار وحماسهم والصبغة الإسلامية القوية التي اصطبغت بها تلك الميادين ومع ذلك لم يقطف المجاهدون الصادقون فيها الثمار لأسباب يجب على القائمين على الجهاد دراستها وتأملها وإعادة النظر فيها ؛ جعلت سعي المسلمين وجهاد المجاهدين والشهداء لا يخرج في خاتمة المطاف عن قتال النكاية إلى قتال التمكين .

ومن هذه الأسباب كما قدمنا استتلاف أو عجز وعدم مقدرة المجاهدين الصادقين عن قطف ثمار الجهاد ؛ لضعفهم أمام موازين قوى أخرى في تلك البلاد أو لنزولهم - ويا للأسى - عند رغبات الأغلبية والجمهور الذين قال الله تعالى عنهم : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وذلك بالاحتكام إلى صناديق الاقتراع كما حصل في الشيشان حيث قفز مسخادوف إلى السلطة عبر تلك الصناديق ..

أو لمشاركتهم وتحالفهم مع الأحزاب المهترئة والمنحرفة والتي كان لها ثقل أقوى في الواقع وبين الناس مما ساعد قاداتها أمثال رباني وسياف وأضرابهم من أن يتسلقوا على جماجم الشهداء ودماء المجاهدين إلى كراسي السلطة بعد تحرير أفغانستان والقضاء على نظام نجيب فيها .. وهو أمر لم تتفاجأ به وإن تفاجأ به غيرنا ، فقد كنا نحذر من إنحرافات تلك الأحزاب ونستكف عن القتال في صفوفها وننبه على تصريحات قاداتها الذين وإن كان أكثرهم يصطبغ بالصبغة الإسلامية إلا أنهم كانوا يعلنون صراحة لا بلحن القول ؛ أنهم يسعون إلى دولة إسلامية ديمقراطية !! ويصرحون بأخوتهم لكثير من طواغيت العرب والعجم ، والمكتوب كما يقال يقرأ من عنوانه ، فهؤلاء هم من سيقطف الثمار وسيتولى الأمور وهذا حالهم .. إلا أن المتحمسين كانوا يابون ويقولون : وإن ، وإن .. أليس قتال أعداء الله عموماً مشروع ؟

ألم يقل الله تعالى : (وقاتل في سبيل الله لا تكلف
إلا نفسك) ؟

فقتال النكاية في أعداء الله عموماً مشروع وإن لم
نجن الثمار .. وهكذا كانت في النهاية طموحات القوم لا
تتعدى وسط الحماس هذا النوع من القتال .. !!

هذه التجارب أشير إليها إشارة هنا وإن كان الواجب
على الحركات الجهادية دراستها دراسة وأعية ، والإعتبار
من دروسها وتجاوز أخطاءها وعدم تكرارها واجترارها ..
وليس هذا موضوع هذه الوقفة وإنما موضوعها حث
المجاهدين على التوجه إلى قتال التمكين والتركيز عليه
ورعاية ثمراته وتولي قطافها .. والتنبيه إلى أن جهادهم
وجهودهم في أكثر بقاع الأرض اليوم مبعثرة في أعمال لا
تخرج عن قتال النكاية ، وإن كانت في بعض الأحيان قد
تأخذ طابع السعي للتمكين أو التحرير إلا أنها في خاتمة
المطاف لا تخرج عن قتال النكاية بسبب عدم نضوجهم أو
مقدرتهم على قطف الثمار أو لانحرافهم وتخطيهم أو غير
ذلك من الأسباب المتقدمة ، وتولي غيرهم لذلك ..

أخيراً إذا وضح الفرق بين نوعي القتال المذكورين
وعلمت حاجة المسلمين إلى التركيز على قتال التمكين
وأهمية توجيه طاقاتهم إليه ؛ ألخص بعض ما تقدم وأعرج
على تنبيهات سريعة متعلقة بالموضوع ..

- لا يصح أن تنشغل الأمة كلها أو أكثرها بقتال النكاية
وتهمل قتال التمكين أو التحرير ، بل يجب أن تركز
الجهود على بقعة من بقاع الأرض للمسلمين فيها نوع من
أنواع الشوكة أو القوة ولهم فيها مرجعية أو قيادة ذات
بصر في الشرع والواقع تصلح أن يلتف الناس حولها ،
ويسعون لتمكينها في الأرض ليقيموا للمسلمين دولة
ياوون إليها وينطلقون منها ..

- من الخطأ أن تلهب عواطف الشباب ومشاعرهم
لتوجيههم إلى قتال النكاية ويدفعوا بدافع الحماس إلى
جهات يزمّر لها الإعلام ويطنبل دون دراسة لواقعها
والثمرات المرجوة منها ، ويصرفون بذلك عن جهات قد
يكون التمكين ثمرة حقيقية لها لو أنها وجدت الإمكانيات
والانصار ..

- من باب ميزان المصالح وفقهه ووجوب تقديم أعظم المصالح على الأدنى عند التعارض ؛ لا يجوز أن يُحبط قتال التمكين أو يُعطل أو يُبطل ثمراته بتقديم بعض أعمال النكاية عليه أو معارضته بها ، أو تعريضه للضرر بسببها ، عند من كانت عنده خطة وبرنامجاً لذلك ، وكان يحترم جهاده وطاقات المسلمين وجهودهم وأعمار شبابهم ودماءهم ..

* فالنبي صلى الله عليه وسلم ترك قتل كثير من المنافقين الذين أظهروا بعض الأذى في المدينة ، وقتلهم لا شك من النكاية في أعداء الله الممدوحة ، كما أقر اليهود فيها على خبثهم وأذاهم وذلك قبل الإثخان في الأرض واكتمال التمكين مع أنهم لم يكونوا ذمة ولا صاعرين ، فترك قتل أولئك وأجل هؤلاء ، حفاظاً على التمكين الذي كان في أوله .. وهذا فيه من الفقه الذي يجب أن يتنبه إليه ما فيه ، فلما أعز الله المسلمين في بدر قام بعدها ببعض أعمال النكاية في اليهود فقتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود ولكن لم يتوسع في ذلك وإنما اكتفى بقتل من كان يؤذيه ممن لا مفسدة على أهل الإسلام ودارهم في قتلهم إلى أن حصل له الإثخان في الأرض وتغيرت الموازين فأنزل الله تعالى عليه قوله : (جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم) ونحوها من الآيات ..

* ومن جنس ذلك أيضاً أمره لحذيفة لما بعثه يستطلع أمر الأحزاب حين أحاطوا بالمدينة (أن لا يحدث فيهم شيئاً) وفي رواية مسلم (لا تذرهم علي) وإمتناع حذيفة عن قتل أبي سفيان سيد القوم وقتله من أعظم النكاية في أعداء الله ، فتركه مع تيسره له وسهولته عليه عملاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يذعرهم على المسلمين ، ففيه ترك قتال النكاية دفعا ودرءاً للمفسدة التي قد يستجلبها ذلك على المسلمين ودارهم قبل اكتمال تمكينهم وإثخانهم في الأرض ..

ففي هذا الهدي وذاك تقديم مصلحة المسلمين الراجحة ومصلحة دفع الضرر البالغ عنهم وعن تمكينهم على قتال النكاية ..

- بل إن التضحيات التي تبذل في قتال النكاية لا ينبغي أن تعادل بتلك التي تبذل في سبيل تحقيق التمكين ..

فأنا أستوعب أن يترك المدعاة دعوتهم ومشاريعهم التربوية والدعوية والعلمية والدراسية في بلادهم ويفرغوا الساحة من الدعاة وطلبة العلم ويتوجهوا ليرجحوا كفة القتال في بلد تعقد الآمال فيه على التمكين أو التحرير ..

أما أن يتركوا دعوتهم أو يُعَيَّرُوا بلزومها ، وتستنفر الطاقات وتفرغ الساحات من العاملين وأنصار الدين لأجل قتال لا يخرج عن كونه من قتال النكاية فليس هذا من فقه ميزان المصالح والمفاسد الشرعي ..

فقد قال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، أي : أصلح .

وقال سبحانه : (اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) فهذا أمر لعباده أن يتبعوا أصلح الأعمال وأحسنها نفعاً لدينهم ودنياهم .. (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) .

- وكذا لا يصح أن يُهَيِّجَ الشباب لترك دعوتهم ويُعَيَّرُوا بلزومها ويستنفروا ويزج بهم في معارك خاسرة بدعوى مؤازرة بعض من لا صبر لهم على الدعوة إلى الله ممن تعجل مصادمة غير محسومة مع أعداء الله ، أو تورط ببعض الأخطاء الأمنية فطورد من قبل النظام ، أو أي عمل آخر لا تخرج حقيقته عن قتال النكاية ما دام أولئك الشباب قد اختاروا برنامجاً دعوياً متئداً ، فمثل تلك الأعمال لا يصح أن تعارض بها البراهج الدعوية الصحيحة التي تكون على منهاج التوحيد فضلاً عن أن تكون سبباً في إهمالها أو تدميرها ، بخلاف قتال التمكين فله حساباته المختلفة .

- وفي قتال النكاية قد يتساهل في أشياء لا يجوز أن يتساهل بها في قتال التمكين ، خصوصاً في شأن اختيار القيادة التي يقاتل معها ، فقد يكتفى في أعمال النكاية بالقائد العسكري مع قصوره في العلم الشرعي وقد يتساهل ببعض معاصيه أو انحرفاته التي لا تصل إلى الكفر ، أما في قتال التمكين فينبغي على العقلاء أن لا يسلموا أزمة الجهاد إلا للقيادة الربانية الموحدة العارفة بالشرع الواعية بالواقع وتصلح للحكم بما أنزل الله ولقطف ثمار جهاد المجاهدين ، حتى لا تتكرر نكسات المسلمين هنا وهناك ..

وهذا أمر لا ينبغي التفريط به ما دام الاختيار بأيدي
المجاهدين ، ومجاله واسعاً .. أما إذا ضاق الأمر فجواز
القتال مع الأمير الفاجر لدفع الكافر مشروع من باب دفع
أعظم الشرين أو المفسدتين باحتمال أدناهما ..

فإن أمكن بعد ذلك خلع الفاجر وتولية البرِّ وجب ذلك

..

لكن حذار ثم حذار من عدِّ اختيار الديمقراطية نظاماً
للحكم أو موالة طواعيت الشرق والغرب منهجا أو
التكالب على الشرعية الدولية الكفرية والمشاركة
بمؤسساتها ؛ أقول حذاري من اعتبار ذلك ونحوه من
الطوام فجوراً وحسب ، فتختل الموازين وتتحرّف
التصورات وتتخبط الحسابات .

هذه بعض الأمور التي أردت التنبيه عليها في هذه
الوقفة .. ولم يكن مرادي بحال التقليل من شأن قتال
النكابة المضبوط بضوابط الشرع المراعي لمصالح
المسلمين الأهم منها فالأهم ، الواعي والمظهر للجهاد
الإسلامي بصورته المشرقة ، كما لم يكن قصدي أبداً
الطعن في المجاهدين في سبيله ، فكل من يعرف
خطابي ويتابع ما أكتب يعلم دفاعي عن الجهاد
والمجاهدين عموماً ، بل وذبي عن غزوات نيويورك
وواشنطن وأبطالها مع أنها لا تخرج عن هذا النوع كما
قدمنا .. ومعاذ الله أن أظعن في زمن الخنوع والإنبطاح
في أيِّ مجاهد باع نفسه وروحه لله .. ولكنه الحرص على
جهاد المسلمين وجهودهم وإمكاناتهم أن توجه إلى الأنفع
والأصلح والأحسن لدين الله ..

ولذا أرجع وأختم هذا بأن أقول ؛ إنه وإن كان أكثر
جهاد شباب الأمة اليوم متجه إلى قتال النكابة ، وكان هذا
النوع من القتال لا يثمر تمكيناً عاجلاً ، وربما كان أكثره لا
يكسر أعداء الله كسراً قاصياً ، بل وبعضه لا ينال منهم
في كثير من الأحيان إلا نبلاً يسيراً ؛ ولكنه إذا كان وفق
خطة واضحة وضمن اختيارات واعية وبوصلة أو وجهة
صافية غير مغبشة أو مشوشة ؛ فإن له ثمراته الكثيرة
والعظيمة ، وقد يصير إن وفق أهله إلى وعي حقيقي في
الواقع والاختيارات ؛ مدرسة يتربى فيها أبناء المسلمين
ويتخرج منها من سيتولون بإذن الله تعالى شأن قتال
التمكين ..

فإن هؤلاء لن يهبطوا علينا من السماء ، كما وأنهم لن
يأتوا من حزن جماعات الإرجاء ، ولن يخرجوا من داخل
صناديق الإقتراع ..

بل لن يخرج أكثرهم إلا من خلف البنادق ومن حفر
الخنادق ومن رحم جهاد المسلمين هنا وهناك ..

(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء
وهو العزيز الرحيم)

الوقفه الثالثة عشر

(وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم)

يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا) النساء 94

فهذه الآية العظيمة نزلت في رجل مِّن بنجر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرعى غنما له فسلم عليهم ؛ فقالوا : لا يُسلم علينا إلا ليتعوذ منا ، فعمدوا إليه فقتلوه ، وأتوا بغنمه النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية ..

وفي رواية تفرد بها أحمد أن الذي قتله قتله بعد أن أظهر الإسلام لشيء كان بينه وبينه في الجاهلية .. وعند ابن جرير أنه حياهم بتحية الإسلام وكانت بينهم إحنة في الجاهلية فرماه رجل منهم بسهم فقتله ..

وروي البخاري تعليقا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمقداد : (إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فقتلته ، فكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل) وروي البزار أن سبب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا للمقداد أن المقداد كان في سرية فاتوا على قوم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد .. وفيه أن الآية نزلت بسبب ذلك .

وقال ابن كثير عن قوله تعالى (فعند الله مغانم كثيرة) : (أي خير مما رغبتم فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حملكم على قتل مثل هذا الذي ألقى إليكم السلام وأظهر لكم الإيمان فتغافلتم عنه وإهتمتموه بالمصانعة والتقية لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أهـ .

ففي هذه الآية وسبب نزولها عبرة وعظة يحذرنا الله تعالى فيها من بعض أهواء النفس الإنسانية وشهواتها الخفية التي قد تميل إلى المكسب والغنيمه أو تنساق

وراء الثارات النفسانية وغير ذلك من حظوظ النفس البشرية ورغباتها وتعامى في خضم ذلك ولميلها إليه عن بعض ظواهر أو علامات العصمة وموانع الإباحة ، فتهاجم على أهداف سهلة وقد تتجنب أهدافاً ذات شوكة لا لمصلحة الجهاد ؛ وإنما انسياقاً وراء حظوظ النفس وميولها (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا) .. فهناك الله عن ذلك وحذرنا منه وبين سبحانه أنه هو الذي منّ على المسلمين بالهداية وإظهار دينهم وعقيدتهم فإذا كان بعض المستضعفين لا زالوا في بعض الأماكن والأوقات لا يقدرون على إظهار دينهم ومفارقة دار الكفر فكذلك كنتم أنتم من قبل فمنّ الله عليكم بفضله وكرمه فأعزكم وأظهركم ؛ فتبينوا إذن ولا تتعجلوا بالحكم على أمثال هؤلاء ولا تهاجموا على استباحة أموالهم ودمائهم معرضين عما يظهره لكم من علامات الإسلام ، فعند الله مغنم كثيرة ورزق وفير فأبواب الجهاد كثيرة ، والله قبل ذلك وبعده بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء من دوافع النفس وخفاياها ، وهذا تهديد ووعد كي يتق المسلم الله في جهاده وقاتله فيضبطه بضوابط الشرع ويصفه من حظوظ النفس وشهواتها ..

فالنفس قد جبلت على كراهية القتال وما يكتنفه من مخاطر ، ولذلك قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ..) وكذا فهي تميل إلى تجنب القتال وتحب المغنم وتتخير الأهداف السهلة (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

قال تعالى عن المؤمنين في أول معركة خاضوها : (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) هكذا أخبرنا الله عن خفايا نفوسنا وما تميل إليه وتوده من المغنم السهل الخالي من العناء والأذى والمخاطر وما تكرهه من القتال والمغامرة بالأرواح ، ولأن الله سبحانه أعلم منا بما ينفعنا وينفع ديننا (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ؛ فقد وجهنا سبحانه واختار لنا ما يحبه لنا ولديننا وما يريد شرعاً منا مما فيه إعزاز دينه وأوليائه وكبت الشرك وإذلال أهله ..

فقال عزوجل : (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) الأنفال .

والخلاصة .. أن الله يريد لجنده المجاهدين أن يتخيروا
من الجهاد ..

- الأنفع للمسلمين والأنقى لدينهم ودعوتهم الذي يرفع
راية الحق نقية واضحة من غير لبس ، إذ إن من أهم
غايات الجهاد وثمراته إحقاق الحق والتمكين لأهله (ويريد
الله أن يحق الحق بكلماته)

- والأنكى في الشرك والمشركين الذي يقطع دابرهم
ويبطل باطلهم ويستاصل شركهم ..

وجعل في ذلك أيضاً الخير والمغنم الذي تحبه النفس
(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر
والمغنم) رواه البخاري .

فلا داعي إذن أن يتتبع المجاهدون شيئاً من الأهداف
المشبوهة سعياً وراء المغنم ، فإنهم سيجدون في خضم
هذا الذي أحبه الله واختاره لهم مغنم كثيرة (فعند الله
مغنم كثيرة) وقال تعالى : (وعدكم الله مغنم كثيرة
تأخذونها) ..

وهكذا فاتباع المجاهدين لأمر الله وما يحبه سبحانه
لهم ويختاره يجمعون بين نصره دين الله وإحقيقه وبين
قطع دابر المشركين وإبطال باطلهم ، ويشفي الله
صدورهم بإباحة أموال أخبث وألد أعدائهم لهم ..

وقد جمع الله ذلك للمؤمنين الأوائل وجعله من ثمرات
جهادهم لما أحبوا ما أحبه واختاروا ما اختاره لهم ، فقال :
(فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً * وأورثكم أرضهم
وديارهم وأموالهم)

فلا ينبغي للمجاهد أن يستبدل الذي هو أدنى من
الأهداف التي تميل إليها أهواء النفس - وإن كانت
مشروعة في كثير من الأحيان - بما يحبه الله ويرتضيه
لأهل هذا الجهاد ودينهم مما فيه إحقاق للحق وإبطال
للباطل وقطع لدابر الكافرين .. أقول هذا على ضوء آيات
الأنفال المتقدمة مع أن المفاضلة فيها بين ما يريده الله
من القتال الأنكى والأقطع لأعداء الله المبطل لباطلهم
وبين ما ودّه المؤمنون أن ذاك وكان أمراً مشروعاً غير
مستنكر لا من أهل الإسلام ولا من غيرهم وهو غنيمة
أموال كفار حربيين أخرجوا المسلمين من ديارهم

وأموالهم وأذوهم وعذبوهم ؛ فكيف إذا ترك المقاتل الجهاد الأنقى والأنفع لدين الله والأنكى والأقطع لأعداء الله ، وذهب يتتبع لا أهدافاً سهلة مشروعة ، بل سهلة مشتبهاة أو معصومة محرمة في كثير من الأحيان ؛ لا شك أن هذا يدخل تحت وعيد وتهديد آية النساء المتقدمة (إن الله كان بما تعملون خبيراً) ..

واليوم نرى كثيراً من الشباب الفقراء من العلم الشرعي يتركون أهل الأوثان ويقاتلون أهل الإسلام شعروا أو من حيث لا يشعرون إذ يرغبون عن قتال أعداء الله المحاربين لأن في قتالهم كره واذى ومخاطر ودماء ، ويتخبرون أهدافاً سهلة ، لا أقول أن أكثرها من عوام مجتمعاتنا الذين قد يتلطفون ببعض المكفرات المحتملة غير الصريحة ولا الظاهرة وحسب ، بل أكثرها من فساق المسلمين يغيرون على محالهم وحوانيتهم وبيوتهم ليغنموا أموالهم ويستحلوها لأدنى شبهة ويكفرونهم لأدنى سقطة دون مراعاة لواقع الإستضعاف ودون نظر في موانع وشروط التكفير هذا على فرض أن سقطاتهم تمت إلى المكفرات بصلة فكيف وقد رأينا من يستحل أموال النساء لتبرجهن أو لشبهة تحوم حول سلوكهن ، ومنهم من يختبر سائق سيارة أجرة بأن يوجهه إلى محل بيع للخمور فإن توجهه استحل سلب ماله .. ومنهم من يخون الأمانة ويحدد الدين أو يتهرب من سداده إستحلالاً لِمَال من يخالفه بعدم تكفير فلانا من الطواغيت أو فلانا من علماء السلاطين !!

وأخيراً بلغني عن بعض المتهوِّرين الغلاة في ظل الفوضى العارمة اليوم في العراق تجت ظل الإحتلال الأمريكي ؛ أنهم تركوا قتال الصليبيين الأمريكان وتحولوا إلى الإغارة على عوام الشعب العراقي بدعوى لا أسخف منها ؛ حيث زعموا أن تركيبة الشعب العراقي تتوزع ما بين 60% رافضة وهم يكفرونهم دون تفريق بين رؤوس وعوام و20% ما بين صابئة وأشوريين ويزيديين من عبدة الشيطان و20% ما بين نصارى وبعثيين .. أو شيئاً قريباً من هذا التقسيم السطحي العبثي الذي إضافة إلى اعتماده على دعاوى وإحصائيات الرافضة الكاذبة المضخمة لهم ؛ فإنه إحصاء ظالم للمسلمين السنة إذ لم يبقى لهم وجود ..

وهو قبل ذلك إحصاء وتقسيم متبع لشهوات النفس التي تقدمت الإشارة إليها ليسوع به أصحابه الإغارة على

كل بيت من بيوت العراقيين ممن لا شوكة لهم لتحصيل
مغانم ومكاسب سهلة .. وهو تقسيم لا أظنه صادر إلا عن
اللصوص وقطاع الطرق الذين انتشروا في العراق
ببركات الغزو الأمريكي لأراضيه ..

فليتق الله المنتسبون لهذا الدين أن يصير هدف
جهادهم أو قتالهم مجرد جباية الأموال دون التفات إلى
كونها من جلال أو حرام .. وليعلموا أن دماء المسلمين
وأموالهم وأعراضهم ولو كانوا عصاة فجاراً ؛ معصومة
بعصمة الإسلام لا يجوز استحلالها ، وفي صحيح مسلم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من اقتطع حق
امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه
الجنة) فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟
فقال : وإن قضيماً من أراك .

وفي صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال :
(إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق ، فلهم النار
يوم القيامة)

وقال في خطبته في حجة الوداع : (إن دماءكم
وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في
بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن
أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم
رقاب بعض) متفق عليه .

والعالم بأصول هذا المدين الفقيه بقواعده يعلم أن
مبناه في الدماء والفروج والأموال على الاحتياط ، حتى
أنه درأ الحدود بالشبهات ، وجعل شبهة الأمان أماناً ،
ومنع من زال إليقين الثابت سواء كان إسلاماً أم عصمة
أم ذمة أم أماناً ؛ بالشك أو التخرض .. ومنع من التكفير
بالمجتمعات والظنون أو بلازم القول وماله .. وغير ذلك
مما أقامه لصيانة الدماء والأموال ..

وأيضاً فالجهاد إذا أراد له أهله أن يكون كما يحب الله
ويرضى فيجب أن تقدم فيه مصلحة الإسلام ويجرد من
أهواء النفوس وتراعى فيه السياسة الشرعية والحرص
على سمة الجهاد فلا تطرح مسأله فقط على ضوء
الحلال والحرام والمسلم والكافر والمعاهد والحربي
بمفهومه الإصطلاحي أي غير المعاهد ولا المستامن ولو
لم يكن من المقاتلين .. بل يجب على من كان حريصاً
على الجهاد ومصلحته خصوصاً قبل الإثخان في الأرض أن

ينظر في ثمرات العمل والمصالح المترتبة عليه ويدرس
المفاسد المترتبة عنه إن وجدت ويرجح بين هذه وتلك ،
كما يجب التركيز على المحاربين المقاتلين دون غيرهم
وكذا الطاعنين في الدين ، وتجنب قتل غير المقاتلين
ممن لا يظهرون العداوة للمسلمين في ظل ديار الكفر
بجيث لو وجدت دار الإسلام لكانوا أولى الناس بالذمة
وأولى الناس بقوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا إليهم) فاي مصلحة للمسلمين باستهداف مثل
هؤلاء واستعدادهم وهم يحترمون الإسلام وأهله ولا
يطعنون في شرائعه مع أنهم ليسوا تحت سلطان الإسلام
...

هذه أمثلة ولفقات أردت بها توسيع آفاق ومدارك
الشباب وتبصيرهم بها ، ففي ظل استضعاف المسلمين
وشح مواردهم وإمكاناتهم يجب دائما أن يركزوا كما قلنا
مرارا على الأنقى من القتال الأنفع لدين الله والأنكى في
أعداء الله .. وهذا الأمر يحتاج إلى علم بالشرع وبصر
بالواقع وفقه لميزان المصالح والمفاسد ، ولا يبرر التخطيط
في هذا الباب أو يسوّغ إقدام البعض على أهداف غير
مشروعة أو مضرّة بالجهاد وسمعته وبمصالح المسلمين ؛
دعوى السعي وراء تمويل جهاد المسلمين أو نحو ذلك
من الحجج والمبررات ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ،
والغاية عندنا نحن المسلمين لا تبرر الوسيلة ، بل
للكوسائل أحكام المقاصد ؛ ولذلك فلا بد أن تكون الوسائل
الموصلة لتحقيق غايات الجهاد مشروعة ونظيفة كمنظافة
جهاد المسلمين ونقاوة دينهم ..

فليثق الله كل عامل لهذا الدين في هذا الجهاد العظيم
.. وليضع نصب عينيه دائما ما قاله الخليفة الراشد عمر
بن عبد العزيز : ((إن الله بعث محمدا صلى الله عليه
وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا)) .

الوقفه الرابعة عشر

الخطاب الإعلامي للدعوة والجهاد بين الإفراط والتفريط

في سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام من الفوائد العظيمة ما يثري ويغني الدعوة والجهاد، ويسدّد طريق الداعية والمجاهد ويوفقه لما فيه خير الدعوة والجهاد، ويعود عليه بالثمرات العظيمة، كما يجنبه المفاسد والثمرات الضارة المشوّهة أو الخبيثة..

والدائرس الواعي لهذه السيرة العطرة العظيمة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، المتأمل فيها يعلم أن الله سبحانه وتعالى كان يوجّه نبيه صلى الله عليه وسلم كي ينتقي من الخطاب الدعوي والأعمال والاختيارات والأولويات ما يراعي به تارة..

! طبيعة المخاطب وخلفيته العقائدية أو الفكرية والأخلاقية وهذا يلزمه معرفة في الناس والرجال وعشائهم وطبائعهم.
! ويراعي طبيعة المخاطب من حيث كونه معانداً للدعوة محارباً للدين أو غير محارب ولا معانداً..
! وتارة تراه يراعي إمكانات الدعوة والطائفة المؤمنة أو طبيعة المرحلة والظرف والواقع والزمان..

يفعل ذلك كله وفقاً لميزان شرعي يراعي ويقدم أعظم المصالح عند تعارضها ويدرا أعظم المفاسد عند تزاوجها دون إخلال بالتوابت الشرعية والعري الوثقى والأركان الركينة للدين والتوحيد..

خذ علي سبيل المثال في مراعاة طبيعة المخاطب وخلفيته الأخلاقية أو الاجتماعية أو الفكرية وما يعظمه ويحبه من المكارم والمحاسن.. خطابه صلى الله عليه وسلم الدعوي مع قومه في مطلع دعوته والذي يحدث به أبو سفيان يوم كان عدواً له وينقله عنه إلى هرقل عظيم الروم لما سأل هرقل: ماذا يأمركم؟ فقال بعد أن ذكر أصل خطاب النبي ورأسه وأسه وهو التوحيد؛ قال: (ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة).

فتأمل هذا الخطاب الذي رسيخ في أذهان أعدائه آنذاك، وفي أحاديث أخرى ورد أمره لهم بوفاء العهد وأداء الأمانة وإحياء المؤودة وإنكار قتلها ونحو ذلك من محاسن الأخلاق التي يجمع على حسنها جميع العقلاء وتمتدحها الفطرة ليعرّفهم ويظهر لهم محاسن دينه وأنه ما جاء إلا ليكمل محاسن الأخلاق التي يتباهى وبفاخر بها ويجلها عقلاؤهم وأشرفهم..

ومن جنس ذلك خطابه لهم بملة إبراهيم وأنه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين أولى الناس بإبراهيم الذي تعظمه قريش وتنتسب إليه..

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم له رقل في كتابه إليه بعد أن ذكر التوحيد: (أسلم تسلم يؤتك الله أجرًا مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين).

فإن فيه إشارة وتنبيه للأريسيين وهم أهل مملكة هرقل إلى حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم وبيان أن هرقل مسئول عن إضلالهم..

وهذا النوع من الخطاب أعني إظهار الأنبياء حرصهم على هداية أقوامهم وإظهارهم خوفهم عليهم من العذاب الأليم مقدر في دعوة الأنبياء ومن ذلك قول نوح لقومه: **{ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }**.

فأي حرج بعد هذا في مثل هذا الخطاب الذي يُظهر حرص الداعية أو المجاهد على هداية الناس أو حب الخير لهم أو نصرة المستضعفين وتخليصهم من تسلط وإضلال الطغاة والظلمة لهم أو الحرص على نشر الأمن والعدل والإحسان ومحاربة الظلم والفساد والطغيان، والله لا يتخرج من هذا وينكره إلا أصحاب العقول الضعيفة الجاهلون بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوة سائر الأنبياء..

فديننا جاء لهداية الناس أجمعين وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد.. ورسولنا بعث رحمة للعالمين..

وليس في هذا الخطاب تحريف للأصول أو تمييع للثوابت أو مداهنة للكفار أو ركون، بل هو حق مشرق

وثابت من ثوابت ديننا يجب على الداعية بيانه وإظهاره وإبرازه للناس كافة، ولا مانع من التركيز عليه وتعمد الدندنة حوله مع من يحب مثل هذه المحاسن أو يعظمها من الكفار..

ومن جنس هذا ما رواه البخاري في قصة الحديدية لما جاءه من طرف قريش رجل من بني كنانة فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال صلى الله عليه وسلم: (هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له) فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت)..

فتأمل معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريسه بأحوال الناس عموماً في زمانه، ومن جنس ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان يمان والكفر قبل المشرق والسكينة في أهل الغنم، والفخر والرياء، وفي رواية والخيلاء في الفدادين أهل الخيل والوبر)، ليُعرف أصحابه بأحوال الناس وخلفيات من يتعاملون معهم، ولذلك لما أمر حسان بهجاء قريش أمره أن يأتي أولاً أبياً بكر ليحدثه عنهم وعن أيامهم وأخبارهم.. ولما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب) فعرفه أولاً بخلفيتهم العقائدية أو الثقافية سمها ما شئت، ثم دله كيف يتعامل معهم والأولويات التي يخاطبهم بها وبماذا يبدأ بدعوتهم، تأمل هذا كله وسجله في فوائدك ثم تأمل خطابه وتعامله مع الناس على قدر عقولهم ومراعاته لما يعظمونه وإظهاره لهم وإبرازه وإعلانه ما دام من ديننا.. وإياك أن يضيق عقلك عن استيعابه أو تعدّه تلوّناً أو مدهانة أو نحوه من جهل الجاهلين ففي البخاري عن علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

ومن مراعاته صلى الله عليه وسلم للمخاطب من جهة كونه معانداً محارباً أو مهادناً غير محارب ولا معانداً.. تطبيقه الحكيم وعمله في سيرته بقوله تعالى: **{ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من**

دياركم وظاهروا علي إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون}.

وقوله سبحانه: **{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم..}**.

ومن جنس ذلك قوله تعالى لموسى وهارون في شأن الطاغية فرعون في أول خطاب لهما معه: **{فقلوا له قولا لبنا لعله يتذكر أو يخشى}..** فلما عاند الآيات الواضحات وجدها واستكبر عنها.. قال له موسى: **{لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشورا}.**

فتأمل طبيعة خطابهم معه ابتداء وطبيعة الخطاب معه بعد عناده..

وخذ على سبيل المثال مراعاته إمكانات الدعوة والطائفة المؤمنة وطبيعة المرحلة والواقع في موضوع التدرج في تشريع الجهاد.. حيث كان الأمر أولاً بالكف والعفو والصفح والإعراض عن المشركين والصبر على أذاهم..

ثم لما هاجر المؤمنون ووجدوا المأوى والنصرة وكانوا في أوائل عهد دولتهم أذن لهم بالقتال لدفع أذى المشركين ولم يوجب عليهم القتال إيجاباً..

وفي هذه الفترة كان صلى الله عليه وسلم يترك قتل من قد يترتب على قتله مفسدة على المسلمين فكان يسمع أذى المنافقين ويبلغه أذاهم ويطلب منه أصحابه قتلهم فيقول: (دعهم لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) وتارة يقول: (إذا تُرِّعِدَ له أنفٌ كثيرة يثرب).

وعاهد اليهود ووادعهم وأقرهم على أحلافهم التي كانوا عليها حتى إنه صلى الله عليه وسلم عاهدهم على أن يعينوه إذا حارب.. وكانوا بعد ذلك يؤذونه ويقولون راعنا وهو سب قبيح عندهم من الرعونة، ويقولون (اسمع غير مُسْمَع) ونحوه مما كان يصبر عليه صلى الله عليه وسلم وكانوا يُسلمون عليه بالسام عليك، فيقول (وعليكم) ولا يزيد على ذلك ولا يتعرض لهم ويترك قتلهم لآذاه ونهى أصحابه عن قتلهم لما استأمره بعضهم في ذلك، بل كان خطابه معهم رفيقا، ونهى عائشة رضي الله

عنها عن سبهم مقابلة لذلك وقال لها: (الرفق ما كان في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه) وكل ذلك لا شك من مراعاته للمرحلة التي كانت دولة المسلمين فيها ناشئة وتمكينهم في أوّله..

ثم كان الأمر بعد ذلك برد لإعتداء بمثله وقتال من أخرجوا المؤمنين من ديارهم وأموالهم.

ثم أعز الله المسلمين بدر وكان ذلك بداية عزتهم، حيث أذل ذلك رقاب أكثر الكفار الذين بالمدينة وأرهب سائر الكفار.. فقام صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة ببعض أعمال النكايه في بعض اليهود الذين لم يكن في قتلهم مفسدة على أهل الإسلام ودارهم، فقتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود وأمثاله ولكنه لم يتوسع في ذلك بل اكتفى بقتل من كان يؤذيه ممن لا يحصل في قتله مفسدة، إلى أن استتب له الأمر أكثر في المدينة فأجلى من أجله منهم وقتل من قتله، كل ذلك فعله بعد غدرهم أو نقض عهودهم ليكون فعله جامعاً لأهل المدينة ومن فيهم من حدثاء الإسلام ممن كانت بينهم وبين اليهود تحالفات ومصالح، ولو فعله قبل ذلك ودون أن تبدر منهم بادرة لأرعدت لهم أنف كثيرة، ولكنه الفقه والسياسة الشرعية الحكيمة التي من حرمها تحبب وأضاع مصالح المسلمين وضع من استرعاها الله أمرهم..

ثم لما حصل له الإثخان في الأرض أمر بقتال المشركين كافة وقتال اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.. وأمر بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم..

وهذا كله من مراعاة حال الفئة المؤمنة أو الدولة المسلمة وإمكاناتها وقوتها..

ولذلك فخطاب الفئة أو الدولة المسلمة حال ضعفها للأعداء الداخليين والخارجيين ليس هو كخطابها بعد زوال ضعفها وليس هو كخطابها بعد قوتها، وهذه القوة أيضاً يختلف الخطاب والنهج فيها بحسب وزنها فخطاب الدولة المسلمة واختياراتها في زماننا قبل أن تمتلك السلاح النووي الرادع مثلاً ليس كخطابها واختياراتها بعد أن تمتلكه.. وهكذا..

كل ذلك كما قدمنا دون مس بالثوابت أو تمييع للعري الوثقى..

فالإحسان والمداراة التي هي من أخلاق المؤمنين وهي كما هو معلوم غير المداهنة، وكذا العفو والصفح والإغراض عن أذى المشركين وعدم بداءتهم بالقتال كل ذلك جائز حال ضعف المسلمين أو إذا اقتضته مصلحة الجماعة أو الدولة ولا يناقض أو يعارض ثوابت التوحيد والولاء والبراء ونحوها من العري الوثقى..

ولأهمية هذا الأمر وكثرة النصوص فيه أخرج بعض العلماء التدرج فيه من المنسوخ وعدوه من المنسأ الذي يجوز للمسلم أن يختار منه ما يناسب حاله وقوته وضعفه وظرفه..

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (.. وصارت تلك الآيات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه، وصارت آية الصغار على المعاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه، وبهذه الآية ونحوها كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عهد خلفائه الراشدين، وكذلك هو إلى قيام الساعة، لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام، فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) أهـ. الصارم المسلول.

ومن مراعاته صلى الله عليه وسلم لسمعة الدعوة حرصه على نقاوة الجهاد وطهارته من كل شائبة أنه كان يعلن براءته من الأخطاء الصريحة الواضحة التي صدرت من بعض أصحابه دون أدنى حرج من ذلك، فإن في ذلك تعظيم وتقديم لسمعة الجهاد والدعوة ومصحتها على كل اعتبار آخر، وذلك كقوله لما قتل خالد رضي الله عنه بعض من اعتصموا بالسجود وقالوا صبئنا ولم يحسنوا أن يقولوا أمنا، قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) وتنبه أنه برئ من صنعه وخطأه ولم يبرأ منه

هو، ومن جنس ذلك إنكاره على أسامة لما قتل الرجل الذي أقر بشهادة التوحيد فقال له: (أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟) أو كيف تفعل بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟).

أو نحو ذلك، وجعل يرددها حتى تمنى أسامة رضي الله عنه أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم لما رأى من عظم إنكار النبي صلى الله عليه وسلم لذلك...

ومن جنس ذلك أيضاً قصة قتل ابن الحضرمي في أول الشهر الحرام وتعبير الكفار للمؤمنين بذلك حيث لم يتضرر المؤمنون بهذا التعبير ولا جادلوا- حاشاهم- في ذلك بالباطل كرد فعل لتعبير الكفار لهم به، بل علمهم الله تعالى أن يقروا بالحق دوماً في خطابهم ويبرءوا من الخطأ ولو على أنفسهم حرصاً على سمعة الجهاد ونقاوته وتقديمها لمصلحته على أنفسهم ومصالحهم؛ فقال تعالى: **{ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير }** فعلمهم الله تعالى أن لا يماروا بمثل هذا وأن يسلموا بالحق لأنهم أولى الناس بالحق وأسعدهم به، وأن لا يبرءوا منه في أي ظرف من الظروف بل يبرءوا من الخطأ ولو صدر منهم أو من إخوانهم لأن الحق مقدم عندهم وهو أحب إليهم من أنفسهم ومن الناس أجمعين، فيكون الرد على الكفار لا بالجدال بالباطل أو تمييع أمر الحق أو ترقيع الخطأ، بل بالإقرار بالحق والتبري من الخطأ وبيان أن جرائم الكفار أعظم من هذه الأخطاء التي يتصيدونها على المؤمنين وذلك قوله تعالى: **{ وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل }**.

إذا تقرر هذا فإننا نفتقد اليوم الخطاب الإعلامي الناضج للدعوة والجهاد، وإن ما نراه اليوم من خطاب إعلامي للدعوة والقتال في نهج كثير من الطوائف المقاتلة وغيرها مضيق بين طرفي نقيض..

فطائفة مالت به إلى التفريط فميّعت بخطابها الثوابت الدينية وأذابت الأصول ودكت الأركان والعرى التي لا تجوز المساومة فيها أو التنازل عنها..

فمنهم من آخى الكفار والملحدين واتخذ النصارى والملاحدة وأعداء الدين بطانة من دون المؤمنين..

فسمعنا ورأينا الموالاتة والمؤاخاة بين قادة منتسبين للإسلام والجهاد وبين الملاحدة أو الطواغيت ورؤوس الكفر بحجج الخندق الواحد والعدو المشترك، والمصلحة المشتركة، وصارت الموالاتة وفقاً للحدود الجغرافية التي رسمها وحدّها سايكس و بيكو لا وفقاً لحدود الله.

وسمعنا الطعن في الجهاد والمجاهدين المخلصين والبراءة منهم ومن جهادهم وتولي طواغيت الحكم والنصارى ونحوهم والركون إليهم في ظل الوحدة الوطنية ومصصلحة الوطن وأمنه و.. و.. إلخ..

وسمعنا خطاب التسيّب والتخبّط والتحلّل من عرى الدين وهدم أعظم أركانه وتحريف ثوابته والمشاركة بالشرك وتزيينه في خطابهم، واختياره نهجاً ومسلكاً سياسياً تحت مسمى الحسبة والشورى أو الجهاد الدستوري والكفاح البرلماني والنضال القانوني التشريعي، فاقترفوا الشرك الصراح والكفر البواح والموبيقات يدعوى الخطاب الإعلامي الجامع والموحد للأمة، وأحياناً يدعوى مصلحة الدعوة التي هدموا أعظم ثوابتها وذوّبوا أهم عراها..

وإذا تكلموا في الجهاد حرّفوا أسسه وأصوله وغاياته إرضاء للأعداء، ولوّنوا خطابهم ومسخّوه ليأتي مسائراً لثقافة العولمة التي أتدحر أمامها هؤلاء الأقبام وانهمزوا، فتارة يمسخونه ويقلمون مخالفه ليدجّنوه ويجعلونه دفاعياً، ويفرغون خطابهم من ثقافة الجوارح ليصبغوه بثقافة الدواجن يدعوى التسامح والمحبة والخطاب الإعلامي المعتدل أو الموحد للقوى الوطنية!! ونحوها من الدعوى والمسميات التي تذوّب عرى الولاء والبراء..

وتارة يقصرون أهدافه على التحرير من العدو الخارجي ويؤاخون في ظل جهادهم الوطني الجاهلي الذي يجمع تحت رايته الكفار والفجار، يؤاخون العدو الداخلي الذي غالباً ما يكون أخبث وأكفر من العدو الخارجي..

ومعلوم الفرق الواضح المبين بين السياسة النبوية الشرعية في الإغراض عن بعض الكفار والمنافقين أو موادعتهم ومعاهدتهم أو تأجيل قتالهم بل والتحالف معهم في بعض الظروف والأحوال دون إخلال بثوابت التوحيد وعرى الإيمان، وبين مؤاخاة أو موالاتة أو موادة عدو

عدوي، أو ابن عشيرتي ووطني الذين برؤوا من الدين وناقضوا التوحيد بدعوى التخندق بخندق الوطن ومصالحته المشتركة ووحده الوطنية ونحو ذلك من العلائق والوشائج والمرتكزات الجاهلية..

بل رأينا كثيراً من هؤلاء المتخبطين أهل الخطاب الانهزامي الاندحاري قد باعوا التوحيد الذي جاء فرقا بين ملل الكفر وفرقانا بين الكفر والإيمان؛ واستعاضوا عنه بالوحدة الوطنية وأخوة النضال التي أخا بها بين اليهود والنصارى وملل الكفر كلها في ظل الإيمان المائع الممسوخ الذي اخترعوه وجمعوا به بين أتباع الديانات السماوية وسموها الديانات التوحيدية!!

ومعلوم الفرق العظيم بين مداراة الطوائف المختلفة أو مهادنتهم ومعاهدتهم ومسايسنتهم أو معاشرتهم بالمعروف ما داموا لا يطعنون في ديننا، أو محالفتهم للحاجة والمرحلة، وترك قتالهم ولو طعنوا في ديننا وأذونا لأولويات أخرى أو لضعف الإمكانيات ونحو ذلك من السياسة الشرعية؛ فرق بين هذا وماخاتهم وتوليهم وموادتهم والركون إليهم أو مظاهرتهم وتقديمهم على المسلمين وهدم الثوابت والعرى الوثقى لسواد عيونهم ولتطبيب خواطرهم والظهور بمظهر الدين (الموديرن) المرضي عنه عند الكفار...! فهذا كله من الاندحار والسقوط والانهزام وليس من السياسة الشرعية في شيء..

وفي مقابل هذا الخطاب الانبطاحي الإنهزامي الذي ينسحق تحت بساطير الثقافة الغربية ويندحر أمام إرهاب أذناها الفكري في بلادنا..

يقابل هذا التفريط خطاب قوم أفرطوا فلم يراعوا ما كان يراعيه النبي صلى الله عليه وسلم من ظروف واحوال وأولويات، ولا يراعون إمكانياتهم وقوتهم وعدم إتيانهم في الأرض، ولا يقدمون حاجات أمتهم الماسة الراجعة أو يلتفتون إلى ميزان المصالح والمفاسد الشرعي..

فالبعض منهم ورغم إمكانياته المحدودة المكشوفة يتصرف ويواجه العالم بخطاب من يملك أسلحة الدمار الشامل، ويطلق تهديده ووعيده للدنيا كلها فيذعر العالم كله ويؤلمه على المسلمين في كل بقاع الأرض؛ لا أولوية

عنده ولا مرحلية ولا سياسية شرعية.. ولا يهمله ما يترتب على خطابه الحماسي الأجوف من أذى وتضييق وتشديد على المسلمين..

ولا يلتفت أو يضع في حساباته معرفة واقع اليوم ومكائد الأعداء والأولي بالجهاد منهم، فلا يفرق بين جهة وجهة وبين نظام ونظام حيثما تيسرت له بعض الأسلحة والمتفجرات اختار ما يسهل من الأهداف دون أن ينظر في الفوائد والعوائد والمصالح والمفاسد..

وليس في برنامجه ولا في حساباته النظر في واقع البلد التي يتحرك فيها، وحال المسلمين فيها وموقفها من قضاياهم، ولا يفكر بدراسة حال أهلها ليختار من الخطاب الشرعي الناصح ما يناسب المرحلة والظرف والحال وما يحقق أعظم المصالح للإسلام والمسلمين ويدرا عنهم أعظم المفاسد.. فذلك كله لا يعنيه، وإذا راجعته بإطلاق أطلقه أو تصریح قذف به هنا أو هناك استغلته وسائل الإعلام لتشويه الدين والتأليب على المسلمين.. أكتفى في محاجته لك بقوله: أليس هذا من الدين..؟؟

ولم يراع مصلحة أو مفسدة.. ولا نظر في مهم وأهم وراجح ومرجوح أو فاضل ومفضول..

وفي الأثر الذي يرويه مسلم عن عبد الله بن مسعود: (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة).

وعن عبد الرحمن بن مهدي: (لا يكون الرجل إماماً يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع).

وسئل بعض أهل العلم عن شيء من العلم فلم يجب. فقال السائل: أما سمعت حديث (من علم علماً فكتمه أجم يوم القيامة بلجام من النار)؟ فقال: أترك اللجام واذهب! فإن جاء من يفقه وكتمته، فليلجمني به.

والعمل الجهادي أو الدعوي إذا لم يهيمن عليه عقل ناصح ويوظف بخطاب إعلامي واع واضح وبرنامج محدد معلوم للأنصار ولعموم الناس فقد يوظفه أعداؤه لماربهم ويصبغوه باللون والصبغة التي يريدون ويقطفون بخبثهم وبسطحية أهله من الثمرات الخبيثة ما يشتهون..

وقد سمعنا ورأينا من ذلك أمثلة كثيرة..

فرأينا من المتحمسين من تُسلط عليه الأضواء وتُسخر له منابر الإعلام من صحافة وتلفاز وغيره ما دام خطابه مصبوغاً بما يخدم بعض مصالح الأعداء كتهيج الناس على المسلمين وتأليبهم على الدعاة وحشد المبررات التي تسوغ قمعهم وتساعد على التصيق عليهم واستئصالهم، حتى أننا رأينا من يُسخر له وسائل الإعلام ليتحدث عبر الفضائيات عن الألغام الطائرة التي اخترعها تنظيمه، والبعض الآخر يتكلم عن خطبه لامتلاك قنابل نووية.. وغيره يتوعد بضربة مزلزلة في أمريكا ستحصدهم ألف قتيل، وغيره يتكلم عن ضربة مذهلة ورد صاعق.. ونسمع هنا وهناك جعجة يستغلها الأعداء ولا نرى طحنا.

والناظر إلى سياسات الدول التي تحترم مصالحها يرى من يمتلك منها مثل هذه القدرات حقاً وفعلاً يراوغ كي لا يعترف بامتلاكها، وهؤلاء الشباب يلقون دون مبالاة بأمثال هذه التصريحات الرنانة وذلك الخطاب الناري الذي لا يخدم مصالح المسلمين ولا جهادهم ولا يراعي استضعاف مستضعفيهم في كل مكان ويصبح وسيلة وذريعة يتخذها الأعداء لتحقيق مآربهم المختلفة..

كما رأينا من يُستغل ويُستعمل عبر وسائل الإعلام لبث خطابه المصبوغ بالطعن بالدعاة المخلصين ورموز الإسلام ومشايخه العظام كابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب أو سيد قطب ونحوهم لبعض الهنات التي أفنى عمره في التنبيش عنها بين طيات كتاباتهم العظيمة، فينطلق بغيائه بدافع تصفية الحسابات مع بعض الاتجاهات أو الجماعات المخالفة له ويسخر جهده ووقته للطعن في أهل الدعوة والجهاد من العلماء والدعاة ويستغله ويستعمله الطواغيت في ذلك فينشرون له كتاباته ويسخرون له منابرهم ووسائل إعلامهم، كل ذلك منهم لحرب الإسلام والجهاد وتشويه العلماء والمجاهدين وينساق الغر معهم بحماس وغباء لحسابات عنده خاصة وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

وأحياناً تُسخر صفحات الجرائد لمقابلات مع بعض المتحمسين أو الغلاة ويمكنوا من نشر عقائدهم التي تحوي على كثير من التخليط عبر وسائل الإعلام ويُرَكِّز فيها عن عمد ويظهر تحديداً تكفيرهم لبعض المشايخ أو العلماء المشاهير أو تكفيرهم لبعض عوام الناس أو بعض

أقطاب المعارضة للنظام ليحرف الطواغيت بذلك
المعركة ويبعدون حربها وحرابها عنهم إلى أولئك المشايخ
أو المعارضين أو عامة الشعب..

ثم ما يفتأ أن ينقلب الطواغيت إلى مدافعين عن
الشعب وعن العلماء بل وعن المعارضين من هذه الأفكار
التكفيرية والخارجية!! الضالة ونحوه مما يصفون به
عموم الدعاة، وينبرون لقمعهم هم وغيرهم من الدعاة
والمجاهدين تحت هذا الغطاء ويُسهّل لهم بعض السذج
ذلك بانشغالهم بأشياء مرجوحة أو بمكفرات غير صريحة
أو بفتح جبهات مع فجار أو كفار غير محاربين للدين
فيشتتوا بذلك دائرة الصراع وبخلطوا الأوراق..

ولو تأملوا سيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم وخطابه
المراعي للمرحلة والحالة التي تمر بها الفئة المؤمنة
وتدبروا قوله في بعض المراحل: (دعهم لا يتحدث الناس
أن محمداً يقتل أصحابه) لعرفوا الأولى فالأولى.. ولفقهوا
كيف تورد الإبل.. ومن أين تؤكل الكتف..

وما أفقه الحسن يوم أنكر تحديث أنس للحجاج بحدِيث
العربيين وما عاقبهم النبي صلى الله عليه وسلم به! لأن
الحجاج سيئتها، بل اتخذها فعلاً وسيلة وذريعة إلى ما
كان يعتمد منه من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي!!

ولذلك أعتقد جازماً أن تصنيف بعض العلماء واجتهادهم
في إثبات جواز كشف المرأة للوجه والكفين في زمن
التحلل والتفسيخ والتبرج والسفور، وتصديه بكل ما أوتي
من قوة للرد على كل من خالفه وقال بوجوب سترهما
ذلك غفلة منه عن مراعاة واقع أهل العصر وصاحبه قد
حرم هذا الفقه بغض النظر عن صحة مذهبه أو خطئه...

ولشيء من هذا القبيل شُنع على أخينا الشيخ أبي
قتادة فك الله أسره وأسرننا في فتواه بخصوص قتل نساء
وصبيان جنرالات الجزائر الذين كانوا يفعلون بنساء
وصبيان المجاهدين الأفاعيل..

ومن يعرف طبيعة الجزائريين وشدة الغالبية منهم إلا
من رحم الله يرى أن أخانا لم يحالفه التوفيق في
خطابهم بها، بغض النظر عن ظروف الفتوى ودواعيها
وأدلتها، فهو إن شاء الله مجتهد له أجر على أقل
الأحوال..

أما الغلاة منهم فلا يحتاجون لمثل هذه الفتوى والشيخ أصلاً لم يحزرها لهم، ولكنهم مع هذا ومع عداوتهم للشيخ وتكفير بعضهم له لا يؤمن أن يتخذوها ذريعة لمزيد من الجراءة على الدماء، وقد صارت هذه الفتوى عقبة يواجه بها الشيخ في كل أن، بل أطلقها خصومه غير المنصفين وعمموا فصاروا يدعون أنه لفتى بجواز قتل أطفال ونساء الجزائر هكذا عموماً، فعليهم من الله ما يستحقون..

وقد قال بعض الأدباء: إذا نطقت فأحسب كلماتك، وجلبها وأبى مقاصدها، ولا تجعلها حمالة أوجه، ولا تطلق ما قد يساء فهمه ويستشكل ويحتاج إلى شرح وتوضيح، فإن الخصم لا يذكر لك تاويلاً.. وإن كان في قلبه مرض صرف قولك ووجهه كيف شاء..

ومن أمثلة الخطاب الإعلامي الذي لا يراعي إمكانات الفئة المجاهدة ولا يحسب لمعطيات الواقع حساباته ولا يراعي الأولى والأهم ولا يتعاطى مع المرحلة بأولوياتها.. ما قرأناه وسمعناه في بيانات بعض المجاهدين حديثاً..

ففي الوقت الذي كان القتال فيه محتدماً بين فئات الشعب العراقي المختلفة وفي مدنه المتفرقة، والذي كانت تخرج علينا فيه طوائف الضلال التي فعلت ولا زالت تفعل بأهل السنة الأفاعيل، ليعلن رؤوسها ومرجعياتها وقادتها بل وعوامها على شاشات التلفزة أنهم يقفون إلى جنب أهالي الفلوجة - مع أنهم لم يقفوا ولن يقفوا - وأن مصاب الفلوجة مصابهم والدم النازف فيها دمهم..

خرج علينا بعض المجاهدين الذين لا نشك في إخلاصهم وولائهم للدين، ولكن بنضوج خطابهم وخبراتهم وحسن اختيارهم وتوقيتهم؛ ليعلنوا للدنيا كلها بخطاب ساذج لا يراعي ظروف المجاهدين ولا إمكاناتهم ولا واقع البلد وطبيعة المرحلة يدعون فيه إلى إشعال الحرب على تلك الطوائف ويعلنون استهدافها وسعيهم لقتل رؤوسها ومرجعياتها بل وتبنيهم قتل من قتل منهم سابقاً مع أن ذلك كان قد الصق بلسان الطائفة والإعلام بالأمريكان، وصاحبناً بدلاً من أن يصدق ذلك ويؤكد توجيها للصراع إلى الأمريكان يُبرئ ساحتهم ويتحمل هو ويحمل المجاهدين ومن ثم أهل السنة تبعات دمه ودماء العشرات الذين قتلوا معه..

ليفتح المجال بذلك أمام أعداء الله من الصليبيين وغيرهم لاستغلال هذا الخطاب، وجعل صاحبه مشجبا للحرب الأهلية التي يحضرون لها، كما قد حاولوا من قبل جعله رابطا بين القاعدة وصدام، ويحرصون على أن يصبغوه بالصبغة الإرهابية المستهدفة لعوام الشعب العراقي بل ولعوام الشعب في بلده من خلال استغلال بعض العمليات المحبطة التي ينسبها له أحيانا بعض الشباب في اعترافاتهم أو ينسبها النظام له تليقا وتزويرا وبتشويه كبير في أحيان أخرى، وكم أتمنى أن ينضج خطابه ويوفق في اختياراته ليضيع عليهم الفرصة ويمسي رمزا من رموز الجهاد وبطلا من أبطال مقاومة الاحتلال الصليبي يلتف حوله عموم المجاهدين بل وعموم أهل السنة هناك..

ولكن ذلك لا يكفي له الإخلاص والورع ولا الجرأة والشجاعة وحسب، فهذا قد يكفي للقادة الميدانيين وما أكثرهم أما القائد العام والرمز الذي يحرك الناس ويقود الجماهير والأمة بأمس الحاجة إليه اليوم فتلزمه خصال وصفات أخرى في مقدمتها نضوج الخطاب الإعلامي وحسن الاختيار ومعرفة الواقع لمراعاة ظروفه ومعطياته في كل خطوة واختيار، ويلزمه فهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان يخاطب كل أناس خطابا يوائم خلفيتهم ويراعي ظروف المرحلة وإمكانات المسلمين وأهم احتياجاتهم وأولوياتهم دون مس بالثوابت والأركان كما قدمنا..

ولا يخرج ذلك الخطاب من السذاجة والسطحية أو يُبرِّره كون تلك الطوائف فعلت في أهل السنة الأفاعيل من خطف للنساء وقتل للعلماء واحتلال للمساجد ونحوه؛ فهم لخبثهم يفعلون ذلك وأكثر منه كما بلغنا عن الثقات ولكن يدهاء يمنعهم من أن يعلنوا عنه - لا كما يفعل صاحبنا - بل على العكس فهم يفعلون هذه الأفاعيل في مختلف مناطق العراق ويفعلون أشياء منها في إيران كما فعلوا مثلها من قبل في أفغانستان على أيدي حزب الوحدة الذي كان يتحالف مع جميع أعداء أهل السنة ولو كانوا من الشيوعيين، وكما فعلت منظمة أمل في لبنان في تل الزعتر وغيره.. وهكذا هم كلما سنحت لهم فرصة في التنكيل بأهل السنة لا يضيعوها، أعرف هذا ولا يخفى عليّ، ولكن الحاصل اليوم لأهل السنة في العراق على أيديهم لا يتبنونه ولا يعلنون عنه أو يتخذون منه خطابا؛ بل على العكس فإن الصبغة المعلنة والظاهرة لخطابهم

السياسي أن لا فرق بين السنة والشيعية وأن السنة إخوانهم ويعلنون هم وأعدائهم في إيران ولبنان عن وقوفهم إلى جنب أهل السنة واستنكارهم لما يحصل لهم في الفلوجة وفي فلسطين وغيرها ولا يثيرون في إعلامهم الخارجي قضية السنة والشيعية بل يحاولون في خطابهم المعلن - خلافا للحقائق على أرض الواقع - تذويب هذه الفروق، وجعل طائفتهم مذهباً خامساً مضافاً إلى المذاهب الأربعة لأهل السنة لا طابوراً خامساً متامراً عليهم منذ زمن هو لاكو إلى اليوم، وهذا الخطاب لا تسمعه بالطبع في أماكن نفوذهم وتسلطهم على أهل السنة، لكنهم لا يعلنون عن أفاعيلهم كما يفعل السذج من أهل السنة، ولذلك ترى الأغرار من الناس اليوم يتهمون أهل السنة بالفتنة والتفرقة والسطحية، بينما يصفون تلك الطوائف بالاعتدال والنضوج الفكري والحرص على الوحدة، حتى إنهم لأجل ذلك ولتكريسه في أذهان الجهال لا يثيرون عبر فضائيتهم أذاتهم المخالف لأذان أهل السنة بألفاظه وأوقاته...!!

وإذا كان دينهم القائم على التقية يجيز لهم هذا النفاق والتلون والخداع كتلون وخداع الحرياء؛ فنحن لا نطالب مجاهدينا بالتقية أو التلون، بل نطالبهم بمراعاة إمكاناتهم وحجمهم وحاجات أمتهم وتقديم الأولويات في خطابهم الإعلامي وفي اختياراتهم العملية، وأن يفعلوا فقه النبي صلى الله عليه وسلم الذي يفهم مما تقدم في قوله: (إذا تُرْعِدَ لِهْ أَنْفٌ كَثِيرَةٌ بِثَرِبٍ) وقوله: (دعهم لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) فهذه الطائفة وأمثالها شاء المجاهدون أم أبوا محسوبة إعلامياً وعالمياً على الإسلام كما كان المنافقون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم محسوبون على الإسلام، ولم تقتلها الخلافة حتى يتمكن أولئك المجاهدون من استئصالها ببعض عمليات النكابة، فهي واقع يجب التعامل معه بالسياسة الشرعية والحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً فالأصل أن يكون خطاب المجاهدين الإعلامي متجنباً الدعوة للصدام مع هذه الطوائف وإن احتيج لمثل ذلك طرح على سبيل دفع الصائل الذي يجوز حتى مع المسلمين ولا يطرح على أنه استراتيجية أو نهج يحرض عليه المسلمون؛ فيحسب عند المراقبين ويستغل عند الإعداء على أنه فتنة ودعوة من أصحابه إلى الحرب الأهلية في الوقت الذي يعلن فيه المعتدون الحقيقيون من أهل تلك الطائفة رفضهم للفتنة والحرب الأهلية

ويدندنون في إعلامهم على أخوتهم لأهل السنة ونبذهم للفرقة كذبا وزورا..

والمقصود أنه لا ينبغي أن يتخذ دفع الصائل الذي هو استثناء يجوز حتى مع المسلمين؛ اختيارا أصليا وخطابا عاما يُعلن للامة ويحرض عليه المجاهدون عموما وعلنا..

بل يمكن ممارسة ذلك بدفع عدوان مثل هذه الطوائف ورد اذاها بل واغتيال رؤوس الكفر والتحريض والاعتداء والفتنة منهم إن لزم الأمر دون أن يتخذ ذلك خطابا عاما وإعلانا لا يفرق بين المعتدي منهم وغيره ولا بين الرؤوس الضلال والعوام المضللين.. فخطاب الجهاد العام والأصيل والذي يتفق عليه عوام المسلمين وخواصهم لا يصح أن يدوب في فروعه أو يضع بالانشغال في استثناءاته أو في اختيارات أخرى مرجوحة..

تماماً كما أنه لا يعقل أن يصطبغ مثلاً خطاب المجاهدين الإعلامي العام بالذنبة حول جواز قتل النساء والصبيان في البيات، وهو خطاب خاص استثنائي فرعي خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم خواص المجاهدين ليرفع عنه الحرج في الجهاد؛ فلا يصح ولا يعقل أن يتخذ هذا الخطاب الخاص ويُحوّل إلى خطاب إعلامي عام، فيطنطن على سبيل المثال حول جواز قتل النساء والذرية وتخطب به الصحافة العالمية ويدندن حوله في الفضائيات والبيانات والإعلانات التي يخاطب بها العالم، بل يخاطب الناس بالخطاب الإسلامي العام الذي هو الأصل في الجهاد الإسلامي من النهي عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والزمنى والرهبان ونحوهم ممن لا يقاتلون ولا يعينون على قتال..

ولا يصح بحال ولا يعقل أن يُهمل الأصل ويخاطب الناس بالاستثناء..

ومثل ذلك ما تقدم من خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه، فقد كان إظهاراً وإعلانياً لمحاسن ديننا الأصيلة التي تنسجم مع الفطر ويجمع عليها جميع العقلاء ومن ذلك الصدق الذي ذكره أبو سفيان ونقله لهرقل؛ لا يعقل أن يُترك هذا الخطاب الأصيل في ديننا الذي بحث على الصدق ويحرم الكذب؛ ويستبدل بخطاب إعلامي عام يدندن على جواز الكذب في الحرب مثلاً، ويجعل ذلك صبغة للخطاب الإسلامي أو يُساء استعماله ويتمادى به

ويفتح علي مصراعيه لغير حاجة حتى يوصم الدعاة بالكذب مع ان نبهم صلى الله عليه وسلم كان يعرف عند أعدائه بالصادق الأمين!! فيتحول الفرع والاستثناء الذي خوطب به خواص المجاهدين لرفع الحرج عنهم في الحرب؛ ويصير أو يتخذ خطاباً عاماً للناس والمدعويين..

صغار العقول والسطحيون يقولون: يا أخي هذا من ديننا ولا نستحيي أو نخجل منه، ولذلك فلا مانع عندهم ولا حرج من صبغ خطابهم العام به.

وأنا أقول: والله لا يستحيي منه إلا من كان في إيمانه دغل؛ ولكن سيرة نبينا وسياسته - إضافة إلى مراعاتها لواقع المرحلة وظروف المسلمين وإمكاناتهم - فرقت في الخطاب الدعوي بين الأصول والقواعد المقررة التي يجب أن تتخذ خطابياً إعلامياً دعوياً عاماً؛ وبين الفروع والاستثناءات أو الأحكام التي وردت أو شرعت لظروف مخصوصة وفي مراحل أو أحوال معينة أو هي من الخطاب الإسلامي الخاص ولا يصح أن يُشحن بها الخطاب العام.. ولا يفقه هذا ويتسع له صدره إلا من هداه الله ووفقه وعلمه وبصره..

ويناسب أن أختم هذا بلطفية وقعت لأحد إخواننا مع طبيب للأسنان في السجن، وهي ترمز إلى واقع أكبر لكثير من المجاهدين والدعاة اليوم في عدم مراعاة خطابهم للواقع والمرحلة والظرف..

فقد كان ذلك الطبيب نصرانياً وكان أخونا محتاجاً للعلاج عنده إذ لا طبيب غيره، وجرى حوار بينهما عما تقوم به القاعدة ومجاهدوها من أعمال هنا وهناك.. فكان فيما ردّ عليه الأخ أن قال له: أصلاً أنت لو وجدت الدولة الإسلامية فليس لك إلا الجزية أو السيف...!! وذكر ذلك بطريقة عصبية استفزازية..

أقول: هذا الخطاب الاستعلائي الذي واجه به صاحبنا ذلك الدكتور النصراني المعالج له!! يناسب قائداً من قادة المسلمين كعبادة بن الصامت أو المغيرة بن شعبة أو قتيبة بن مسلم يتقدم جيشه الجرار ليخاطب به طاغية معانداً متعجرفاً كعظيم الروم أو الفرس أو ملك مصر أو الصين؛ يواجهه به بين يدي الجلاب والقتال وضرب الرقاب وقطع الأوصال.. ولا يناسب أبداً أو يراعي الظرف

والمرحلة والحال التي يسلم فيها صاحبنا فكّه ورأسه لمبضع ذلك الدكتور النصراني ليعالج له ضرسه!!

أُضير صاحبنا شيءٍ شرعاً أو يُعد مدهنا أو متنازلاً عن بعض الأصول أو مميحاً لشيءٍ من الثوابت لو أنه خاطب ذلك النصراني المعالج له والذي ليس بيننا وبينه في هذا الظرف إلا الدعوة؛ أقول: أكان يضيره شيئاً أن يخاطبه بخطاب التآليف والترغيب والتبشير والتيسير الذي هو من ديننا ونحن مأمورون به أصلاً مع من لم يحاربنا في الدين، ويتأكد ذلك كما تقدم حال استضعافنا..؟

فيقول له مثلاً: إن النصراني في ظل دولة الإسلام لا يُجبر ولا يكره على تغيير دينه، وإذا احترم ديننا ولم يطعن فيه ورضي بأن يكون مواطناً للدولة بأن يدفع الجزية كانت له ذمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصارت له من الحقوق والأمن والأمان على نفسه وماله وعرضه ودينه ما لا يجده اليوم في أشد الدول تعصّباً للنصرانية..

ثم يبيّن له أن حقيقة الجزية أنها مبلغ زهيد لا يذكر في مقابل ما يأخذه طواغيت اليوم من مكوس وضرائب ومظالم في شتى مناحي الحياة، وهو أيضاً مبلغ لا قيمة له مقارنة مع ما يُعطى لصاحبه من استحقاقات ومواطنة وحماية في ظل دولة الإسلام، ويعفيه من زكاة المال التي تجب على المسلمين، كما يعفيه من المشاركة في الدفاع عن الوطن فلا تجنيد عليه ولا عسكرية أو جهاد بل يجب على الدولة حمايته وحماية ماله وذريته ما دام مواطناً فيها، ومن أذاه فقد خفر ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دام المذمي محترماً لقوانين الدولة المسلمة غير محارب للمسلمين ولا مظاهر لعدوهم أو طاعن في دينهم، وأن هذه الجزية كثيراً ما كانت ترد إلى النصارى أيام الخلافة عندما كانت الدولة تعجز عن حمايتهم في بعض أقطارها وكان كثير من الخلفاء يسقطونها عن كبر وشاخ من أهل الذمة، وأن كثيراً من النصارى كانوا يقاتلون إلى جنب المسلمين طوعاً واختياراً ضد الروم والصليبيين من أبناء ملتهم لما عايشوه وراوه من عدالة الإسلام، وما يعرفونه من ظلم أقوامهم الذين يأخذون منهم أضعافاً مضاعفة لتلك الجزية مكوساً وضرائب ومظالم.. إلى آخر ذلك من الخطاب الإسلامي الدعوي الأصيل، والذي هو حق لا مرية فيه في ديننا وليس فيه أدنى تحريف للأصول ولا تميع للثوابت..

أقول: ألا ترى معي الفرق الشاسع والبون الواسع بين هذا الخطاب الذي يعرض الجزية بهذه الصورة المشرقة دون تنازل عن الثوابت، فهو خطاب لا يجعل النصراني أخاً حبيباً، بل مواطناً آمناً له حقوقه المحفوظة والمكفولة.. وبين ذلك الخطاب الاستعلائي الذي يظهر الجزية كمسبة، وربما عدّه ذلك النصراني صادراً عن الكبت السجوني كعادة أعداء الله في دعواهم أن خطاب الشدة والعنف من الإفرازات السجونية.. إذ هو خطاب يظهر الجزية لا كرسم مواطنة، بل كضريبة استرقاق وإهانة وإذلال.

الشيء الذي لا يتناسب مع واقع استضعاف أئمتنا ولا يلائم خطاب التبشير والدعوة إلى الدين الذي لا يملك في ظل القيد غيره..

على كل حال فلا زال أخونا إلى ساعة كتابة هذه السطور يدفع جزية أو ضريبة ذلك الخطاب الاستعلائي الذي جاء في غير محله ولا زال إلى اليوم يسعى في إصلاح ذلك الضرس الذي أتلفه ذلك النصراني على إثر ذلك الخطاب!! وقد قرأت عليه هذا واستفاد منه وأقره ليستفيد منه غيره والخلاصة.. أننا اليوم بحاجة إلى خطاب إسلامي ناضج وواع يهتم برفعة الدعوة والجهاد ويراعي حال المسلمين وأهم ما يحتاجونه ويقدم الأولويات ويرجح أعظم المصالح فيقدمها وأعظم المفاسد فيدراها، خطاب لا يكون صاحبه بمعزل عن واقع الأمة وظروفها وإمكاناتها عموماً وإمكانات المجاهدين خصوصاً.. ويعرف كيف يخاطب الأعداء كل بحسب حاله من خلال تبصّره بواقعهم وخلفياتهم الأخلاقية والسياسية والتاريخية والعقائدية وطبيعة شعوبهم ونقاط الضعف عندهم ومواضع الحساسية والتأثير؛ ليتوائم خطابه ويتلائم مع ما يحقق مصالح المسلمين ويكبت عدوّهم أو يضعضه ويشنت شمله..

فلا يميل إلى خطاب أهل التفريط والتميع الذين حطموا الأصول وتنازلوا عن الثوابت وهدموا الأركان بل وتبرّؤوا من الشرائع بحجة الاعتدال في الخطاب وإرضاء الأعداء أو عدم إسخاطهم، وحقيقة ذلك انسحاق تحت بساطير إرهابهم الفكري واندحار أمام عولمتهم وثقافتهم الفاسدة..

وقفات مع
ثمرات الجهاد

ولا إلى أهل الإفراط في عدم مراعاتهم لأولويات
الجهاد وسمعته المشرقة ومصالح الأمة وظروفها
وإمكانات المجاهدين ومعطيات الواقع والمرحلة،
وخلفيات الأعداء وأحوال شعوبهم..

والله الهادي إلى سواء السبيل

الوقفه الخامسة عشر

عقوق الدعوة (الفصاميون)

كم أحزنني أن يخاطبني أحدهم وأنا معتقل في سجنى
وكان للتوراجعا من أحد البلدان متحمسا للقتال هناك
بقوله مستنكرا : ((أنتم إيش جالسين تعملون عندكم في
هذه البلاد !!))

وكان ذلك رداً متشنجاً منه على تحفظات ذكرتها له
حول تهيج الشباب وتحميسهم للسفر إلى ذلك البلد
وتفريغ الساحة بذلك من العاملين والدعاة ..

فقلت له : (لو قلتها لي وأنا في بيتي ومع زوجاتي
وأولادي لما أحزنني هذا أبداً) مع أنني بفضل الله قد جعلت
حياتي كلها للدعوة ، وزوجاتي يعرفن أن دعوة التوحيد هي
شريكتهن الثالثة ، والتي لها التقديم والصدارة ونصيب
الأسد وأرجو من الله تعالى أن ألقاه وأنا مائل إليها ، وهو
ميل لا يزعج أهلي بحال بل يقر أعينهن بفضل الله ..

(أما أن يخاطبني بها وأنا خلف أشباك الأسر وقضبانه
فأظن أن ذلك غفلة منه وعيب ..)

وأنا هنا لا أمرّ على ديني ودعوتي بسجنى وبلائي ،
وأعوذ بالله من ذلك وأستغفره سبحانه وأسأله أن يتقبل
أعمالنا كلها .. فلولا عجز وجل لما اهتدينا ولما دعونا ولما
جاهدنا ولما ثبتنا في الأسر ولا في غيره ولكني أردت لفت
نظر ذلك المخاصم إلى أن البديل عن النفير إلى تلكم
الجبهات التي يحرض عليها وتتحفظ نحن على تحريضه ،
ليس البديل دوماً هو النوم والقعود والركون إلى الأولاد
والزوجات والدينا ، كما يراه أو يظنه هؤلاء الذين سميتهم
بالفصاميين ، أو الخصاميين ؛ لأنهم ابتدعوا لنا فصاماً نكداً
وخصاماً غريباً عجيباً بين الدعوة والجهاد !!

لذلك فإن ألمي من خطاب ذلك الصاحب ليس لأجل
شخصي بقدر ما هو لأجل الدعوة التي احتسب عند الله
أنى بسببها خلف القضبان ويستخف صاحبي بالاشتغال بها
..

وكم ألمني وبؤلمني هذا الفصام والخصام النكد بين
دعوة التوحيد والجهاد والذي استشرى بين هؤلاء الشباب
المتحمسين ، بدعوى عجيبة ذكرها ذلك الصاحب حين قال
(يا صاحبي بعد أحداث أيلول لم يعد هناك دعوة الآن لا
دور إلا للقتال !!) ..

عجيب هذا التقرير والتأريخ من صاحبي هذا وأحمد الله
تعالى أنني لم أسمعته إلى الآن من غيره ، فبادرت إلى
الكتابة فيه فوراً وعجلاً كي أستأصل شأفة هذا الفصام
واقطع دأبره ..

أيها الصاحب العزيز لن أقرّ عك أو أرميك بالجهل
وضحالة التكفير وضيغ الأفق وقصر النظر وسطحية الفهم
، وإن كنت بفهمك ذلك ليس بعيداً من هذا كله .. لن أقابلك
بذلك في مقابل رمي أمثالك من الفصامين لأصحاب
الدعوة بالعودة والركون إلى الدنيا والأولاد والزوجات ..
فما هكذا يُعالج الأمراض وما هكذا يُستشفى من العليل ..
ولكنني سأقول لك اجلس معي تتحاور بهدوء ، وافتح لي
قلبك وصدرك ودعنا من التعنت والمناكفة ..

أسألك أولاً أيها الصديق ؛ من أين خرجت أنت وإخوانك
وقادتكم المجاهدون فلان وفلان وفلان .. ؟

أليس من رحم الدعوة إلى الله قد خرجوا ؟

ومن الذي بفضل الله أخذ بيدك واستلك من بين مناهج
دعوات الضلالة والتفريط والأرجاء وجنبك مزلق الغلو
والإفراط في التكفير ووجهك إلى هذه البصيرة في الفهم
والتوحيد ؟ أليس ذلك كله ببركات دعوة التوحيد المتميزة
ودعاتها .. ؟ فلماذا هذا التنكر والعقوق ؟ ثم ما الذي أوجد
هذا الجهاد المتميز المبارك الذي كنا نتطلع إليه ونحلم به
منذ عقود ، أليست هي الدعوة المتميزة إلى الله ؟ ..

أيها الحبيب والله الذي لا إله غيره لقد رأيتني في
بيشاور مرات ومرات وفي أفغانستان مثل ذلك وعرض
عليّ أثناء ذلك مراراً لقاء بعض قادة الجهاد الذين أعد
بعضهم اليوم من سادات المجاهدين في زماننا وزينة أهل
العصر ، فكان عندي آنذاك - كما قال عبد الله بن المبارك
في بعض الرواة المتكلم فيهم - (أن ألقى بعرة أحب إليّ
من ألقى أحدهم ..) لأن بصائرهم وقتها كانت زائغة في
طواغيت الحكم وأنصارهم وكانوا يتخبطون في العلاقات أو

التحالفات مع كثير من رؤوس الضلالة ممن قد بصرنا الله تعالى فيهم وفي انحرافاتهم في وقت مبكر كان فيه بعض هؤلاء الفصامين يسهرون في حراسة أولئك الرؤوس الضلال ويبدلون مهجهم لحمايتهم والقتال معهم ، ثم إفتضح أمرهم اليوم للقاصي والداني .. أقول : ما الذي نقل أمثال أولئك في قلوبنا من مقام البعرة إلى مقام الدررة والشامة في جبين المجد .. ؟ أليست هي بركات الدعوة وثمراتها وكتاباتنا ومصنفاتها وشيوخها ؟؟ الدعوة التي يجب أن تبقى مواكبة للجهاد مسائرة له لا تعطله ولا يعطلها .. فمن أين جئنا أيها الصاحب بهذا الفصام النكد ؟

أيها الحبيب .. ما أردت إفهامك إياه ولم تحسن الاستماع والإنصات وقتها إليه - كما هو شأن أكثر الفصامين فإنهم للأسف لا يحسنون السماع ، مع أن من أهم آداب طالب العلم حسن الاستماع ؛ هو أمر في غاية الأهمية فافتح قلبك لعلك تعيه ..

إذا ما أردنا أيها الأخ المفاضلة بين الدعوة والجهاد ..

سألنا أولاً : ما نوع الدعوة التي توضع في الكفة المقابلة للجهاد ؟

ثانياً : ما نوع الجهاد الذي نريد وضعه في الكفة الأخرى ؟

فإذا كان الكلام عن دعوة من الدعوات المنحرفة أو الإرجائية أو دعوة مسخرة للأنظمة ، مدججة للطواغيت ، مطوَّعة لسياساتهم ، أو دعوة برلمانية دستورية تشريعية ؛ فسحقاً ثم سحقاً لهكذا دعوات .. ولا مجال للمقارنة والموازنة بينها وبين أدنى أنواع الجهاد ..

وكل عاقل يعرفنا يعرف أننا بفضل الله وتوفيقه أبعد الناس وأبرئهم من هذه الدعوات .. وأنا حين نتكلم عن الدعوة أو نذكرها فلا نعني شيئاً غير دعوة التوحيد المباركة المتميزة الجامعة الشاملة التي لا تفرط بجانب من جوانب التوحيد ولا تمع أو تلمع نوعاً من أنواع الشرك ، الدعوة التي أوثق عراها الحب في الله والبغض في الله والموالاتة في الله والمعاداة في الله ، ملة إبراهيم ودعوة خاتم الأنبياء والمرسلين ..

فضع أيها الحبيب هذه الدعوة في كفة الميزان الأولى ،
وتعال والتفت معي الآن إلى الكفة الأخرى ..

فأي جهاد أو قتال ذاك الذي تعنيه .. ؟

أقتال متخبط تحت رايات جاهلية ؟ لا أظنك تعني هذا
فهذه ليست أبجدياتنا ولا يعيننا مثل هذا القتال ولا نعمة ولا
كرامة لمثله أن نضع له اعتباراً ؛ فضلا عن أن نقارنه
ونوازنه بدعوة التوحيد ..

أم قتال يخلط بين الإسلام والوطنية الجاهلية ، مسحة
إسلامية ممزوجة بمسحة دخن وزيف جاهلية ، يظلل تحت
لوائه وفي ظل وحدته الوطنية المسلمين والمجرمين
والكفار والفجار ، ويجعل العلاقة بينهم علاقة الأخ مع أخيه
أو الابن مع أبيه في ظل المصلحة والعدو المشترك الذي
عليه تتوحد الصفوف المتخبطة وتجتمع الرايات المتناقضة
؛ ولأنني أعرف محدثي ، فهو قطعاً لا يقصد هذا ، ولو قصده
لطاشت كفته وطارت ولرجحت به دون أدنى شك كفة
دعوة التوحيد ..

بقي أن نقول أن صاحبنا الفصامي الخصامي ؛ يقصد
جهاداً نظيفاً من كل هذا ؛ جُنده من رحم دعوة التوحيد قد
خرجوا ، وفي ظلالها قد تربوا ودرجوا ، جهاد يكفر
بطواغيت الكفر كلها ويبرأ من الرايات الجاهلية والتوجهات
الضلالية ؛ فعلى الرأس والعين وحيّ هلا بمثل هذا الجهاد
الذي ما نعد أنفسنا ونربي أبنائنا وإخواننا إلا لمثله ، ولم
نخاصمه ولن نفصمه عن الدعوة في يوم من الأيام ..

لكن ومع هذا كله وما دام صاحبي ومثله قوم كثير
للأسف قد ابتدعوا خصاماً وفصاماً بين هذا الجهاد والدعوة
التي أثمرته ..

ولذلك فطالما سمعنا منهم أشياء من قبيل ما أسمعني
ذلك صاحب ، وإذا كان هو قد خاطبني به من خلف قضبان
سجني على حدة وابتدع لهذا الفصام ذلك التاريخ (أيلول) ؛
فغيره قد أطلقوه بلا تاريخ وأعلنوه في أشرطة مسجلة
وجهوها للأمم بثتها الفضائيات ، أو في بيانات طنانة
وتصريحات رنانة ضربت بها أكباد المطي في كل وجه من
أرجاء المعمورة عبر الشبكة العنكبوتية وغيرها ؛ فعيروا
إخوانهم لزومهم لدعوتهم ورموهم بالتقصير ، واعتبروا
لزوم الدعوة قعوداً وتخلفاً عن الجهاد ، مع أن هؤلاء

الفصاميين لولا دعوة التوحيد لما كان جهادهم وكلامهم وأشرطتهم وبياناتهم على الجادة ، ولولاها لما ساووا عندنا بكرة كما تقدم ، إذ أنهم في أحضان دعوة التوحيد شَبَّوا وترعرعوا ، ومن كتابات مشايخها ودعاتها قد رضعوا ؛ فعلام إذن يعضون ثدي هذه الدعوة المباركة التي من ألبانها نبتت أجسادهم وصحت توجهاتهم وبما اغتذوه منها نمت عضلاتهم واستقامت على الجادة مناهجهم؟! ولولا تلك الحضانة وتلك الرضاعة لأصابهم ما الله به عليم من الآفات والتشوّهات والإعاقات المنتشرة بين الفرق والطوائف والجماعات في زماننا ..

وإذا كان الواقع كذلك فيحق لنا هنا أن نوقفهم ونسألهم : عن نوع الجهاد الذي فضّلوه على دعوة التوحيد الحقّة وابتدعوا بينها وبينه هذا الفصام والخصام النكد؟!!

فإن أجابوا بأنه جهاد دفع ؛ قلنا لهم : الدنيا كلها اليوم دار كفر ، والمسلمون فيها مستضعفون وديارهم كلها مسلوّبة محتلة مغتصبة إما من كفار خارجيين أو من كفار داخليين موالين للكفار الخارجيين ولا أستثني من ذلك حتى مكة والمدينة ، ولذلك فجهاد كل مسلم في ظل هذا الواقع يمكن لصاحبه أن يُخرجه على أنه قتال دفع .. ولكن سؤاليّنا تحديداً عن نوع هذا الجهاد من حيث ثمرته وفائدته وعائده المرجوة على الإسلام والمسلمين ، ولا أعني هنا الحديث عن ضمان النتائج أو اشتراط قطف الثمرات ، فهذا أمر بيد الله وليس بأيدي المجاهدين ، ولا أعنيه ، فلا داعي لخلطه بسطحية فجة بمرادي وسؤالي الذي لا يحسن أن يجيبني عليه لكاع متحمس سطحي قصير النظر ..

فهو سؤال يُميّز ويبجّث وينبش عن أهداف القتال وغاياته والثمرة التي من أجله أعد برنامج هذا القتال وله أعد جنده ودرّبوا ووجهوا ..

ولذلك فلن يجيبني على هذا السؤال بتؤدة ونضوج ؛ إلا امرؤ متبصر بواقع الأمة وتامر أعدائها على شرائع الإسلام وتوحدهم في وجه تمكينها وتحكيمها ، وعظم حاجة المسلمين اليوم لهذا التمكين والتحكيم ، ويتحرق على تبعثر جهد أبنائها ويتألم على تشتت إمكاناتها ويؤرقه الحرص على توجيه مواردها إلى أنفع الأعمال وأعظم النتائج امرؤ يُحسن الموازنة بين المصالح والمفاسد ويعرف أن إقامة دين الله والتمكين له في مثل هذا الواقع لا تتم بمجرد تفجير خمارة أو دار للسينما أو نحوه من أعمال الحسبة

التي يمارسها بعض الشباب المسلم اليوم ، أو بعملية أو بضع عمليات يقتل فيها بعض المحاربين هنا وهناك ، وإنما يحتاج مثل هذا الأمر العظيم إلى عمل متكامل وجهد متواصل ، ومتصل بالعلماء والدعاة الربانيين الذين تجتمع عليهم الأمة غير مفاصم ولا مخاصم لهم أو لعلمهم ودعوتهم ، ويحتاج إلى جانب العمل العسكري إلى عمل دعوي تربوي خاص يحتضن العصبة المؤمنة والطائفة التي ستوجه وتقود الناس ، وعمل دعوي آخر جماهري عام إلى جنب جهد سياسي شرعي وخطاب إعلامي دعوي ناضج بصير ونحو ذلك من دعائم وكوازم مثل ذلك الهدف الجليل والغاية العظيمة .

فاذا ما ظفرت بامرئ ذي بصر وبعد نظر ويتمتع بمثل هذا الفهم الشامل والعميق ؛ فإظنه سيقول لك بعد أن يتأمل يمناً ويسرة في واقع أكثر جهات القتال اليوم والعمليات الجهادية المتفرقة هنا وهناك ، ويتدبر موازين القوى وحال مرجعيات أهل السنة ورؤوسهم ؛ سيقول لك بأن القتال في أكثرها - ومن ذلك ما خاصمني فيه محدثي بالاتفاق - لا يعدو قتال نكاية في أعداء الله ، ولا يتأمل هو ومن معه أن يقطفوا منه في واقع الحال ثمرة تمكين .. حتى إنه قال جواباً على سؤالني عن ثمار ذلك القتال ، وهل يعول فيها على التمكين .. قال : هذه الثمرة أقرب إلى تل أبيب منها إلى تلك البلاد ، وذلك بسبب ما شاهده من بعد أهلها عن الدين وانحراف دعائها وعلمائها وتهلhel وتخبط الجماعات المنتسبة إلى الإسلام فيها ، وتولي كثير من الناس للأمريكان وكون موازين القوى التي تؤهل لقطف الثمار في أيدي طوائف الكفر والضلال ، وهي تنتظر وتترى وتمارس العمل السياسي والإعلامي والتنظيمي والشعبي ، وتعمل على توجيه قواها الشعبية وتنظيمها ضاغطة لتحصد هذه الثمار ..

بينما أعظم ما يأمله صاحبنا ومن معه ويتطلعون إليه بعض أعمال النكاية في أعداء الله وفي عملائهم وأن يكذبوا على أعداء الله الصليبيين استقرارهم بأمان في تلك البلاد ، وقد يتمكنوا من التسبب بانسحابهم على المدى البعيد لكن بعمل مضم وجهد مركز ومتواصل وتضحيات كثيرة ، هذا أقصى ما يتأملوه !! لكنهم يسلمون بأن ذلك إذا حصل فلا قدرة لهم ولا للمنتسبين لأهل السنة هناك على قطف ثمار ذلك والقبض على زمام الأمور بل سيقطفها غيرهم من فرق الضلالة أو أهل الإلحاد في ظل

المعطيات الحالية وموازن القوى .. أسأل الله تعالى أن ينصر جنده ويمكن لعباده الموحدين

إذن فهذا القتال الذي يخاصم صاحبي وكثير من الشباب به دعوة التوحيد ويفاصمها حقيقته كما يقر أصحابه لا يعدو عن كونه قتال نكاية ، ولا يؤملون منه تمكيناً لأهل الإسلام ودينهم .. ومثل هذا القتال موجود في أكثر أصقاع الدنيا اليوم ، ولا مزية أو خصوصية للبقعة التي يتحمس لها صاحبي عن غيرها في هذا القتال بل على العكس فلقتال النكاية في بقاع أخرى كفلسطين مزية وخصوصية لأجل المسجد الأقصى وكافغانستان لأجل شوكة الطالبان التي قد يؤمل رجوع تمكينها بها أو الشيشان حيث لامزاحم للمجاهدين هناك ولطبيعة البلدين الجغرافية فلذلك كله مزية وتقديم في حسابات من يعوّل على قتال النكاية ويؤمل منه بعض الثمرات المفيدة لأهل الإسلام من جهة التحرير أو التمكين ولو على المدى البعيد إن سلمت واستقامت تلك الثمرات للمجاهدين عند قطفها..

أضف إلى هذا ضعف الخطاب المرافق لذلك القتال الذي يتحمس له صاحبا وتهلهله ، وقاتل النكاية إن لم يرافقه خطاب ناضج واع يبين عن الجهاد ويسمع أهدافه النظيفة للناس وينقل غاياته المشرقة للعالم وينقيه مما قد ينسب إليه أو يشوبه من التخليط والتشويه ؛ وإلا فقد يستغله ويستثمره الأعداء ويصير وسيلة يشوهون بها الدين والدعوة ويحرضون بها على الإسلام والمسلمين ولذلك فإن بعض أنواع القتال أو الأعمال الجهادية التي لا تندرج قطعاً تحت قتال التمكين وربما لا تنكأ عدواً أيضاً ؛ تقدم قطعاً عندي على هذا القتال الذي يتحمس له صاحبا ويخاصم الدعوة لأجله إذا كان في تلك الأنواع ثمرات وأثاراً من جنس آثار التمكين كتخليص لبعض المستضعفين

وفك للعناة وتحرير لأسارى المسلمين من قيد الأسر ومن تعذيب الكفار لهم وإذلالهم وقهرهم وتسلطهم ، فهذه الثمرات التي هي من جنس آثار التمكين الذي يخرج العباد من سلطان الكفر إلى سلطان الإسلام ؛ أعظم دون شك من النكاية المجردة في أعداء الله وأعظم من كثير من أعمال الحسبة التي يمارسها كثير من الشباب كتفجير خمارة هنا أو تدمير ملهى هناك ..

أما دعوة التوحيد المباركة التي تعمل وفق برنامج ناضج وتوجيه حكيم وعمل مثابر و دعوب فلها حساباتها الأخرى ،

ولاشك أنها تقدم على ذلك كله وترجح عليه لأنها جزء لا يتجزأ من جهاد التمكين الذي هو أمس ما يحتاج إليه المسلمون اليوم ليخرجوا به العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ولذلك فلا بد للمسلمين من تقديمه وجعله من أولوياتهم ولا بد لهم من توجيه جهودهم إليه وتركيز جهادهم عليه وحشد طاقاتهم من أجله ..

ولكن مع الأسف الشديد وفي ظل الحماس الأجوف المنتشر بين هؤلاء الفصامين يُخرج كثير منهم الدعوة ويفصمونها عن مفهوم الجهاد ولا يفهم كثير منهم من الجهاد إلا (الطخخة) المجردة التي لا ترتبط بدعوة أو برنامج أو منهاج .. وكم يؤلمني هذا ، وأشد منه إيلاماً أن يوجد في مرجعيات هؤلاء الشباب ورؤوسهم وموجهيهم من يكرس ذلك ويؤكد في أفهامهم .

ولذلك قلت للمجموعة التي أنا موقوف معها الآن في هذه القضية الجديدة وقلت لأمثالهم في قضايا سابقة أيضاً يوم شاوروني ببعض أعمال النكاية التي يزمعون القيام بها رغم قلة خبرتهم العسكرية وتهلّل أحوالهم الأمنية ..

فنصحت بعضهم أن يشتغلوا بدعوة التوحيد وحاولت بيان قلة جدوى بعض الأعمال التي ذكروها وعدم شرعية البعض الآخر ..

وقلت لمن كنت أعقد عليهم آمالاً في الدعوة إلى التوحيد : (لقد خيبتهم آمالي .. !!) لأنني كنت أرى أن اشتغالهم في الدعوة بين عشائرتهم وفي مناطقهم أنفع للدين ولدعوة التوحيد والجهاد أيضاً عند من يفقه الجهاد بشموليته وأركانه واحتياجاته خصوصاً وأن فيهم إمام المسجد والخطيب والمعلم ويحسنون الدعوة أكثر من غيرها ، ولكن للأسف فإن الشحنات الحماسية التي يحقن بها هؤلاء الشباب أنفسهم ويحقنهم بها كثير من أمثال صاحبنا الفصامي تطغى على الفهم الجيد والحكمة والنظر السديد أضف إلى هذا تأثير هؤلاء الشباب وأمثالهم بأخبار عمليات المجاهدين المتقنة هنا وهناك وسعيهم لمحاكاتها دون أن يكون عندهم إمكانيات أولئك المجاهدين وخبراتهم وإتقانهم هذا كله مع قصر نظر هؤلاء الشباب وسذاجة نظرتهم للجهاد وثمراته ، وسطحية تعاملهم معه ومع الدعوة ، وعدم استيعاب وجوب مواكبة الدعوة ومرافقتها للجهاد بل وتقديمها عليه في كثير من الأحوال والظروف ، خصوصاً عندما لا يتعدى القتال قتال النكاية المتفرقة

والمبثوثة هنا وهناك أو أعمال الحسبة المحدودة المقطوعة ..

وللأسف فإن هذه النوعية المتحمسة من الشباب يقل فيهم من يحسن السماع للناصحين والموجهين من أهل الخبرة والتجربة والنظر ، وربما يظن بعضهم أن مخرج هذه النصائح انهزام أو اندحار أمام أعداء الله أو جبن عن تحمل تكاليف القتال أو خوف من تبعات الجهاد لا خوفاً عليه وحرصاً على نهجه وثمراته ، وأكثرهم لا يستوعب هذه التوجيهات والنصائح والدروس إلا بعد أن يخوض التجربة والخطأ بنفسه مع أن السعيد من وعظ بغيره واعتبر ..

ولذلك فعندما رأيت بعضهم وبسبب تخبطهم الأمني وتهلhel عملهم يعترفون أمام أعداء الله على أنفسهم وعلى بعضهم البعض بسهولة ويسر ، ورأيت آبائهم يدلون بشهاداتهم في المحاكم ممجدين النظام مظهرين ولاءهم له ونحو ذلك من الأمور التي ما كانوا ليتعاطوها إلا أن يشاء الله لو أن أبناءهم ركزوا واجتهدوا معهم بدعوة التوحيد المباركة .. عندما رأيت ذلك تذكرت قول الشاعر :

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى ** فلم
يستبينوا الرشيد إلا ضحى الغد

على كل حال فهؤلاء قد صدر ذلك عن بعض آبائهم وأقاربهم ولم يصدر عنهم أنفسهم لفهمهم التوحيد وبراءتهم من الطواغيت ..

أما غيرهم ويا للأسف ممن كانوا يخططون لأعمال حسبة أو نكاية أو نفذوها ثم تورطوا وابتلوا دون رصيد من الفهم والدعوة والعقيدة والتوحيد فقد صدر عن كثير منهم ما يندى له الجبين ويشوه الجهاد والدين ، فلا أدري أي جهاد أو قتال هذا الذي لم يتربّ أبناؤه على العقيدة الراسخة والتوحيد ؟

وأئف فصام نكد هذا ، أدى والله إلى مخازٍ وفضائح أمام أعداء الله وفي تحقيقاتهم ومحاكمهم ..

ومن البلية عذل من لا يرعوي
عن غيّه وخطاب
من لا يفهم

ووددت لو أن صاحبي الخصامي الفصامي ومن على
شاكته م-من يقللون من شأن دعوة التوحيد ، كانوا
حاضرين مستمعين لشيء من ذلك ؛ ليتعرفوا بأنفسهم إلى
بعض آثار هذا الفصام أو الإهمال النكد للدعوة ، وليحمدوا
الله على نعمة الهداية والتوفيق إلى التوحيد ببركات هذه
الدعوة ، فيحفظوا لها عهداً ولا يخسوها حقها ..

والخلاصة أن إقامة دين الله والتمكين لأهله في زماننا
كما أنه لن يتأتى من الدعوات المنحرفة المتخبطة ، ولا من
صناديق الاقتراع ومجالس التشريع الشركية ، وكذلك لن
يتأتى من تحت رايات ممسوخة أو جاهلية ..

فكذلك لن يتأتى من أعمال قتالية أو عمليات تفجيرية أو
عسكريه محدودة مبتورة يقوم بها المجاهدون هنا وهناك لا
تخرج عن مجرد النكاية في أعداء الله ويتأكد ذلك إذا كانت
مفاصمة مخاصمة للدعوة ..

بل يحتاج هذا الأمر إلى جهاد جاد متواصل ومتكامل ، لا
يخاصم دعوة التوحيد أو ينفصم عنها بل يسير معها وترافقه
جنباً إلى جنب ، بحيث تكون خطاياه الذي يمهد له الطريق
ويتكلم ويبين عن الجهاد وغاياته وأهدافه ، وتبقى رأس ماله
وزاده الذي يخرج له الرجال المخلصين الموحدين الذين
هم وقود هذا الجهاد ، وتوفر له القادة الربانيين والعلماء
العاملين الذين بوجهون هذا الجهاد ويرعون ثمراته
ويحفظونها من الانحراف ويتعاهدونها إلى أن يقطفها
المجاهدون بأيديهم المتوضئة النظيفة ..

جهاد لا يفاصم أو يخاصم أو يستخف بجهد الشباب
المتفرغ لتدريس أبناء إخوانه المجاهدين أو الدعاة أو
الشهداء أو السجناء الذي يعمل على تعليمهم وتحفيظهم
كتاب الله وتربيتهم أو يتابع ويرعى أمور أسرهم المادية
والاجتماعية أو يخلفهم في أهليهم ..

ولا يخاصم أو يستخف بالداعية الذي يعمل بهدوء بين
أهله وعشيرته ويجتهد في تبصيرهم بالواقع وإخراجهم من
ظلمات الشرك إلى نور التوحيد .. أو يتفرغ في قرية نائية
يدعو إلى ذلك بهدوء بين أهلها ويربي شبابها على التوحيد
ويوغيهم ويهيئهم للجهاد في سبيله ..

ولا يخاصم طالب العلم الذي يبذل وقته يسهر ليله في
الرد على الطاعنين في التوحيد المروجين أو المرقعين

للشرك والتنديد ، كتابةً أو خطابةً أو دعوةً ويوجه إخوانه ويعددهم علمياً وفكرياً ويوعيتهم ليكونوا مجاهدين صالحين ناضجين يصلحون لقيادة الأمة وتسيير دفة الجهاد إلى ما يحبه الله ويرضاه..

ولا يخاصم من يتفرغ لنشر ذلك وبثه طباعةً ونشرًا وتوزيعاً في الكتب والأشرطة أو عبر الإنترنت أو غيره ..

جهاد يحترم القائمون عليه أرواح إخوانهم وأعمارهم فلا يفرطون بها في أعمال مرجوحة أو غير واعية ومدروسة ويحرصون على موارد المسلمين وأموالهم فلا يبددونهم بأعمال مفضولة أو متخبطة وعندهم من الوعي والنضوج ما يجنبهم خصام أحد ممن تقدم ذكرهم أو الاستخفاف بأعمالهم ودعوتهم وجهودهم أو الاستنكاف عنها أو فصلها وفصلها عن الجهاد ، بل استيعابها كلها وجعلها تحت مظلته وضمن برنامجه وخطته وضروراته..

فإذا وجد مثل هذا الجهاد وكان على هذه الصورة الناضجة التي يرتجى ويؤمل منه التمكين ولو بعد حين ؛ رجحناه دون شك على الدعوة المجردة عنه ، ولو كانت نظيفة موحدة ، إن كانت مفصومة عن الجهاد مخاصمة له !! ..

لكن إذا لم تيسر مثل هذه الصورة المشرقة وكان الموضوع في الكفة المقابلة لدعوة التوحيد الناشئة على سبيل المثال ، بعض أعمال النكاية المجردة المبتورة هنا وهناك ؛ فلا ينبغي ترجيح مثل هذا القتال أو تقديمه عليها بحيث تفرغ الساحات من الدعاة النشطين ويجعلون وقوداً لمثل هذا القتال بحجة فرضية الجهاد فتهمل الدعوة ويحبط جهد الدعاة لأجل قتال لا يخرج عن هذه الصورة يمكن القيام بمثله في أي وقت وفي أي مكان ..

أو تحبط دعوتهم وتقوض برامجهم التي تعقد عليها الآمال وينزع بالدعاة في السجون لأجل بعض أعمال الحسبة التي لن تؤتي ثمارها الحقيقية إلا في ظل التمكين وسلطان المسلمين ..

ولذلك يجب على الداعية العاقل الناضج أن يكون فطناً حازماً فلا يسمح لهؤلاء الفصامين أو غيرهم أن يحرفوه عن برنامجهم المتبند أو يعطلوا له دعوته بالتورط معهم في بعض هذه الأعمال المرجوحة ، أو يخرجوه عن نهج دعوته

وخطها المحكم النظيف الطموح ما دام مقتنعاً برجاحة هذا
الخط وثمراته ، عارفاً بسطحية هؤلاء الفصامين متبصراً
بآثار فصامهم النكد ..

ختاماً .. لم أكن مضطراً لكتابة هذا ، خصوصاً وأنا
أخشى أن يساء فهمه ، وهناك ما هو أولى منه ، لولا هذا
الفصام والخصام النكد الذي ابتدعه بعض الشباب فقلبوا به
لدعوة التوحيد ظهر المجن ، مما دفعني للتصدي لهذا
الفصام واستئصاله .. وإلا فكل من يقرأ ما أكتبه يعرف
وقوفي بفضل الله دوماً في عدوة المجاهدين في كل
مكان ، ودفاعي عن جهادهم المبارك بكافة صورته
المشروعة ، وحرصني على توجيه هذا الجهاد إلى أحسن
وأكمل الثمرات ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، وتنقيته من
الشوائب والأخطاء والانحرافات ، وهذا الذي كتبه هنا لا
يخرج إن شاء الله عن هذه الغايات .. وقد قال الله تعالى :
(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا
إليهم لعلهم يحذرون) .. فتأمل كيف سمى الله التفقه
للدعوة والإنذار نفيراً في السورة ذاتها التي دعا فيها إلى
النفيير العام (انفروا خفاً وثقالاً) ..

ويبين سبحانه في هذه الآية أن الواجب على المؤمنين
أن يكمل بعضهم بعضاً ؛ فطائفة تنفر للقتال وطائفة تنفر
للتفقه والدعوة والإنذار ، وكلا الطائفتين معا تمثلان الجهاد
بصورته المتكاملة ولا يعيب هؤلاء على هؤلاء أو يخاصموهم
أو يفاصموا جهودهم ... حتى روي عن ابن عباس رضي الله
عنه أن هذه الآية نسخت عموم قوله تعالى (إلا تنفروا
يعذبكم عذاباً أليماً) . وقوله تعالى : (ما كان لأهل المدينة
ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول
الله... الآية)

ومعلوم أن بعض السلف ومنهم ابن عباس كانوا
يطلقون النسخ ويريدون به التخصيص ، فلا حاجة للقول
بالنسخ بصورته الأصولية بمعنى إلغاء الحكم ، بل جميع
الآيات محكمة يكمل بعضها بعضاً ، فالأمر بالنفيير العام
وعدم التخلف عن نصرة الدين إذا أخذ بصورته المتكاملة
يجمع بين الآيات ويعملها كلها ، وإعمال النصوص جميعها
أولى من تعطيل بعضها ، وهذا ما أوضحتها الآية ونهت عليه
حين بينت أن النفيير العام المطلوب من المؤمنين أعم
وأشمل من مجرد القتال ، ولذلك سمى الله فيها التفقه

في الدين للدعوة والإنذار نغيراً تماماً كما سمي القتال نغيراً... فالمطلوب من المؤمنين الجمع بين النغيرين..

فلا يصح أبداً أن نوقع الخصومة والفصام بين الدعوة والجهاد بل هذه تكمل هذا ، والأصل أن أهل الدعوة على ثغر من ثغور الدين وأهل الجهاد على ثغر ، وكل يجب عليه حفظ ثغره أن يؤتى الدين منه ، وكل يكمل الآخر ولا غنى لأحدهما عن الآخر ،

وإلى هذا أرشدنا ربنا في كتابه فقال : (لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز)

وفي الأثر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه خرج على بعض أصحابه حاملاً السيف في يد والمصحف في يده الأخرى وقال : (أمرنا أن نضرب بهذا من خرج عن هذا) .

فهذا يكمل هذا ، ولا ينفصل عنه ، ولم يكن سلفنا لسعة علمهم وعمق فهمهم يوقعون الخصومة بين السيف والكتاب ..

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (قوام الدين بكتاب يهدي وبسيف ينصر ، وكفى بربك هادياً ونصيراً) .

الوقفه السادسة عشر

{إن هذا القرآن يهدي للتي هي
أقوم}

**بين الجائر والأصلح .. وبين
المشروع والأنفع ..**

سألني صاحب من أصحاب سجنني عن رأيي في إعلان تبني بعض المجاهدين ذبح أسير مدني أمريكي وإشهار ذلك أمام الكاميرات ونشره عبر شبكة الإنترنت ليشاهده العالم كله فيصير حديث الساعة للقاصي والداني حتى كاد يغطي على حديثهم عن فضائح الأمريكان أذعياء حقوق الإنسان في سجن أبو غريب !!

فقلت : لا أؤيد ذلك ولا يعجبني ، مع معرفتي بحرقه من فعله على دين الله وحرصه على إعزازه وتآلمه لما آلت إليه أوضاع أمته وتغيظه من تكالب الأعداء عليها وذلك كله مما دفعه إلى الاستعجال بإعلان ذلك وإشهاره ، ومع ذلك كله أؤكد أن ذلك لم يعجبني وتمنيت لو أنه لم يعلنه ولا تبناه .. والأولى بمن ينتمي إلى مدرسة الجهاد الإسلامي العظيم أن لا يعلن أو يتبنى من الأعمال إلا ما لا ينتطح عليه عنزان مما يرفع راية الجهاد نقيه وبنائ به عن كل ما يكدره أو يمكّن الأعداء من استغلاله في خلط الأوراق وتشويه المجاهدين أو توظيفه لمأرب الأعداء ..

قال صاحبي : عجباً لك ، ولماذا لا يعجبك أليس ذلك بجائر؟

فقلت : يا أخيه ، عندما أقول أن ذلك لم يعجبني فليس هذا لمجرد المخالفة والمماحكة ، فليس أحب عندي من الموافقة والموافقة على الخير .. وإنما هو حرصي على استبعاد ما يضر الجهاد وسمعته في زمن لم تعد الحرب فيه موقوفة على القتال وحده ، بل الإعلام له نصيب كبير في المساهمة في هذه الحرب ، واختيار مني لما هو أنقى وأنفع للدعوة والجهاد والمسلمين في هذه الظروف ..

ولقد كررت مراراً وتكراراً في كتاباتي وخطاباتي ودروسي لك ولغيرك أن الدعاة والمجاهدين لن يفلحوا

الفلاح الذي يرجون ولن ينفعوا أمتهم وجهادهم كما يتمنون حتى يرتقوا من مستوى النظر في الجائز وغير الجائز وحسب ؛ إلى مستوى الموازنة بين النافع من ذلك الجائز وغير النافع منه في هذا التوقيت ، والراجح منه والمرجوح والفاضل والمفضل ، والمصالح المختلفة في العمل المختار ، والمفاسد المتفاوتة في تلك الأمور المفروغ من جوازها ..

يقول تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أي: أصلح. وقال تعالى: (اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) فالله أمرنا أن نتبع أصلح الأعمال وأحسنها وأجراها نفعاً لديننا ، قال سبحانه: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه).

فإننا كمسلمين المفروض أن موضوع الجائز والمشروع والحلال منتهي مفروغ منه عندنا ؛ أعني أن ذلك معلوم ومن المسلمات فلا يجوز أن نختار من العمل والجهاد إلا ما كان كذلك فإن ما عند الله لا ينال بمعصيته ، ودين الله ورايته لا تنصر ولا ترفع بالحرام فضلاً عن الكفر أو الإشراك ، وهذا يجب أن يكون من البديهيات عند العاملين لهذا الدين ومن ألف بآء أنصاره ومجاهديه .. ومن ثم فالمسائل لا ينبغي أن تعالج وتطرح على بساط البحث من هذا المنظور وحسب ، بل كما قلنا مراراً وتكراراً يجب أن يراعى في معالجتها واختيارها الأنفع للجهاد والأصلح للمسلمين والأنكى لأعدائهم ..

أقول .. لماذا عندما تتعلق المسألة بمطعمنا ومشرابنا أو ملبسنا ومنكحنا لا نقنع في البحث والنظر فقط في الجائز والمباح والمشروع ؛ بل نصطفي من ذلك لأنفسنا أطيب الطعام والشراب واللباس وحسان النساء ..

أما عندما تتعلق المسألة أو الاختيار بالدين والدعوة والجهاد نقبل له ونقنع بأي شيء ، وجميل بل رائع وكثير - وربما يمين بعضنا - إذا كان ذلك في نطاق المباح أو المشروع أو الجائز وسلم من الحرام !!

أليس مباحاً وجائزاً ومشروعاً مثلاً أن تتزوج امرأة بشيء عوراء برصاء ، لا شك أن ذلك جائز ومشروع ولك فيه أجر ، فلماذا إذن تحرص وتفتش وتجتهد على أن تختار المعافاة بل والجميلة .. ؟؟

وتحضرني هنا لطيفة لعلي الطف بها جفاف الموضوع فقد حدثني أحد إخواننا الذين كانوا في البوسنة أن مجموعة من الشباب العرب طلبوا من بعض المجاهدين هناك أن يسعى في تزويجهم ببعض الأخوات البوسنيات اليتيمات بدعوى الستر عليهن وكفالتهم وذكروا ما تعرضت له البوسنة من مذابح واعتصام واستباحة للأعراض وأظهروا شفيقتهم وحرصهم والحواء عليه في ذلك ، فواعدهم الأخ أن يرد عليهم بعد أيام ثم أعادوا الإلحاح عليه في الأمر ، فقال لهم : لقد فكرت في طلبكم وأقدر لكم حرصكم ونخوتكم ، وأنا أعرف أخوات كثيرات فقيرات ویتيمات في كثير من دول أفريقيا كاثيوبيا والصومال ونحوها وسأسعى لكم إن شئتم للزواج منهن وكفالتهم !! فما كان من أولئك الشباب إلا أن واعدوه كما فعل هو أولاً ليردوا عليه بعد أيام ؛ إلا أنهم ذهبوا ولم يرجعوا !!

أقول : لماذا خرجوا ولم يرجعوا ؟ أليس ذلك الذي عرض عليهم جائز ومشروع بل وفيه أجر ؟!

أم أن المسألة هنا لا يكتفى ببحثها في نطاق الجائز والمشروع ، بل تدقق وتحقق في مجال الأفضل والأكمل والأحلى والأجمل !!

يا إخواننا أیصح أو یعقل أن لا نرضى لمطعمنا وملبسنا ومنكحنا إلا بمعالي الأمور وصفوتها ، ونقنع لديتنا وجهادنا ودعوتنا بسفاسفها .. ؟

حفظ الله أم نضال الفلسطينية تلك المرأة التي بعثت ابنها محمود إلى مستعمرة يهودية في فلسطين فأقتحمها برشاشه وقنابله بعد أن كمن سبع ساعات ينتظر صيده فقاتل وقتل حتى قتل ، وحين سئلت أمه عنه بعد مقتله ، قالت فيما قالت أنها كانت تعده لمثل هذا اليوم ، وكانت تمنعه من المشاركة في رجم اليهود بالحجارة كي لا يصاب بطلقة تعيقه عن القيام بما تدخره له من عمل عظيم تتمناه له ، وتقول له : أنا أريدك لشيء أكبر من رجم الحجارة ، وتقول : عندي ستة أولاد مستعدة كي أقدمهم في سبيل الله لكن بعمل مشرف مثل الذي قام به محمود ..

متى ينضج الشباب المجاهد فيعمل فكره على هذا النحو وأعظم منه ؟ إن ثلاثة أرباع جهودنا وأموالنا وتضحيات إخواننا مبعثرة اليوم بسبب قصر نظرهم أو قصر

نظر رؤوسهم وقادتهم في أعمال مرجوحة مفضولة
بدعوى أنها أعمال مشروعة !!

فمتمى يتوجه جهداً ويتركز جهادنا على مراعات الأصلاح
والأنفع للامة ؟ وعلى اختيار الأسدى والأجدى لها والأنكى
فى أعدائها ؟

ولا يتوقف عند حدود الجائز والمشروع وكفى ، بل
يغوص فى أعماق الجائز والمشروع فيختار وينتقى منه
الأشرف والأعظم والأنقى مما يرفع راية الجهاد مشرقة
ناصعة ..

قلت لمحدثي - وهو ممن حكم بالسجن المؤبد لتفجير
بعض دور السينما والخمارات ثم نصح وارتقى تفكيره عن
ذلك المستوى مع طول فترة السجن وطلب العلم فيه -
قلت : إذا لم يعجبك كلامي هذا ولم تقنع به فإن خرجت من
السجن فارجع إذن إلى تفجير دور السينما والخمارات مرة
أخرى ، فى وقت يتطلع فيه المسلمون اليوم إلى عظام
الأمور ويتصدون فيه لأعتى قوى الأرض جاهدين أن تكون
لهم دولة وكلمة فى إدارة هذا العالم ودحر الكفر فيه ؛ وهم
بحاجة لتحقيق مثل هذه الغاية لكل جهد ولكل قطرة دم
ولكل مخلص ومجاهد ؛ دع أنت عنك المشاركة فى هذه
المعالي وارجع وافتح الحرب على فساق المسلمين
وعوامهم وفجر دور السينما التي يرتادونها ..

أليس هذا جائزاً ومشروعاً وإنكاراً للمنكر .. ؟ ! ..

قال : لا أفعل هذا ولا أبداً به فقد فهمت وتعلمت وأصبو
لما هو أعظم ..

قلت : إذا لم يستوعب عقلك ما قلته لك ففهمك
وعلمك لا زال بحاجة إلى نضوج ، وما فهمت بعد ولا علمت
الفهم والعلم الذى يتناسب مع الواقع وتحديات العصر
وحاجات ديننا وأمتنا ..

فإذا تأملت الضحة التي حصلت على إثر إعلان نشر
صور ذبح ذلك الأمريكى الذي يسمى فى عرف زماننا مدنياً
، مع قطع رأسه عياناً على شاشات التلفزة بعد ذبحه والذي
بعده بعض أهل العلم من التمثيل ..

وتابعت إستغلال أعداء الله وعلماء السوء لهذه الحادثة وتوظيف الأمريكان والطواغيت لها لتشويه الجهاد وأهله والتشنيع عليهم وتنفير عوام المسلمين عموماً والعراقيين خصوصاً عن المجاهدين ، وغير ذلك من المفاسد دون فائدة أو عائدة عظيمة لإعلان ذلك وإشهاره وتبنيه ؛ علمت أن من فعل ذلك لم يكن موفقاً في اختياره هذا ، وأنه كي يفوت على أعداء الله هذا كله فيجب عليه أن يرتقي بتفكيره إلى معرفة حقيقة المعركة مع أعداء الله اليوم وحقيقة أسلحتها وأدواتها ؛ وأنها لا تتوقف على ذلك السكين الذي ذبح به ذلك الأمريكي وأن النضوج وسعة الأفق في فهم الجهاد وأدواته ليس في كبر ذلك السكين وعظمه وإنما في شمولية الجهاد وأدواته للإعلام وغيره وتوسع مدارك أهله له ، ونضوج اختياراتهم ؛ فتارة يتركون أشياء وأعمال لأمر أهم ، وتارة يقدمون شيئاً على شيء لتوقيت معين ، وتارة يفعلون ويختارون دون أن يتبنوا ويعلنوا وتارة يعلنون ويشهرون ما فيه مصلحة خاصة وعملاً نقياً لا ينتطح عليه عنزان ولا يمارى فيه إنسان ، فإن هم فعلوا ذلك وظفوا إعلام الأعداء إضافة إلى إعلام المجاهدين ووجهوه كما يريدون هم ، لا كما يريد أعداؤهم إذ لم يتركوا مجالاً لهم في استغلال عثرة أو توظيفها لأهدافهم ومآربهم الخبيثة ، ومثل هذا الأمر لا يكفي لتحقيقه والنجاح فيه علم الشرع وحده وإن كان ضرورياً بل لا بد معه من متابعة ذكية وحثيثة للواقع ومجرياته وإلعاء ومكايدهم وتامل في ظروف الأمة وأحوال حاجاتها وأعظم مصائبها ..

وإذا قلت لي يا شيخ ؛ لقد أبعدت النجعة وضيقت واسعاً فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل بعض الناس صبراً (أي في الأسر) وقتل غالبية رجال بني قريظة وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ..

قلت : أجل ، ولا أشك أن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ولو تدبرته وفهمته وحلته وتاملته أفلحت كل الفلاح ..

ولذلك نص العلماء المحققون المتبصرون بذلك الهدي العظيم على تخيير الإمام في الأسارى بين المن أو الفداء أو تبديل أسارى المسلمين بهم أو القتل أو غير ذلك من الاختيارات بحسب دين الأسير وشدة عداوته وخطره ..

والاختيار في ذلك كله يرجع كما نصروا إلى (ما هو
أحظى وأنفع وأصلح للإسلام والمسلمين) .. تأمل ؛ عدنا
إذن إلى الأحظى والأنفع والأصلح ؛ وهذا الذي ندندن حوله
ونحث عليه ونوجه المجاهدين دوماً إليه في كل أبواب
الجهاد اليوم ..

ولو تأملت واستقرأت معي سيرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الأسارى لرأيت أنه لم يكن يجري فيهم
على سياسة واحدة ، بل كان يمن تارة كما فعل مع ثمامة
بن إthal وتارة يقبل بالفداء والعوض وتارة يقتل بعضهم
قوداً وقصاصاً أو غيره كما فعل مع العرنيين الذين ارتدوا
وقتلوا الرعاة وسملوا عيونهم فاقتص منهم مثلاً بمثل ..
وقتل بعض الكفار وهو متعلق بأستار الكعبة مشهراً قتله
على رؤوس الناس تاديباً لكل طاعنٍ في الدين محاربٍ أو
هاجٍ للإسلام والمسلمين ..

وهو في كل ذلك لم يقتل صبراً وبهذه الطريقة المعلنة
إلا أشد الناس عداوة له ولدينه ..

فعبد العزى أو عبد الله بن خطل الذي قتله صلى الله
عليه وسلم وهو متعلق بأستار الكعبة كان من بين بضعة
نفر أهدر صلى الله عليه وسلم دمهم يوم فتح مكة من بين
سائر الناس الذين كفروا بدينه وحاربوه ، وذلك لشدة
عداوة هؤلاء نفر وحرابتهم وهجائهم للإسلام والمسلمين
..

فعبد الله بن خطل كان قد أسلم فبعثه رسول الله
وبعث معه رجلاً من الأنصار فقتل الأنصاري وارتد مشركاً
وصار يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له
قintان تغنيان بهجائه على مسامع المشركين فقتله النبي
صبراً وقتل إحدى قintيه كذلك ..

ومنهم مُقيس بن صباة وكان قد ارتد بعد إسلامه وقتل
ولحق بالمشركين يطعن في رسول الله ويحاربه أشد
الحرابة ..

فتأمل تميّز جرائم من قتلهم صبراً عن سائر أهل مكة
الذين آمنهم جميعاً .. فهؤلاء قد جمعوا بين الردة والقتل
وخصوصية الحرابة والعداوة والطمع ولذلك استدل شيخ
الإسلام بقتلهم صبراً من بين سائر مشركي مكة على
وجوب قتل سائر النبي صلى الله عليه وسلم ..

ومع ذلك فمن فرّ من هؤلاء وأسلم واستؤمن له عفى عنه كهبار بن الاسود الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس ببيعها حتى سقطت على صخرة وكانت حامل فأسقطت جنينها .. وكعكرمة بن أبي جهل وكقينة ابن خطل الأخرى وغيرهم ..

ومن أسارى بدر لم يقتل صبراً من المقاتلين الأسارى إلا النضر بن الحارث الذي كان يسبه ويؤذيه بالقول والفعل أذى شديداً ومثله عقبة بن أبي معيط والذي كان إضافة إلى مبالغته في أذى وتعذيب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكثر الطعن في القرآن والنبي وأذاه وخنقه بردائه خنقاً شديداً ليقتله ووضع على ظهره سلى الجزور وهو ساجد ..

فلم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الأسارى صبراً غيرهما ..

أما بنو قريظة فقد كانوا كما يقول ابن القيم في الزاد : أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأغلظهم كفراً ولذلك جرى عليهم ما لم يجر على إخوانهم من يهود بني قينقاع والنضير .

فقتل مقاتلتهم كما في البخاري وذلك بعد أن نقضوا عهده وأعانوا كفار قريش وظاهروهم عليه واليوهم والبوا غطفان وغيرهم على حربه وكانوا سبياً في وقعة الخندق فلا عجب أن يعاملهم صلى الله عليه وسلم بذلك من بين سائر اليهود ومع ذلك فمن عظيم فقهه صلى الله عليه وسلم ومراعاة منه لحدثاء الإسلام من أصحابه من الأنصار ودفعاً لأي مفسدة متوقعة ؛ لم يبادر هو إلى الحكم بقتلهم بل رد حكمهم إلى حلفائهم ومواليهم من الأوس ، فاختار بنو قريظة بأنفسهم وقبلوا أن ينزلوا على أي حكم يحكمهم به حليفهم سعد بن معاذ فحكم رضي الله عنه بقتل مقاتلتهم ..

وهكذا وبلاستقراء لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قتل صبراً من أهل الحرب غير مقاتل أو مدني كما يسمونه اليوم بل لم يقتل حتى من المقاتلين صبراً إلا من تميز منهم بغلظة كفره وشدة عداوته وحربه وسبه وهجائه له وللمسلمين ، ولا شك أن في ذلك حكمة منه بالغة ووسطية في الاختيار وعدم اكتفاء منه بالنظر في شرعية ذلك وجوازه وحسب ، بل اعتباره لمصلحة الإسلام

والمسلمين واختياره للأنكى في أعداء الله المحاربين ، فيؤدب بذلك ويشرد به من خلقه من كل عدو محارب خبيث ، ويميز غيرهم ممن هم ليسوا بشديدي المحاربة له ولدينه ويدفعهم بذلك إلى التزام خطهم وعدم التعدي بالحرابة والعداوة .. إلى غير ذلك من المصالح التي تحققها هذه الوسطية والحكمة في الاختيار ..

وسطية تختار أنكى وأشد أنواع القتل لأخيث الأعداء وأشدهم ضراوة ولا تساوي بهم في ذلك سائر الكفار فضلا عن غير المقاتلين ومن ذلك تجنبه في غالب أمره للمثلة ونهيه عنها وكفه عن التمثيل بالمشركين الذي كان قد عزم عليه بعد أن رأى تمثله بعمه حمزة رضي الله عنه .. مع أن العقوبة والجزاء والقصاص بالمثل جائز ومشروع لكنه صلى الله عليه وسلم علم أمته الأخذ بالأعلى والأصلح والأنقى والأكمل من العمل والجهاد كما وجهه ربه بقوله : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ثم أرشد للأفضل والأكمل فقال : (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)

وقال سبحانه : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ثم قال : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال عز وجل : (والجروح قصاص) ثم قال : (فمن تصدق به فهو كفارة له)

أقول : هذا الطموح الذي أحب دوماً لفت أنظار إخواني المجاهدين والدعاة إليه وأسعى جاهدا لتوجيه همهم وأمالهم إليه ، وحث خطاهما نحوه ، وتركيز جهودهم عليه ، والارتقاء بتفكيرهم إلى مستوى الجهاد الإسلامي العظيم ونقاوته ، واعتبار أعظم حاجات أمتهم ودينهم ، لتصبح اختياراتهم لا محكومة فقط بفلك الجائز والمشروع تدور وتتردد فيه وحسب ، بل كما أسلفت تغوص في أعماق الجائز والمشروع لتستخرج من الدرر ما هو أنفع للأمة والجهاد وأصلح وأجدى وأسدى .. ، وتربي قادة ودعاة ومجاهدين لا ينظرون إلى الجائز والمشروع والمباح نظرة سطحية ؛ بل يجيلون النظر فيه ويمحصونه ويدققونه ليرجحوا منه الأنفع لهذا الوقت أو ذاك ، والأصلح من الأعمال والأجدى من الاختيارات والأنكى بل والأقطع للأعداء ..

بل إنني أذهب إلى أبعد من هذا فأقول أن الواجب عليهم أن يتعاملوا كذلك ، مع الواجبات والفرائض أيضا خصوصا عند نزاحمها وتعدها على أهل الإسلام اليوم ..

فيقدمون الواجب المضيّق أو الراجح والاهم على
الواجب الموسع أو المرجوح ..

ففي الجهاد الذي ندندن حوله في حديثنا هذا لا ينبغي أن
يحرّض الشباب بدعوى فرضية الجهاد على أي ساحة وعلى
أي عمل وتحت أي قيادة .. بل الواجب عليهم مع تراحم
مبادئ الجهاد وتعدد ساحاته وكثرة ماضي المسلمين
والحروب المستعرة عليهم والأعداء المحاربين لهم
والمستبشرين لحرمانهم ، أقول يجب عليهم في خضم هذا
الواقع أن يختاروا الأولى والاهم والأرجح من الميادين التي
يعوّل عليها نصر الإسلام والمسلمين والتمكين لهم ولدينهم
، ويصطفوا أنقى الرايات وأنضج القيادات ، ولا يكون
انتقاؤهم مبنياً على الحماس الأجوف أو مدفوعاً ومنتأراً
بتطويل مشايخ وعلماء الحكومات أو تزمير إعلامهم
وصحافتهم وفضائياتهم ، بل محكوم كما قدمنا وكررنا
بالأحظى والأنفع للإسلام والمسلمين والأنقى لجهادهم
والأنكى والأقطع لأعدائهم ..

وأن يقدموا ما كان من جنس جهاد الدفع على ما كان
من جنس قتال الطلب ، لأن جهاد الطلب فرض كفاية ، أما
جهاد الدفع ففرض عين ، ولذلك اشترط العلماء في جهاد
الطلب إذن الوالدين وإذن الدائن ، بخلاف جهاد الدفع الذي
لم يشترطوا فيه شيء من ذلك ..

وليعلموا أن من جنس جهاد الدفع القتال الذي يختار
تحرير بعض بلاد المسلمين من طغاة الكفر الداخلين أو
الخارجيين والتمكين لأهل الإسلام ودينهم هدفاً لبرنامج
وغاية وألوية في حساباته ، ولذلك يقدم مثل هذا القتال
على أي قتال آخر يكون طابعه النكاية المجردة أو أعمال
الحسبة المبتورة والمنقطعة ..

بل يقدم على هذا النوع الأخير ويقارب قتال المدفع
السعي في فكك أسارى المسلمين والقتال من أجل
تخليص المستضعفين كما قال تعالى : (وما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها
واجعل لنا من لذنك ولياً واجعل لنا من لذنك نصيراً)

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً :
(فكوا العاني ..) أي : الأسير .

ولذا قال النووي : (إذا أسر الأعداء مسلماً أو مسلمين فالراجح أن المسألة كدخول العدو ديار الإسلام) يعني (كقتال الدفع) لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار ، فيجب العمل على استخلاص الأسير أو الأسيرين) أهـ .

والعلم بهذا التفاضل والفرق به ، والبصر بالواقع ومدى تفاوت الأعداء في خبثهم ودرجة عداوتهم وحرابتهم للإسلام والمسلمين يعين المجاهد على الترجيح بين الواجبات والفرائض المتعددة والمتزاحمة ، فيقدم الواجب العيني منها على الكفائي والمضيق الذي لا يحل السكوت عليه أو تأخيره كان يكون في تأخيره هتك للأعراض أو استباحة للدماء المعصومة أو نحو ذلك فيقدم ذلك على ما هو أوسع منه من

ولا يكتفى في الاختيار مع هذا التزاماً والتعدد بمجرد دعوى الوجوب أو الفرضية .. أسأل الله العظيم أن يهيئ للمسلمين من أمرهم رشداً وأن يسددهم لما يحب ويرضى .. هو ولي ذلك والقادر عليه ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

قال لي بعض الإخوان ممن قرأوا بعض هذه الوقفات فحصروها على أشياء محدودة في أذهانهم : رفقا أرحم قلمك أيها الشيخ ..

فأقول : إنما أرحمه وأسعده بالدفع عن جهاد المسلمين وتنقيته من كل ما قد يشوبه أو يشوهه أو يحرفه ويحيد به عن الجادة ..

فهذا الجهاد ليس ملكاً لأحد من الناس يستأثر بتوجيهه كيف شاء ؛ بل جميع المسلمين فيه شركاء ويجب أن يحرصوا على تميزه ونقاوته ويعملوا على تسديده ويجهدوا في ذلك بالمشاركة فيه وبالنصح والتوجيه والمدعاء ، وعلى من يحسبون كرؤوس ومرجعيات له كفل عظيم من ذلك ..

ولا يجوز لهم بحال أن يداروا أو يداهنوا أو يقرروا الانحراف أو التشويه فيه أو الخطأ ؛ ولو صدر من أقرب الناس إليهم .. وأن يقدموا مصلحة الدين والجهاد والمسلمين على الأسماء والأشخاص ..

فأقول له ولغيره تدبر ما كتبت لك ولغيرك في هذه الأوراق فإنها أوراق ذات شجون بذلت فيها خلاصة نصحي

للدعاة وللجهاد والمجاهدين ، ولا تحصر تفكيرك وتحجره وتصغره في التنبيش والبحث وقول ان الشيخ يقصد فلانا او علانا او نحو ذلك ، فتحرم نفسك من خير عظيم فيها ، فالامر اكبر مما تظن ولم اعود نفسي ان اشغلها بأشخاص معينين فضلا عن ان اشتغل في دعاة او مجاهدين نحسبهم ان يشاء الله من اهل الصدق والإخلاص ولا نزكي على الله احدا ..

بل اني في كتاباتي هذه التي تقطر هماً وأسىً على جهادهم ارحمهم وأنصرهم اشد من نصرة السلاح والمال لو كانوا يفتقرون ، وذلك بالحرص على تسديد هذا الجهاد وتوجيهه إلى الأنفع والأحظى لدين الله ، وتحذيره من الانحرافات وتجنبه للعثرات والمشوّه من الثمرات ..

(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .

الوقفه السابعة عشر

تقزيم الجهاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله
وصحبه ومن والاه ..

يقول الله تعالى : ((لا يستوي منكم من أنفق من
قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين
أنفقوا من بعد وقاتلوا ..)) .

هذه الآية تبين عظم أجر ودرجة من عمل لدين الله
وجاهد في سبيل الله بنفسه وماله قبل أن يفتح الله على
المسلمين ويمكن لهم في الأرض ..

ذلك أن الأنصار قبل الفتح غرباء قليلون (بدأ الإسلام
غربيا وسيعود غربيا كما بدأ) أما بعد الفتح فإن الأنصار
يقدمون ويهجمون ويكثرون ((إذا جاء نصر الله والفتح
ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا)) .

واليوم وبعد أن زالت دولة الإسلام ودالت دولة الردة
والكفر والإشراك ، ومنعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت
الشام مديها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها وعدنا
من حيث بدأنا كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله
عليه وسلم في الحديث الذي يرويه مسلم في كتاب الفتن .

وامتنعت سائر الدول عن شرائع الإسلام وعاد الإسلام
غربيا كما بدأ ، نستشعر هذه الآيات ((لا يستوي منكم
من أنفق من قبل الفتح وقاتل ..)) ونذكر بها
المسلمين دوما ..

أبها المسلمون تدبروا حال أنصار الدين قبل الفتح كيف
كانوا ، وكونوا كما كانوا ..

لا يشغلنكم عن نصره دين الله وشريعته شيء من
حطام الدنيا ، بل ولا حتى شيء من مسائل الدين
المرجوحة ..

فليكن همكم وشغلكم الشاغل ودأبكم العمل من أجل
تحقيق الفتح ، والتمكين لراية التوحيد وشرعها ، وهذا

يستلزم همة عالية وعملا دعوبا وعلماً في الشرع وفهما للواقع ، وجندا وأعين يحملون هم هذا الدين بكرة وعشياً ، في كل وقت وزمان ((**يدعون ربهم بالغداة والعشي** ..)) ، وكما جاء وصفهم في الحديث لا يزالون دائبين ..

(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على أمر الله لا يضرهم من خالفهم ..) .

يسابقون في ذلك ويسارعون ، هو شغلهم وهمهم ومحياهم ومماتهم يبذلون له شبابهم وأعمارهم لا فتات جهدهم وهامش أوقاتهم ..

ويحملونه معهم حيثما حلوا في كل واد وناد ويتنقلون به في كل مكان في حلهم وترحالهم ((**وجعلني مباركا أينما كنت** ..))

فدعوتي هي جنتي وبسبباني أجملها معي في صدري وأنصرها حيثما توجهت وأنخت ، أشغل الناس وأطرقهم دوماً بالتذكير بها ، وأقض مضاجعهم كمنذر جيش أحذرهم من خذلان هذا الدين أو المشاركة في إقصاء شرعه وإقامة شرع أعدائه .. وأستحث هم المسلمين لنصرة دينهم ومصدر عزهم والعمل من أجل إعادة أمجادهم ببذل الغالي والنفيس لأجل العمل على استئصال الطواغيت وإقامة شريعة التوحيد ..

لا أهدأ ولا أتضرر بالمخالفين أو المخذلين ولا أستوعر الطريق أو أستوحشه لقلة الأنصار والمؤيدين أو أستثقله لكثرة العوائق والآلام والعقبات والابتلاءات ..

أو أستطوله لكثرة الأعداء والشائنين ..

ولا أخلد إلى الأرض أو أنقض هذه المسعة أو أخيس بهذا العهد حتى ألقى الله (فلا أخِرُّ إلا قائما) به ..

ويكون حالي كما تقول العرب عن اللدِّيع : (السليم لا ينام ولا ينيم) ويقولون : (لا ينام من آثار) ..

فلا أهنأ بعيش ولا تقرَّ لي عين حتى أرى راية التوحيد مرفوعة عزيزة خفاقة ..

هذا ومن يتدبر حال الأمة وإمكانات خواص المجاهدين فيها ، وقلة أنصارهم ، ثم يتأمل طبيعة الحرب العالمية المستعرة ضدهم ، وتكالب الأعداء في الداخل والخارج وتوحدهم عليهم وعلى دينهم ؛ يعلم أن النصر الحقيقية التي يحتاجها الدين اليوم من أجل الفتح ليست من أي نوع ، وأن الرجال الذين يصلحون لذلك ويستوعبونه وبأخذه بحقه ليسوا أي رجال ، وأن الأعمال القتالية والإختيارات الجهادية والوسائل والأدوات التي تلزم للتمكين ليست عشوائية أو حماسية لا يضبطها ضابط ولا يربطها رابط ..

بل ذلك الأمر الجليل والمشروع العظيم لا يصلح بأي صنعة بل يحتاج كما قيل إلى (صنعة من طب لمن حب) .

فيحتاج إلى عمل وجهاد وجهد من نوع خاص ، جهاد واضح وواع وقيادة راشدة بصيرة ، تاخذاً للجهاد كمشروع متكامل لا كردود أفعال وتشنجات حماسية أنية ، بل تتعامل معه (كتجارة) التاجر الحاذق البصير الذي يدرس مشروعه دراسة واعية جادة من كل جوانبه ويدرس السوق أيضاً دراسة واعية ويتعرف على واقعها .. ولا غرابة في هذا بعد أن سمي الله الجهاد تجارة ..

قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)) .

والتجارة كياسة وشطارة وتحتاج للفتنة والخبرة والإدارة ، وهي ليست كأي بيع عشوائي ولا كتلك البسطات المتنقلة أو كعمل الباعة المتجولين ، يجرب احدهم تارة ذاك النوع فيخسر ثم يجرب هذا الشيء فيربح الفلس والفلسين ..

بل صارت التجارة اليوم تدرس بالمعاهد والكليات ويتخصص أهلها ويتبحروا في فنونها قبل أن يخوضوا عمارها .. ولذلك ترى ربح أمثالهم في التجارة خصوصاً إن كانوا حذاقاً أكياساً قد نجدتهم التجارب والخبرات ودرسوا واقع السوق دراسة دقيقة ، وعرفوا أسرارها ومدخلها ومخارجها ومواسمها وأنواع الطلب والعرض فيها .. ترى ربح هؤلاء مضاعفاً وصفقاتهم عظيمة ..

والتاجر إن لم يكن حاذقاً عارفاً بضروب التجارة
متبصراً بواقعها فهو غالباً مغبون في تجارته كالمقامر في
رأس ماله ..

وإذا كان الأمر كذلك فتجار الآخرة المتاجرون بدمائهم
وأرواحهم وأموالهم مع الله أحق بالفهم والكياسة والبصر
والفطنة والعلم بالشرع والفهم للواقع من تجار الدنيا ، ولا
يجوز أن يكون تاجر الدنيا أحرص على رأس ماله ورأس
مال شركائه من تاجر الآخرة ..

ولا يجوز لتاجر الآخرة أن يخبط خبط عشواء في عمله
فيغامر ويقامر في رأس ماله ورأس مال إخوانه وشركاء
دره ..

إن مشروع الجهاد الجاد الذي يسعى لهدف عظيم
وغاية كبيرة كالتمكين ؛ يحتاج إلى جهد عظيم وعمل كبير
يتناسب مع عظم هذا الهدف ؛ عمل متكامل لا يفصم
الجهاد عن جهد العلماء العاملين ولا يفصله عن جهود
الدعاة المخلصين .. ولا يحجمه في الأعمال الثائرة وردود
الأفعال المبعثرة ..

ولا يزري به أو يشوّهه في أعمال السطو المسلح أو
السرقه لعصاة المسلمين أو المشبهين من الرجال
والنساء ولا يهمله أو يقزمه في استهداف المستضعفين
من الناس وغير المقاتلين من الكفار سواء كانوا نساء أو
أطفالا ..

ولا يشتته ويضع ثمراته بتوسيع دائرة الصراع وتشثيتها
بأن يذعر العالم كله على المجاهدين ويوحد دوله عليهم ،
دون برنامج واضح ولا أولويات محددة أو مراحل مدروسة ،
فلا يرفع رأساً بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومرحلية
الجهاد فيها وبداءتها بالأقرب والأولى ..

ولا يصرف شباب الأمة وطاقاتها كلها إلى أعمال النكابة
المبعثرة التي لا تضع في حسابها برنامج التمكين كهدف أو
استراتيجية ..

فالناظر في القتال الذي ينشغل به شبابنا اليوم في
كافة بقاع الأرض يراه متبعثراً متشتتاً في أعمال ذات طابع
نكائي مجرد تظهر تارة هنا وتارة هناك ..

وقل أن يرى من يعمل بجد واجتهاد وروية ودراسة عملاً متكاملًا يضع في برنامجه وأولوياته التمكين وإقامة دولة الإسلام كهدف استراتيجي كما يسمونه ..

وفي كل مرة لم نكد نفرح برائحة شيء من ذلك حتى يسلم المجاهدون - بقصر نظر قياداتهم - ثمرة جهادهم ودمائهم إلى صناديق الإقتراع ليقفز لنا من داخلها كل نطیحة ومتردية يشنون أركان كراسي حكمهم فوق أشلاء الأبطال وجماجم الشهداء ..

ولما اكتسحت الطالبان عموم أفغانستان ولم يبق إلا الشمال وقف أكثر الناس ومنهم طائفة كبيرة من المتحمسين لأفغانستان والطالبان وقفوا يتفرجون ، وانشغلوا في إيجاد المعاذير لترك القتال مع الطالبان ، بل ذهب بعضهم يعد ويتدرب للأعمال النكائية المجردة هنا وهناك وترك أو قصر في تثبيت وترسيخ التمكين والدولة التي تجشم الصعاب وشد الرحال إليها وكان يستظل بظلها ، وأمضى عمره من قبل يحلم بها ..

إن النيران المشتعلة اليوم حولنا في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وغيرها ، ومناظر وأخبار القتل والتعذيب والتشريد والإهانة والإذلال على أيدي اليهود والأمريكان وأذنابهم وفي سجونهم في أي غريب وجوانتنامو وباجرام وسائر العواصم العربية والأجنبية ..

إضافة إلى منظر برجى التجارة والنيران تلتهمهما وهما ينهاران .. كل ذلك دون أدنى شك يؤثر بحرارته على حماس الشباب والمجاهدين ويدفع بعضهم إلى المبادرة إلى أي عمل يشفون به صدورهم ويثارون به لإمتهم ودينهم وإخوانهم المسلمين ويحاكون به عمل أبطال غزوات نيويورك وواشنطن ..

وأنا هنا لا أريد أن أطفئ جذوة تلك الحرارة من صدور الشباب المجاهد ، ولا أسعى كما يسعى كثير من القعدة والمخذلين إلى تبريد الشباب وتجميد عواطفه وإماتة نخوته وغيرته عيادا بالله ؛ بيث ثقافة الدواجن التي هي ثمرة عفنة من ثمرات العقيدة الإرجائية المعاصرة المنبسطة تحت أحذية الطواغيت ؛ وإنما الذي أطلبه وأتناه وأسعى إليه وأنبه عليه أن يكون التأثير بهذه الحرارة إيجابيا لا أن يكون تضررا سلبيا يعطل أو يقطع برامج الإعداد الجاد أو يحرف عنها ، أو يعكر المزاج الإسلامي الأصيل

واختياراته الشرعية الرزينة والصحيحة ، فيدفع إلى
اختيارات حماسية لا يراعى فيها الأنفع والأكمل في الثار
للإسلام وأهله ..

إذ الثار الحقيقي والناجع إنما هو ذاك الذي يقر أعين
المسلمين حقاً ، ويغيظ المشركين والمرتدين صدقاً
بتنكيس آياتهم وقطع طرفهم واستئصال دولتهم ورفع
راية التوحيد والدين بالتمكين لها وتحكيم شرعها ، وهذا لا
يتأتى في زماننا إلا بأن يتعامل المسلمون والمجاهدون مع
الجهاد كمشروع متكامل ناضج .. له برنامج الواضح
والجاد وقيادته الواعية وخطابه الناضج والأصيل ، وبوصلته
الواضحة ، وهدفه المحدد غير المتقلب ، ووسائله
المشروعة النظيفة .. وجنده المخلصون المنضبطون
بضوابط الشرع المتبصرون بواقعهم المستبينون لسبيل
المجرمين ..

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قادراً على
أن يثار لنفسه من أهل الطائف لما ردوه وأذوه وسلطوا
عليه سفهاءهم فأدبوا قدميه بالحجارة كان صلى الله عليه
وسلم قادراً على أن ينتقم منهم ومن كفار قريش الذين
أذوه وأذوا أصحابه أيضاً يوم جاءه ملك الجبال وعرض عليه
ذلك فأبى أن يثار لنفسه وصبر وصابر وجد واجتهد وجاهد
هو وأصحابه حتى مكن الله لهم فكان الثار الحقيقي
الكامل للدين بأشرف صورته حين ارتفعت راية التوحيد
ونكست راية التنديد وصار كفار قريش والطائف وغيرهم
في قبضته وكان الفتح فقتل منهم من قتل وعفا عن عفا
ودخلوا في دين الله أفواجا ..

إننا نتألم اليوم لما نشاهده من تقزيم وتحجيم بل
ومسخ للجهاد بسبب الضرر باثار تلك النيران سلباً ..

فقد حُجِّم الجهاد وقزم من كونه مشروعاً أعظم غاياته
إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده
وتمكينهم في الأرض لتحقيق التوحيد والعبودية لله وحده ..

**(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ولله عاقبة الأمور) .**

**(وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا
يكفرون بي شيئاً ..)**

قزم الجهاد من هذه الصورة العظيمة ..

فسلخ أولاً عن لسانه الناطق وخطابه الناضج الأصيل
(الدعوة) وقصم عنها .. ولم يعد القائمون عليه يحسبون
حسابها أو يراعون مصالحها ودرء المفاسد عنها فيما
يختارونه من أعمال ويرجحونه من أولويات ..

ثم حرم في القتال النكائي أو أعمال إنكار المنكر
المبعثرة التي لا تحقق أهدافها ولا تدوم ثمرتها ما مورست
من غير تمكين .

ثم اختزل بحصره في الأعمال الثأرية وردود الأفعال
الانتقامية غير الموزونة ولا المدروسة ..

ثم حُجِّم وحُجِّم إلى أن بلغ به البعض أن جعلوه ردود
أفعال تشنجية يستفزهم ويجرهم إليها أعداؤهم ، فيوجهون
بذلك قتالهم ويستثمرونه فيما شاءوا ..

وصرنا نرى ونسمع كل شابين أو ثلاثة ، يجتمعون دون
أدنى خبرة عسكرية أو تجربة تنظيمية ولا علم بالواقع ولا
نظر في الشرع .. ولا مؤهلات تدفعهم لذلك إلا الحماس
الأجوف ، تراهم يجتمعون بمجرد أن تقع أيديهم على سلاح
، فيؤمِّرون أحدهم ، غالباً ما تكون مؤهلاته كونه أهوجاً أو
كونه كان مبرزاً عليهم في جاهليتهم قبل تدينهم وربما كان
فيهم من يفضله بالفهم أو العلم ، ينقادون له ويصدرونه لا
مؤهل له إلا ذلك الحماس الأجوف ، ثم يطلقون على
تجمعهم المهلهل هذا اسماً ولا بد ، مما يعطيه كياناً وحجماً
أكبر من حجمه ، وهو شيء يستفيد منه ويفرح به أعداء
إلله .. ثم ينقضون في أقرب فرصة على أول دار للسينما
أو كنيسة أو حسينية أو نحوها .. فاي برنامج هذا ؟ وأي
منهج وأي ثمرة يرجونها من ذلك للإسلام في هذا الزمان ؟
وأي مستوى ساذج وعقل سطحي يدفع إلى هدر أعمار
هؤلاء الشباب وبلقيهم بعد ذلك في السجون ليكملوا بقية
حياتهم فيها ؟

وهل هذا التفكير والاختيار يتلاءم مع مستوى الحرب
العالمية اليوم على الإسلام ؟؟

هذا غير من ينقض منهم على المتبرجات بدعوى إنكار
تبرجهن بحرقهن بالمواد الحارقة أو ضربهن .. أو يسلب
النساء المشبوهات بحجة دعم أعمالهم الجهادية المزعومة
!! ونحو ذلك من الغرائب والعجائب ..

ثم في أول اعتقال لأحدهم يجر جر معه من عرف ومن
لم يعرف ممن ضافهم أو ضافوه ، أو خدموه خدمة أو
أسدوا إليه نصحا ، لتخرج علينا الأجهزة الأمنية بعد ذلك
لتعلن إلقاء القبض على تنظيم إرهابي خطير ، وتفاخر
بإحباطها لمخططاته الرهيبة ، وبرامجه المرعبة ، ليحصدوا
بذلك الرتب والنياشين والامتيازات على ظهر هؤلاء
الشباب الأغرار ، الذين إن فتشتهم وجدت الخواء العقائدي
والعلمي والديني والخلقي ينخر فيهم نخرا ، ولقد رأيت
بعض هذه الأصناف في السجون لا يصبرون عن مشاهدة
التلفزيون ولا يطيقون ترك التدخين ، هؤلاء كان أعداء الله
يضخمونهم ويفخمون أعمالهم وتنظيماتهم ومخططاتهم
ليقطفوا بذلك مارب لهم من أسيادهم الأمريكان ، أو
ليبرروا كل بطش يمارسونه على الإسلام والمسلمين ..
فبعضهم يربطونه بالقاعدة والبعض بالزرقاوي وهكذا ..
ولقد رأيت بعض هؤلاء يتخلف عن صلاة الجماعة معنا في
ساحة السجن في وقت من الأوقات خوفا من الجناب
التي كانت تتواجد فيه .. أما مواقفهم بين يدي أعداء الله
في التحقيقات ومواقفهم في المحاكم فلا تسل عنها ..

قسماً يا إخواني إن هذا ليس من محض خيالي ، بل هو
واقع مرّ عايشنا أهله ، ثم يسمونه جهادا !! يزجون بسببه
بإخوانهم في السجون ويسلبون عليهم أعداء الله ،
ويجعلون من أنفسهم أضحوكة والعبوة بأيدي أعداء الله
يشفون صدورهم بهم ويستعملون قضاياهم ويوظفونها في
صحافتهم وإعلامهم لتشويه كل داعية ومجاهد ..

أي مسخ للجهاد هذا؟؟ بل أي إزرأ له وتحقير ؟

وأي تشويه لجنده وأبطاله الحقيقيين .. ؟

والله ما هزلت فيستامها المفلسون ..

حتى سمعنا عن ورتط الفتيات القاصرات ودفعهن أو
استثمر جماسهن في أشياء من ذلك ، أوقعتهن بعد ذلك
فريسة بأيدي من لا يرقبون في مؤمن ولا مؤمنة إلا ولا
ذمة ، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ..

وإذا سعدنا في السلم درجة وحدثنا بعض من عياش في معسكرات المجاهدين أو في جبهات القتال ، وتعلم تصنيع المتفجرات منها أو من غيرها ، يمارس في شوارع المسلمين نوعاً من الجهاد عجيباً غريباً ؛ يتمثل بتفجيرات عمياء بيثها هنا وهناك ، لا تعصم مسلماً ولا يتحاشى فيها من امرأة أو طفل أو نحوهم ، ولا يراعى مصلحة ولا يتقى مفسدة ..

دوافعها أحياناً إنكار بعض المفاصد والمنكرات التي لا تستأصل أصلاً إلا بالتمكين ، ولن يستأصلها تفجير خمارة أو دار للسینما أو ملهى ، ناهيك عن يقتل في تفجير هذه الأماكن من العصاة ممن لا يعتبر القتل عقوبة شرعية لهم ..

وأحياناً يكون بواعث ذلك الانتقام والثأر من بعض أعداء الله ، وكان ذلك لا يتم إلا بالسيارات المفخخة والعبوات الناسفة التي لا تفرّق خصوصاً حين توضع في شوارع المسلمين بين المشركين والأبرار ..

وغالباً ما يكون ذلك كله محاكاة وتقليداً لبعض عمليات المجاهدين المحكمة تقليداً أعمى من غير بصر ولا نظر ، ودون أدنى خبرة أو دراية ، أو تحرز من دماء المعصومين والأبرياء ..

ولو تأمل هؤلاء في عمليات المجاهدين التي يتحمسون لها ويحاولون محاكاتها ، لوجدوا أن أكبر عمليات العصر قد قام بها أبطالها دون أن يطلقوا طلقة واحدة ، بل نفذوها بكياستهم وفطنتهم وحسن تدبيرهم ورجاحة عقولهم بمشارط من ورق ..

فالمسألة ليست دوماً بالمتفجرات والعضلات ؛ بل هي بحسن التدبير والإعداد والتفكير .. وقد قيل (نفاذ الرأي في الحرب أنفذ من الطعن والضرب) .

وأذكر أن مدرباً من المجاهدين وفي خاتمة دورة (للنسف والتخريب) وهو علم متفرع عن المتفجرات يبحث في الحسابات اللازمة لهدم وتدمير المباني والجسور ونحوها بأحجامها وخرساناتها ونوعية العبوات التي تحتاجها وكمية المتفجرات ؛ سأل المتدربين عن مبنى ضخم ، في قواعده من الحديد والخرسانة ونحوها كذا وكذا ، ويتواجد العدو في الطابق كذا منه ، فكانت أجوبة أكثرهم

حسابيا صحيحة بتجديد نوعية العبوات وأماكن زرعها وكمياتها التي بلغت أطنانا لإسقاط المبنى وتدميره بالعدو؛ ومع ذلك كان المدرب يخطئ كلاً منهم ويضرب على جوابه ، وهم يتعجبون ، ولما سألوه عن الجواب الصحيح ، قال : الجواب الصحيح أن يصعد المجاهد إلى الطابق الذي يتواجد فيه العدو ويجهز عليه بخنجر أو مسدس ، لأنه لا يمكنه في بلاده وفي حرب المستضعفين من توفير هذه الكمية الهائلة من المتفجرات هذا أولاً ، أما ثانياً فلأنه يعمل في بلد وإن كانت دار كفر اصطلاحاً لأن الغلبة فيها لحكم الكفار ؛ إلا أن جمهور أهلها ينتسبون للإسلام وتلك الكمية من المتفجرات تتجاوز حدود العدو المطلوب .. يريد هذا المدرب الفطن بهذه المسألة لفت أنظار المجاهد إلى واقعه وإلى ضرورة أعمال الفكر والنظر في حسابات أخرى أهم وأعمق من حساب كمية المتفجرات ونوعيتها .. فالمسألة ليست دوماً محجرة منحصرة بالمتفجرات بحيث لا يصلح الجهاد إلا بها .. ولا شك أن التعامل مع الجهاد بتلك السطحية ودون اعتبار لهذه الحسابات من تقزيم الجهاد وتحجيمه ..

ومن تقزيم الجهاد أيضاً أن يُصدّر للقيادة فيه أو يُسلم قيادة العمل التنظيمي من لا يصلحون لذلك بحال ، ولا يمتلكون أدنى درجات الخبرة التنظيمية أو حتى العمل الشرعي الذي لا يكفي وحده لمثل هذا العمل ، ولا يعرفون ما يدور حواليتهم في الواقع ، وكيف يعرفون وقد رأيت بعض من أسندت إليهم إمارة تنظيمات مسلحة يُحرم مشاهدة نشرات الأخبار ولا يتابعونها لا في صحافة ولا في مذياع ، استؤمنوا على أرواح الشباب المجاهد دون أن تكون لهم أدنى معرفة بمبادئ العمل التنظيمي ، واستؤمنوا على أموال المجاهدين التي بذلها المسلمون حبا في الجهاد ونصرة للمجاهدين ودفعاً عن حياض الإسلام والمسلمين ، مميزاتهم التي أهلتهم لتولي تلك المناصب وتصريف هذه الأموال وتوجيه أولئك الشباب بتخليطهم ؛ شيئان الأول : أخذهم بالمذهب الأشد لا الأسد ، ولذلك فلا يوجد عندهم في الدنيا كلها جهاد إلا جهادهم ، ولا مجاهدون يتبعون للطائفة القائمة بأمر الله إلا هم .. أما الشيء الثاني : فهو عمى عيونهم عن عيوب من نصبهم في تلك المناصب ، وندنتهم له : بمع مع ، ونعم نعم .. وعدم مخالفتهم أو معارضتهم لشيء من أختياراته أو تخليطاته ، غض الطرف عن تطرفهم وشذوذاتهم ، ورأى فيهم بقية السلف ، فغضوا الطرف عن تخليطه وضعف خبرته .. فياحسرة على شباب المسلمين وطاقاتهم

يسلمون لأمثال هذه الزعامات تشتت جهدهم وجهودهم ،
ثم تسلمهم وتسلم أعمارهم إلى المعتقلات والسجون ..
وياحسرة على أموال المجاهدين كيف توجه بتفريطهم ثم
تصير في خاتمة المطاف غنيمة باردة في أيدي أعداء الله
..

ولذلك فإن من صور تقزيم وسائل الجهاد وآلياته أيضاً
تعاطي البعض مع العمل التنظيمي المسلح بدروشة
وسطحية قاتلة دون خبرة سابقة ولا حس أمنى أو غيره
مما يحتاج إليه لمثل هذا النوع من الأعمال .. واعرف من
كان يسابق مسابقة إلى خطف وتنظيم أي شاب يراه معنا
أو في مجالسنا لمجرد أن رأوا فيه شيئاً من الحماس وحب
هذه الدعوة ، ويعرضون عليه منذ اللحظة الأولى المشاركة
في تنظيمهم ، وبالطبع يطلبون منهم بغياء وقد استلوه من
مجالسنا ، ويعلمون أنه أقرب إلينا ؛ أن لا يطلعنا على
عرضهم ، وكذلك فإن من المضحك المبكي أن يرجع
ليسألنا عن أولئك المنظمين وهل هم ثقات وهل نركبهم أم
لا ؟ وذلك بعد أن يكون قد عرف بما عندهم من عمل
تنظيمي وخطط وأحلام بتفاصيلها المملة ، فما أسهل أن
ينفذ أعداء الله إلى مثل هذه التجمعات ، وما أسهل أن
يخرقوها بسبب هذه السطحية والسذاجة ، وإن لم يفعلوا
هم ذلك ، فما أسرع أن يسربه بعض من عرض عليهم ذلك
ولم يوافقوا عليه ، هذه الدروشة أو (الهبل) التنظيمي
يمارسه بعض من ينتسب إلى التيار الجهادي - وإثكلاه -
بينما أعرف بعض من ينتسب إلى التنظيمات الأرضية
وأيضاً الإسلامية المشوشة شرعياً والتي بزدر بها وينتقصها
أولئك الجهاديون !! رأيتهم يتقنون العمل التنظيمي
ويضبطونه إلى حد بعيد ؛ فترى الرجل ينتظم معهم سنين
يتدرج في سلمهم التنظيمي دون أن يشعر ، وتوكل إليه
المهام والمسؤوليات حتى يبلغ مرحلة يتعصب فيها لهم
ولمشايخهم أو أقطابهم دون أن تعرض عليه يوماً كلمة
تنظيم أو يسمع بكلمة إمارة أو بيعة أو نحوها ، ولذلك ترى
عشرات هؤلاء محدوددة ؛ بينما يكون الخطأ الأول للآخرين
خطأ قاصماً قاتلاً أخيراً ..

وآخرون ما زالوا متخلفين عن ركب العصر ولا زالوا
بدائيين في التعامل مع الأدوات التنظيمية فبعضهم لا
يحسن استعمال الحواسيب ، وإن استعملها أو رأسل من
خلالها لم يأخذ بأي احتياطات أمنى أو حذر ؛ ثقة بها أو جهلاً
برقابة أعداء الله لها ، فإذا دأهموا بيته وجدوا تفاصيل
تنظيمه وأسماء إخوانه ومخططاتهم جاهزة فيه ..

وبعضهم لا زال يستعمل في هذه الأشياء الخطيرة الكتابة الصريحة المفصلة على الورق ، واعرف من داهموا بيته عند اعتقاله فوجدوا على طاولة مكتبه التفاصيل الدقيقة والمملة لتنظيمه ، بحيث لم يتمكن من إنكار شيء بعد اعتقاله ، ومن شدة تهويل تلك التفاصيل والاعترافات ، لم يجد أعداء الله أنسب منه كي يلصقوا به أعمالاً كانت قد قيدت ضد مجهول بلغ بعضها إلى القتل والاعتقال لا تمت إليه بصلة ..

طبعاً تلك المؤهلات العجيبة والغريبة التي صدرت هؤلاء وأمثالهم للعمل التنظيمي هي التي أهدرت أموال المسلمين في مغامرات فاشلة ، وضيعت أعمار شبابهم ، وأزهقت أرواح مجاهديهم فيما لا طائل من ورائه للإسلام والمسلمين ، فأقرت أعين المشركين وأحرّت أعين المسلمين ..

وتلك المهازل التي يفاخر بها أهلها وبسُمونها جهاداً ، لا يستحي بعضهم معها من الطعن بالدعاة والعاملين لدين الله ممن لا يوافقونهم على تخليطهم ، ولا يخلون من رميهم بالقعود والتخلف عن الجهاد وتغييرهم بلزوم نهج الدعوة والتربية والإعداد الجاد ..

ولذلك فإن من صور تقزيم الجهاد وتحجيمه أيضاً كما أشرنا سابقاً ؛ اختزاله في القتال النكائي وفصمه عن الدعوة ومخاصمته لأهلها وعزل جهود العلماء الربانيين والدعاة العاملين وإخراجها من الجهاد ، الأمر الذي يدعو بعد ذلك إلى الاستخفاف بعلمهم والإعراض عن كتاباتهم وإهمال مناصحاتهم بدعوى أن أهل الثغور أفهم وأعلم ، فيحجرون بذلك ثغور الإسلام ويقزّمون أهلها فيمن لا يحسن إلا (الطخخة) العشوائية بمعزل عن خطاب الجهاد الناطق وروحه النابض ، ليتخطوا بعد ذلك في الاختيارات كيف شاءوا وليهدروا أموال المسلمين وأرواح المجاهدين وأعمارهم في أعمال يجمع العقلاء على عدم جدواها أو فائدتها للإسلام والمسلمين .. ويهمش بذلك علم وخبرة العلماء الربانيين الذين يقفون ويثبتون في وجه الطواغيت اليوم ولا يخضعون لإغراءاتهم أو يختعون لتهديداتهم ، ويتصدون لدحر شبهات أذنابهم من علماء السوء؛ فإن لم يكن هؤلاء من أهل الثغور فليس في الدنيا كلها إذا أهل ثغور ..

ألم يكن الإمام أحمد في ثباته في محنة خلق القرآن في زمانه إمام أهل الثغور بلا منازع ، يوم وقف على أعظم ثغور الإسلام وأبي أن يؤتى الإسلام من جهته ، وما رمى بسهم مريش قط في وجه الروم ولا غيرهم ، وإنما كانت أسهم القرآن والإسلام كلها بيده يرمي بها في نحر أهل الزيغ والضلال ، يدرأ بها شبهاتهم ويدفع عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، فثبت الله به أركان الملة ، ورفع بذلك قدره وذكره ، فصار إمام أهل السنة والجماعة بلا منازع ..

هؤلاء العلماء والدعاة الربانيون القوامون لله القائمون بأمره ؛ هم سادة أهل الثغور وقادتهم الذين جمعوا بين العلم والعمل وبين الصبر واليقين ..

- العلم الذي يؤهلهم للصدارة والتوجيه ، وأن يتخذهم الناس رؤوساً فيفتوا بعلم وفهم فيهدوا ويهدوا .. ((**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**)) ، فهم المقصود بأولي الأمر في أحد التأويلين لقوله تعالى : ((**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**)) ..

- والصبر واليقين الذي يؤهلهم للإمامة في الدين ((**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**)) ..

لم يخلدوا إلى الأرض ؛ بل خرجوا على طواغيت الأرض وكفروا بهم وبشركهم ، فكانوا أحق الناس بمسمى أهل الثغور ، وأولى الناس بقوله تعالى : ((**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**)) ..

وما رضوا بأن يكونوا مع الخوالف فكانوا بذلك ممن يعلمون ويفقهون كما دل عليه دليل الخطاب في قوله تعالى : ((**رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون**)) ، ومفهوم قوله سبحانه : ((**رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون**)) ..

أليس من تقزيم الجهاد وتحجيمه بل ومسخه عزله عن علمائه الربانيين ودعائه العاملين ، وفصله عن علمهم ودعوتهم ؟

وكما أن من تحجيم الشهادة وتقزيمها أن يندفع المجاهد إلى تحصيلها دون نظر إلى ما يحققه للدين بشهادته ، ودون وضعها في أعظم الأعمال وأنفع الاختيارات لدين الله ..

فكذلك من تحجيم الشهادة حرجها على شهيد المعارك ؛ وفصمها عمن يقتل من أولئك العلماء والدعاة الربانيين في سبيل تحقيق التوحيد والدعوة إليه ، مع أنهم من ساداتها ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق حين قال : ((**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره فنهاه فقتله**)) ..

أوليس من تقزيم الرباط في سبيل الله أيضاً تحجيره في بعض البلاد والميادين والساحات والثغور دون بعض ، أو حصره في العمليات القتالية وعزله عن الرباط على حراسة ثغور العقيدة والدين في وجه الطواغيت وأنابهم من علماء السوء ، والسهر والثبات على ذلك رغم أذاهم وتعذيبهم وسجونهم وملاحقتهم ؟

وإذا كان إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة رباط ، بل ذلكم الرباط كما أخبر صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه مسلم ؛ فكيف بالرباط لحراسة الدين ، والثبات على الحق في وجه الطواغيت والقيام على باطلهم وكفرهم ؟

وكذلك أليس من تحجيم الجهاد حصره في العمليات القتالية وعزله عما لا يصلح ولا ينتهز إلا به من متمات ومكملات ؟ أليس من تقزيم الجهاد تحقير تلك المكملات والاستخفاف بجهود أهلها ؟ مع أن الجهاد لا يقوم إلا بها .. بل هي من الجهاد دون إدنى شك .. ألم يقل الله تعالى : ((**انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله**)) ؟ فقدّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس .. ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : (**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**) رواه أبو داود ، فهذا مثل الآية وزيادة الجهاد باللسان ..

وقال صلى الله عليه وسلم : (**من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا**) متفق عليه .

وفي الحديث : (إن الله يدخل بالسهم ثلاثة نفر الجنة :
صانعُه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ، ومُئيلةٌ ..)
رواه أبو داود ، وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلي بني لحيان ،
فقال : (لينبث من كل رجلين أحدهما ، والأجر بينهما) .

فأين من يفقه هذا ويعيه ويعلم أن الجهاد كمشروع جاد
لا يكمل ولا ينجح ولا يحقق مراد الله كما يجب ربنا إلا
باستيعاب ذلك كله ، وعدم تهمةٍ أو تحقير شيء منه ،
وعدم الإستخفاف بجهود أهله ، لأن ذلك كله شرع من الله
تعالى وأوامر يجب على المسلمين إعمالها والاستجابة لها
كلها ، وعدم تعطيل شيء منها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا
..

ومن آثار هذا التحجيم أنك تتعب وتشقى في توفير
الدعم المادي لأي مشروع دعوي أو تربوي علمي ، كإنشاء
مدرسة إسلامية حقيقية لأبناء المسلمين ، أو نحو ذلك من
المشاريع التي لا غنى للدعاة والمجاهدين وأبنائهم عنها ..
بخلاف ما إذا كان العمل قتالياً أياً كانت صورته وكيفيته ..
وإذا كان الأمر كذلك .. فمن يخلف المجاهد في أهله ؟
ومن يربي أولاده ويعلمهم ويحفظهم في غيبته إن قزم
الجهاد وحجم الرباط والاستشهاد في القتال وحده ؟!

ومن يخلف المقاتلين على ثغور الدعوة ، ويثبت في
وجه أعداء الله وأذئابهم من علماء السوء ؛ يذب عن
التوحيد شبهاتهم ، ويدفع عن أعراض المجاهدين رماحهم ،
ويتصدى بنحره لسهام الطعن والتشويه والتخذيل ؛ من
يفعل ذلك ويقوم به حق القيام إن قزم الجهاد وفصم عنه
جهد العلماء والدعاة بفصل جهاد اليد عن جهاد اللسان .. ؟

وكيف يتجهز المجاهدون ويقاتل المقاتلون ؟ وكيف
ينبثون ويتحركون في سبيل الله إن سلخ الجهاد بالمال
عن الجهاد بالنفس ولم يجدوا من يجهزهم أو يخلفهم في
أهليهم .. ؟

يا قومنا ((**إن الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**)) .. والبنيان
المرصوص كل لبنة منه تكمل الأخرى وتشدها وتتم البنيان
وتقويه ، وإن نقصت لبنة أو أكثر عيب البنيان ونقص
وتضعضع ..

اللهم ألهم إخواني رشدهم ..

ومن صور تقزيم الجهاد تقزيم وسائله وآلياته وقلبيها في كثير من الأحيان إلى غايات وأهداف وذلك بحصره في الأعمال التي يسميها البعض انتحارية ونسميها بضوابطها جهادية ؛ دون مراعاة ما وضعه العلماء من ضوابط وشروط لتجويزها ، حتى صرنا نسمع عن من يفجر نفسه أمام فندق أو ملهى أو نحوه ولا يسفر عمله إلا عن بعض الأضرار المادية ، وآخر يفجر نفسه ليقتل شرطيا أو جنديا أو نحوه يمكنه قتله دون اللجوء إلى هذه الوسيلة .. بل منهم من يفجر نفسه في كنيسة أو مسجد للشيعة وهكذا !! فاي ضرورة تبيح مثل هذه الأعمال ، وأي مصلحة للإسلام والمسلمين فيها . ؟ وأي شرع بل أي عقل يجيزها ؟؟

ومن تقزيم الجهاد بل وجعله أضحوكة للأعداء بث التهديدات الجوفاء المتكررة هنا وهناك والتي لا يعقبها أي تنفيذ ؛ بحيث تفقد المجاهدين مصداقيتهم وتنزع على المدى الطويل من قلوب أعدائهم مهابيتهم ، ويبدون كما يقال كالبراميل الفارغة والتي هي دائما أشد ضجيجا من المملئي ، وتدعّر العالم على المسلمين وتزيده توخّدا عليهم دون أدنى فائدة أو عائدة على الإسلام والمسلمين ..

ومن تقزيمه إشغاله بأهداف لا طائل من ورائها ولا فائدة تعود على الجهاد أو على الإسلام وأهله ، بل على العكس يجني منها أعداء الله فوائد شتى .. سواء من تشويه صورة المجاهدين أو تحريض الناس عليهم أو التبرير بها لقمعهم وتوظيفها لمارب الطواغيت ..

وكثيرا ما نسمع اليوم عن مهاجمة مساجد الشيعة أو تفجير حافلات نقل الناس أو تفجير أماكن اللهو أو الفساد فوق رؤوس العصاة أو تفجير الكنائس أو تلويث مقابر اليهود أو النصاري أو نحو ذلك مما يسميه أهله جهادا ولا فائدة من ورائه إلا تشويه صورة الجهاد واستثمار الأعداء لتلكم الاختيارات في تحقيق مآربهم وحرب الإسلام والمسلمين ..

فمن تقزيم الجهاد عزله عن اعتبار المصالح وعدم النظر في المفاسد والعواقب ، واختيار الأعمال والأهداف دون الرجوع إلى هذه الموازين ..

ومن ذلك حجه عن خطابه الإعلامي الناضج واختياراته
السديدة وعدم مراعاة خطاب الناس على قدر عقولهم
والتحدث إليهم بما يفهمون ..

ومن تحجيم الجهاد ما يمارسه كثير من الشباب الذين لا
يرون الجهاد إلا بعيداً عن بلدانهم ، من تفرغ ساحات
العمل والدعوة والجهاد في بلادهم وما يليها ، والنطنطة هنا
وهناك .. فتارة يستنفرون الشباب إلى الشيشان وتارة إلى
أفغانستان وتارة إلى أوزبكستان أو كردستان وأخرى إلى
الجزائر وأحياناً إلى العراق أو أي مكان ، المهم أن يتركوا
بلادهم إما تضرراً بضغط الأجهزة الأمنية أو تائراً بتركيز
الإعلام على بعض الساحات والميادين ، أو تعذراً بدفع
الصائل على المسلمين في بعض تلك البلاد مع أن الصائل
قد صال عليها وعلى غيرها ، وقد فرّخ وجال وصال في
بلادهم على دينهم وتوجيههم وشرعهم⁽²⁾ .. أو كما قيل :
(تطلب ضباً وهذا ضب باد مخرج رأسه)

وكم تملكني العجب عندما قرأت لبعض المجاهدين في
العراق يدعون إخوانهم المجاهدين في الجزيرة إلى ترك
جهادهم هناك وللحاق بهم في العراق ، في وقت كان
حرب النظام على الإخوة في الجزيرة مستعرة كما هي
في العراق .. فما الذي رجع العراق على نجد أو الحجاز أو
تهامة ؟ أهى استراتيجية واضحة ومصالح بينة وترجيحات
سديدة أم الحماس المجرد وتركيز الإعلام عليه .. أم كما
سمعت من البعض لأجل أن الأسلحة والمتفجرات
والقذائف من مخلفات النظام البائد كثيرة .. ؟!! أو غير
ذلك من الأسباب التي لا تنظر في المصلحة الراجحة
للإسلام والأقرب لتمكينه ، ولا تراعيها في اختيار الميدان أو
التوقيت أو نوعية العمل واختياراته ..

وعندما كانت طائرات السي 52 وصواريخ كروز
وتوماهوك وغيرها تنهال على القرى والمدن وخنادق
المقاتلين في أفغانستان ، وكان المتحمسون يحرضون
الشباب في بلادنا للحاق بتلك الخنادق للمشاركة بالقتال
ونصرة إخواننا في أفغانستان ، كنت أكتب وأتكلم بصراحة
أحتسب عند الله ما كلفتني ، وأقول : إلا يمكن نصرة
إخواننا في أفغانستان إلا بان نتجشم المسافات ونقطع
المفاوز والعقبان كي نقف إلى جنبهم في الخنادق وتحت

(2) يضرب لمن يلتفت لعدو بعيد وعنده مثله قريب .

الحمم التي تلقيها الطائرات والقنابل التي تقذفها
المقاتلات ..

وكنت أقول : لماذا نضيق نصره إخواننا بذلك ونحن
نراهم في ذلك المازق والأفغان ينحازون من مدينة إلى
مدينة ويطلبون من العرب الخروج ؟ ولماذا نحجم الخنادق
بهذه الطريقة البدائية ؟ ألا يمكننا نصره إخواننا وأن نكون
جنباً إلى جنبهم وفي الخندق ذاته ونحن في مواقعنا وفي
بلادنا التي نحن أعرف بشعابها ؟ بل ربما كان ذلك أسهل
للمجاهدين وأنكى وأوجع وأقسى على أعداء الله الذين
كانوا يتحولون أميين في شوارعنا وبين ديارنا ..

وأنا هنا لا أعتب على الشباب المتحمس الذي لم تنضج
نظراته إلى الجهاد وسطحيته في التعامل معه وإن كنت
أكتب جل ما أكتبه له ولتوجيهه ؛ بقدر ما أعتب على
المشايع والرؤوس والمرجعات الذين انساقوا خلف
الحماس ، وخرجوا عن طورهم وخطهم الذي اختاروه عن
علم ومعرفة وروية ، وتعاملوا مع الأمر بتلك السطحية
فتركوا حقول دعوتهم وإعدادهم ونقضوا غزلهم وشدوا
الرحال دون تدبر ونظر ، متجشمين العقبات مستعملين
كل ما يقدر عليهم من وسائل التزوير والمراوغة
والتهريب ، ليقطعوا حدود بلادهم ثم حدود إيران أو
باكستان للوصول إلى تلك الخنادق في أفغانستان ، فمنهم
من وصل ففوجئ بالأوضاع ثم عاد فخرج بناء على طلب
الطالبان ومنهم من اعتقل في إيران أو الباكستان ..

هذه السطحية في التعامل مع الجهاد وخنادقه ، وهذه
الدروس المتكررة هنا وهناك ألا تحتاج إلى إعادة نظر
وتدبر ونضج وتفكير ؛ كي نعطي الجهاد حقه ومكانته
وحجمه الحقيقي ونتعامل معه على أكمل الوجوه وأرقاها
وأقومها ؟ علنا نقطف بعد ذلك ما نصبوا وتتطلع إليه
ونتمناه من الثمرات ..

سألني أحد أصحاب السجن ونحن نتحدث في أحوال
المجاهدين والأمة ، وحديث السجن ذو شجون .. فقال :
هل تظن من خلال اطلاعك على واقع الأمة أن جيلنا
سيدرك التمكين وإقامة دولة الإسلام ؟ فقلت : ربما يدرك
أولادنا أو أحفادنا تمكينا محدوداً أو دولة ليست بمستوى
الطموح والآمال ..

قال : ولم .. ؟

قلت : هذا ليس تشاؤماً ولا تشيظاً وأسأل الله صادقاً أن أكون في ذلك مخطئاً ؛ ولكنها الواقعية فالمكتوب كما يقال يقرأ من عنوانه .. والتمكين له شروطه والدولة لها رجالها .. وأنا لا أضع في حساباتي المعجزات ، ولو كان كلامي مبنياً عليها قاله على كل شيء قدير ، ولو شاء الله لانتصر لدينه ولمكن لعباده من غير جهاد ولا شهداء ، ولكنها سنة الله الماضية ليلو بعضنا بعض ويتخذ من المؤمنين شهداء ، وليتميز حزبه من حربه .. وإنما أجيبك بناء على واقع المسلمين اليوم وهل هم مؤهلون للتمكين الذي نحلم به والدولة التي نتطلع إليها ؟! دعك من الشباب المتحمس الذي يتحدث عنه وتنالم لسطحيته التي يتعامل بها مع الجهاد ؛ وتأمل فقط قياداتهم ومرجعياتهم ورؤوس الأمة المخلصين منهم والمجاهدين المتصدرين لقيادتها والمتصددين لأعدائها ، وانظر إلى مستوى تفكيرهم ودرجة نضوجهم وفهمهم للجهاد ، وكيفية تعاطيهم مع مشروع إقامة الدولة ، لتعرف الجواب على سؤالك .

ولتعلم أن دون هذا المشروع مفاوز لم نقطعها بعد ، ودون نضوج هذه الثمار التي يتحرق لقطافها ؛ وقت لا بد أن تمر فيه حتى تينع ، ويبدو أننا نتعجل نضوجها بحرقتنا وحرصنا قبل أوانه ..

ونحاول القفز بالأمة وقياداتها على مراحل لا بد أن يقطعوها ليستوعبوا الأمور ويتعاطوا معها بنضوج وفقاً للسنن والأسباب التي وضعها الله تعالى ..

ومن تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه ..

فحسبنا أن نعمل جادين مخلصين في مشروعنا هذا الذي درسنا واقعه وتفهمنا حاجاته في الاتجاه الصحيح ، خصوصاً بعد أن من الله على هذه الأمة بالصحة الدعوية بعد سيات عقود ، والتي أعقبتها هذه الصحة الجهادية المباركة ؛ ببركات الجهاد الأفغاني والشيشاني والبوسني ، فهذه الصحة الجهادية كانت من أعظم بركات تلك الميادين وإن لم نقطف منها إلى الساعة ما يتطلع إليه من ثمرات .. ثم أعقب ذلك أحداث أيلول التي أيقظت كثيراً من النائمين والغافلين بضخامتها وبشراسة وصراحة الهجمة على الإسلام بعدها ..

مما أنتج لنا هذا التيار الجهادي الجارف الذي يتكون أكثره من شباب مخلص متحمس قد أثار وتعمسكرك تفكيره وتوجهه ، وانطلق كالسيل الجارف ليثار لدينه وأمته ..

فالواجب على المرجعيات الدينية والعلمية ورؤوس هذا التيار أن يعملوا على ترشيده وإنضاجه وأن يقودوه وياخذوا بيده إلى تحقيق الثار الحقيقي والكامل لهذا الدين ..

لا أن يقفوا في وجهه أو يتصدوا له أملاً في إيقافه كما يحاول البعض جاهداً ؛ فهذا لا شك من تحجيم الجهاد بل من واده وقتله ..

ولا أن ينصرفوا معه كيف شاء ، يقودهم حماسه واندفاعه وسطحية بعض أفراده إلى بعثرة الجهود والأعمار والطاقات والأموال في أعمال مرجوحة أو غير مبرمجة ولا مدروسة ..

ليغدوا المشايخ والعلماء مقودين منجرفين موجّهين لا مؤجّهين تابعين لا متبوعين ..

بل إن أعظم ما يقدمه المشايخ والعلماء والدعاة الواعون في هذا الزمان ترشيد - لا إيقاف - هذا التيار بعد انطلاقه ..

وتوجيهه - لا تعطيله - بعد انفلاته ..

وتسديده إلى أسد الاختيارات وأنفعها وأصلحها وأحظاها للإسلام وأهله وأكملها للثار لدين الله بأشرف صورته ؛ بالعمل الجاد لأجل التمكين لأمة الإسلام التي نهضت لاسترداد أمجادها واستعادة فتوحاتها ..

((والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) .

ونختم بالتذكير بما بدأنا به :

((لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ..)) .

سجن قفقفا - رجب 1425 هـ

الوقفه الثامنة عشر

((لا يضرهم من خالفهم))

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن وآله وبعد .. فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتواتر المروي عن بضع عشر صحابياً أنه قال في وصف الطائفة القائمة الظاهرة على أمر الله : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، وفي رواية : ظاهرين على أمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس) .

وقد تكلمنا مرارا وتكراراً على هذا الحديث العظيم وعن الطائفة الظاهرة المنصورة جعلنا الله من أهلها ، وتكلمنا عن معاني ظهورها وقيامها بالدين ، وعن أهم صفاتها في كثير من كتاباتنا ، لكننا سنتوقف اليوم مع صفة عظيمة مهمة من هذه الصفات نلفت انتباه الدعاة والمجاهدين إليها وننبههم عليها .. خصوصاً بعد أن رأينا من طوائف المسلمين من فرط أو قصر في هذه الصفة ، ألا وهي قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم) .

فالتأثر بالمخالفين والتضرر بالمخذلين آفة ومرض خطير له صور وتداعيات شتى ، وقد نخر في جماعات الأمة وطوائفها ، وصار عائقاً من عوائق نهضتها وعقبة في سبيل نجاح جهادها وفلاح دعائها ؛ الأمر الذي يستدعي وقفة تنبيه وتذكير ، ذلك أن من اختار اللحاق بدرب الطائفة القائمة بدين الله الظاهرة على أمر الله ، فإنه لمن يقوم بأمر هذا الدين حق القيام ولن يظهره حق الظهور بأشرف صورته وكما يحب ربنا ويرضى حتى يتحرر من آفة التضرر بالمخالفين ويتطهر من جميع صورها التي تحرفه أو تصدّه عن صراط الطائفة الظاهرة المنصورة ومنهجها القويم وسبيل ساداتها المستقيم ..

لذلك ولأجل خطورة هذه الآفة على الدعاة والمجاهدين وتنوع هذا المرض وتشعب آثاره في واقع اليوم ؛ سياتناول في هذه الوقفة - باختصار أرجو أن لا يكون مخلاً - هذا الموضوع وسأعالجه بالنظر إلى :

- أقسام المخالفين أو المخذلين الذبن يسعون في الإضرار بالدعاة والمجاهدين ليكون المجاهد منهم على بصيرة ..

- والأدوات والوسائل والأساليب التي تمارس في الإضرار بالدعاة والمجاهدين وفي تخذيلهم ..

- وأنواع الضرر بالمخالفين للتنبيه عليها والتحذير منها ومن ثم إمكان علاجها ..

- لأعرج على العلاج الناجع والمخرج من هذه الفتنة أعاذنا الله منها ..

فاعلم أن المتأمل لروايات الحديث يتنبه إلى أن العاملين على الإضرار بالدعاة والمجاهدين ما بين مخذل ومخالف ..

* أما المخذلون فأقسامهم كثيرة وأساليبهم ووسائلهم في الإضرار بالدعاة والمجاهدين متنوعة ..

- فمنهم طواغيت الجن والإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، وعلى رأسهم سيدهم الشيطان الذي أقسم ليغوين بني آدم وليحرفنهم عن الصراط ليوردهم معه الجحيم :

((قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين)) .

((قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لأغوينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)) .

فتأمل اجتهاد عدو الله في حرف ابن آدم عن الصراط وتنوع سبله ومداخله عليه فهو يجتهد في ذلك من كل وجه وسبيل ، ولا يهمه إذا تمكن من إضلال الداعية أو المجاهد أو حرفه إلى أي المزالق سواء الشهوات المزلة أم الأهواء المضلة ، إلى الغلو أم إلى التقصير ، إلى الإفراط أم إلى التفريط ، فالمهم عنده أن يحرفه ويغويه عن صراط الله المستقيم وسبيله القويم ..

وكما في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطاً ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً ، وخط عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذه السبيل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : ((**وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمِ عَنْ سَبِيلِهِ**)) وسئل ابن مسعود عن الصراط المستقيم ، فقال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جوادٌ وعن يساره جوادٌ ، ثم رجال يدعون من مَرَّ بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ ((**وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ** .. الآية)) .

والشيطان يتحجج بضعف ابن آدم ويتأمل حاله ويشمه ، فإن وجد فيه لنا وتساهلاً مال به إلى التفريط والتقصير أو إلى الشهوات والركون والقيود ، وإن وجد فيه شدة أخذ بيده وحرفه إلى الغلو والإفراط والأهواء ، والمعصوم عباد الله المخلصين ، الذين ليس لعدو الله عليهم سلطان ؛ الذين يثبتون على ما تركهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتنبون تلك السبيل والجواد المنحرفة ، ويتحصنون بكتاب الله العظيم ويعتصمون بحبله المتين ..

- أما طواغيت الإنس من الحكام فيتعلمون أيضاً من وليهم إبليس فيتحسسون أحوال الدعاة والمجاهدين ويتجسسون عليهم ويتفنون في وسائل الإضلال والتخذيل ..

فخوفاً منهم على عروشهم وحماية لشهواتهم وولاء لأسيادهم في واشنطن ونصرة لإخوانهم في تل أبيب وغيرها تراهم يتعاونون ويتآمرون بشتى السبل والوسائل والأساليب لأجل الصد عن سبيل الله وحرّف الدعاة والمجاهدين والإضرار بهم وبدعوتهم وجهادهم ، سواء بردهم عن دينهم بالكلية .

((**وَدَاوَا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**)) .

((**وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدَّوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُوا**)) .

((**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ**)) .

أَوْ بَصْدِهِمْ عَنِ دَعْوَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ وَتَخْذِيلِهِمْ عَنْهَا ((إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ)) .

أَوْ بحرفهم عن منهجها القويم إلى مهاوي الإفراط أو
التفريط ..

ولهم في ذلك طرق وأساليب شتى ..

فلا يتورعون عن استخدام أحسن الوسائل في سبيل
تحقيق ذلك ، وتنوع وسائلهم بين الترغيب والترهيب ..

ابتداءً من التآمر عليهم بالقتل أو السجن والتعذيب
والتهديد والتخويف ، وما رآه العالم من مشاهد في سجن
أبي غريب لا شيء بالنسبة لما يجري على المجاهدين
والدعاة في سجون طواغيت العرب ..

وانتهاءً بالتعاون الأمني والاستخباراتي الذي يتم بين
الطواغيت وأنظمتهم المختلفة ضد الدعاة والمجاهدين
لاعتقالهم وتسليمهم إلى بلدانهم الأصلية وإحباط جهادهم
وردهم وصددهم أو حرفهم عن نهج القويم ، بما يصوبونه
عليهم من وسائل الإحرام والتنكيل المختلفة .. والتي قد
يتضرر بها بعض المجاهدين والدعاة بصور مختلفة ..

- سواء بالارتداد عند من جعل فتنة الناس كعذاب الله ..
نسأل الله العافية ..

- أو بالتحول إلى القعود والركون والتفريط واختيار
مذاهب الإرجاء والركون إلى الدنيا وتقديم حياة الدعة
وإيثار السلامة بعد الانكسار تحت ضغط التعذيب والتنكيل
والإهانة خصوصاً إن لم يكن قد تهيأ من قبل لبذل نفسه
وعرضه وكرامته وإهانتها لاجل دين الله ..

- وقد يتحول إلى الغلو أو الإفراط كردة فعل على
إجرام أعداء الله وتنكيلهم في المسلمين ، ويقابل
تجاوزهم حدود الله في التعامل معهم في ساحات التعذيب
وغيرها بتجاوزات متنوعة ..

- فربما انحرف البعض بسبب ذلك ولفقده التوازن
والانضباط بحدود الشرع ؛ إلى مذاهب الغلو في التكفير
بتكفير كل من يعمل في دولة الطاغوت أو كل من له

علاقة به ولو كانت مدهانة أو مصانعة لا تصل إلى الكفر ،
أو ربما تعدى الحدود الشرعية في أعماله الثارية بالمعاقبة
بالعقوبات غير الشرعية بقتل من لا يستحق القتل من
العصاة سواء بنسف وتفجير أماكن المعصية فوق أهلها أو
بحرق المتبرجات أو قتل المشبهات من النساء أو
التساهل في القتال بتقصّد قتل النساء والصبيان ونحوهم
ممن نهى الشارع عن قتلهم ..

- أو يكون التضرر بذلك بترك البعض لبرامجهم الدعوية
المفيدة والتحول على أثر ذلك الإجرام والقهر والأضطهاد
إلى ردود الأفعال الثارية غير المدروسة وإلى الأعمال
الانتقامية কিفما كانت صورتها وشكلها ..

وبغفل هؤلاء الشباب لهول البلاء والأذى الذي ذاقوه أن
تلك الجرائم التي مارسها الطواغيت وأنصارهم في حقهم
ما هي إلا جرائم متفرعة عن الجريمة الكبرى التي ارتكبتها
ولا يزال يرتكبها أولئك الطواغيت في حق الدين والشريعة
، وأن الثار الحقيقي والناجع للدين والشريعة يحتاج كما
يعلم أولو النهى إلى عمل دءوب ومتواصل ضمن برنامج
ناضح ومنتكامل لا يهمل أو يقصم الدعوة عن الجهاد ،
وليس إلى ردود أفعال آنية غير مدروسة ..

- ولقد رأيت من يترك العمل الدعوي ويفرغ ساحات
بلاده من الدعاة ويحرّض على الهجرة بحج من جنس ذلك
، ولا أسخف منها ، ينشرها بين الشباب ، فقد زارني أحد
الشباب بين يدي سفره منكرًا على البقاء ، متسائلًا كيف
بإمكانه احتمال مدهامة المخبرات لبيته وعيشتهم وتفتيشهم
لخزانة الملابس ورؤيتهم لملابس زوجته الداخلية فيها .. !!

وتساءلت أنا : ألا يرونها في شنطة ملابسها في المطار ؟

فلا داعي للسفر إذن !! ثم علمت أن ذلك الشباب
وغيره يستعملون هذه الحكاية لتهييج الشباب وحثهم على
الهجرة من البلد منكرين عليهم المكوث فيها واحتمال ذلك
وبلغني أن بعض من عوتب على ترك الدعوة والهجرة من
البلد يعتذر بذلك أيضًا فتأمل التضرر بمثل هذه الأشياء وما
ينجم عنه من اختيارات وردود أفعال غير مدروسة ، ثم لا
تعجب لتبعثر جهود الأمة وتخبط اختيارات الشباب ، فهكذا
يتم الاختيار !!

- ومثل ذلك ما يصدر عن الشهاب من انفعالات واختيارات غير مضبوطة عندما تبلغهم أخبار قتل النساء والأطفال في فلسطين أو يسمعون بأفاعيل الرافضة في العراق أو يشاهدون صور الإهانة والتعذيب في سجن أبي غريب وما يذكر عن اغتصاب العراقيات ، وربما شط بعضهم في اختياراته القتالية كردة فعل لذلك فاختر ما يشنت دائرة الصراع أو يشوّه صورة الجهاد ، ولا يراعي إمكانات المجاهدين ووجوب الحرص على وضعها في الأحظى للإسلام والمسلمين وعدم المغامرة والمقامرة بها وبارواح المجاهدين في اختيارات مرجوحة أو أعمال وردود أفعال عشوائية وغير مدروسة أو تستنزف إمكاناتهم في أعمال نكائية مبعثرة وغير مثمرة لا تراعى فيها مصالح المسلمين ومصالح جهادهم وتمكينهم ولا يراعى خطاب الناس على قدر عقولهم وتحديثهم بما يعرفونه من الدين فينفضون لذلك من حول المجاهدين ويلتفون حول الطواغيت .

- أو يتساهل بالوسائل والآليات التي كان يتشدد ويحتاط فيها من قبل ، ويتحرر من الضوابط التي كان يشترطها قديما أو يتغافل عنها ويبرر تجاوزها .. وأقرب مثال عندي على هذا؛ العمليات التي يفجر بعض المجاهدين فيها أنفسهم بالعدو؛ فإن بعض من يراها إنما تجوز فقط للضرورة عندما لا يمكن دفع الصائل إلا بها تماما كمسألة الترس وضوابطها .. تراه تحت وطأة ما تقدم أو نحوه يتوسع فيها ويترخص في زج أعلى إخوانه فيها لقتل حذاء من أحذية الحكم أو وزراءهم أو بعض الشرطة أو الجند الذين يمكن التوصل إلى قتلهم بغير هذه الطريقة ولا ينطبق عليهم بحال شيء من الشروط والضوابط التي يدين الله بها ..

بل ربما توسع في ذلك ففعله في مساجد الرافضة أو المطاعم والأماكن العامة التي لا ضرورة من ورائها بل ولا تنكأ عدوا ..

- والبعض يتضرر بما تقدم فلا تراه يراعى في جهاده الفوارق بين القتال في دار الكفر الأصلية التي جمهور أهلها كفار وبين القتال في دار الكفر الحادثة التي جمهور أهلها ينتسبون للإسلام ..

ولا يرفعون رأساً بمصلحة الجهاد ونقائه وأهمية اختيار
الأئمة والأصلح والأحظى للإسلام والمسلمين ولا يراعون
المصالح والمفاسد في اختياراتهم ..

فالمسألة حقيقتها ردود أفعال ثأرية وحماسية غير
منضبطة لا بشرع ولا بعقل أو نظر ..

* * *

وأعدوا الطواغيت في الكيد للدعاة والمجاهدين
والسعي في الإضرار بهم ليسوا فقط جندهم وجلادهم
وعساكرهم ومخبراتهم ومباحثهم ..

- بل أيضا من أنصارهم وأعدائهم علماء السوء الذين
يحسدون الدعاة والمجاهدين على ما آتاهم الله من فضله
من عزة ورفعة رفعهم الله بها ببركة رفعهم لراية توحيده ،
وخفض أولئك الذين أخلدوا إلى الأرض بتخليهم عنها
وانحيازهم إلى عسكر السلطان ، وقد رأى الناس كيف
يصدر أمثال هؤلاء في شاشات الفضائيات وتسخر لهم
صفحات الجرائد السلطانية ، وتبذل لهم كافة الإمكانيات
والامتيازات كي يشنوا غاراتهم على الدعاة والمجاهدين
بشبه فاسدة ساقطة مستهلكة قد اجتلتها بفضل الله في
كتاباتنا في سالف الأزمان ، ويرمونهم بالقاب شنيعة
بكرهها أهل الإسلام كالخوارج والفئة الضالة ونحوها من
الأوصاف التي هم وأسيادهم أولى والله بها كما فصلنا في
غير هذا الموضوع ..

- ويمتطي هذا المركب أيضاً طائفة من جماعات
التجهم والإرجاء من القاعدين والخوالب الذين انحازوا إلى
عدوة السلاطين والطغاة بدعون الناس إلى الدخول في
طاغتهم وموالاتهم بل ومبايعتهم والبراءة من دعاة الحق
والمجاهدين من أهل الطائفة المنصورة .. ويسعون في
إضرارهم والتخذييل دونهم بإرهاب فكري وتهويل عقائدي
إن فتشته وجدته من ميراث الجعد والجهم والمريسي
وإخوانهم من أهل الزيغ والضلال .. ولذلك فرح بهم وأحبهم
الطواغيت والملوك ، وصدق النضر بن شميل يوم وصف
الإرجاء بأنه دين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم
وينقصون به من دينهم .. البداية والنهاية (10/276) .

بل أحبهم ووصفهم بأصحاب الإسلام المعتدل حتى
الأمريكان (ويقصدون المنبسط المنسحق تحت أقدامهم
).

ولقد علمت في حسي الأخير هذا أن أعداء الله
وبإشراف من أوليائهم الأمريكان قد استعانوا ببعض
أقطاب التجهم والإرجاء من الجزيرة وغيرها لإقناع الشباب
بفكرهم الممسوخ وإنتاج طوائف وجماعات إسلامية
ممسوخة تعمل تحت سمع وبصر الأمريكان والمخابرات
العربية تستقطب الشباب إلى صفوفها وتربيهم وتسخرهم
لمحاربة الدعاة والمجاهدين والدفاع عن ولاة الأمور
(الطواغيت) مقابل أموال طائلة وجوازات أمريكية
ومساعدات واسعة وتأهيل استخباراتي وثقافي وديني
ممسوخ ، وينتقون لذلك ابتداء بعض الشباب من بلدان
مختلفة من المتورطين ببعض التهم فيمنونهم بالخلاص من
المحاكمات والسجون ويدخلونهم في تلك البرامج بين
الترغيب والترهيب ، والإغراء والتهديد ..

* * *

- ومن أساليبهم أيضا في الإضرار بالدعاة والمجاهدين
أنهم وفي مقابل إفساحهم المجال لعلماء السوء ودعاة
الفتنة والتجهم والإرجاء فإنهم في مقابل ذلك يعملون على
تغيب مشايخ أولئك الدعاة والمجاهدين ومرجعياتهم
العلمية ورؤوسهم الدعوية سواء بالقتل أو السجن
والمطاردة كما هو مشاهد اليوم في كافة الأقطار ، أو
بمنعهم من استعمال وسائل الإعلام وحجبهم عنها ومنع
كتاباتهم ومصادرتها في الوقت الذي تنشر فيه كتابات
الأراذل من أهل التجهم والإرجاء وعلماء السوء بل وتطبع
وتوزع بالمجان ، ويعملون كما شاهدنا وشاهد الناس على
إكراه المشايخ ورؤوس الدعاة والمجاهدين تحت القيد
والأسر والتعذيب والضغط والتهديد والوعيد على إصدار
بعض الفتاوى والتصريحات المخدلة والمناقضة للنهج
السديد وإن عجزوا عن إصدارها صريحة ؛ فلن يعجزوا عن
التزوير والدبلجة والمسح والترقيع ..

- ويستعينون أيضا بالإعلاميين العملاء والصحفيين
المرتدين والعلمانيين ونحوهم من كتاب الفتنة والقعود
والخبال يسخرون منابر صحافتهم وصفحات مجلاتهم
لخرقة باطل الطواغيت والطعن في الدعاة والمجاهدين
وبصورتهم بأنهم فئة وشرذمة قليلون منبوذون وأن

الأكثرية المصفقة والمطيلة مع الطاغوت وفي صفه .. كما قال سلفهم : ((**إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وأنا لجميع حادرون**)) وكم رأينا هؤلاء الكتاب والصحفيين يُصدِّرون ويُبْرِّزون ؛ ليعيبوا على الدعاة دعوتهم ويرموهم بالغلو والتكفير والخوارج ويطعنوا في المجاهدين وجهادهم ويستخفون باختياراتهم وأعمالهم ، ليضغطوا في هذا الاتجاه أو ذاك وليحرقوا المجاهدين عن نهجهم الذي يرضي الله ويسخط سادة أولئك الكتاب والصحفيين .. (وما ضر السحاب نبح الكلاب).

وربما تعمدوا تسليط الأضواء على بعض هفوات المجاهدين وأبرزوها وضخموها ليصدوا عن سبيلهم .. وربما روجوا لبعض الجبهات أو لمعوا بعض الساحات المرجوحة والبعيدة ثمراتها عن أيدي أهل الإسلام ، أو البعيدة عن عروش طواعيت أولئك الصحفيين ليصرفوا الشباب عمن يليهم من الكفار ، أو يوجهوهم بذلك إلى جبهات وميادين تتقاطع فيها المصلحة مع مصالح أسيادهم وأولياء نعمتهم من الطواعيت أو أسيادهم من اليهود والأمريكان ..

- ومن أساليبهم في الإضرار بالمجاهدين والدعاة ما يسمونه اليوم بتجفيف منابع التمويل ، والتضييق على الدعاة والمجاهدين في أرزاقهم ومعايشهم ليحبطوا جهادهم ويحرفوهم عن خطه الأصيل ، في الوقت الذي يغدقون فيه الأموال الطائلة على أحذيتهم وأذئابهم من علماء السوء والمتساقطين في حبايلهم من المفتونين من الدعاة ..

وهذا الأسلوب الخبيث قد يحرف كثيراً من الشباب عن دائرة الصراع ويورطهم في البحث عن مصادر تمويل بديلة ومشبوهة سواء بالركون إلى بعض الأحزاب الضالة والطوائف المنحرفة أو بمحاولة الحصول على المال من خلال أعمال بغضون الطرف عن عدم شرعيتها ويتساهلون في مخالفتها ..

* أما العاملون على الإضرار بالمجاهدين من المخالفين

..

فمنهم جماعات الغلو والإفراط ، الذين يعيبون على أهل الحق وسطيته ، بل يكفرونهم لأجلها . وربما استحلوا بذلك دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، وجرؤهم وأشغلوهم

بمعارك جانبية لا طائل تحتها .. والعاقلة لا ينجر معهم إلى ذلك ولا يتضرر بشغبيهم ..

روي ابن جرير وغيره أن رجلاً من الخوارج نادى علياً رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر فقال : ((**ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**)) فأجابته علي وهو في الصلاة : ((**فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون**)) .

- ومنهم المخالفون في المنهج والاختيار والاجتهاد ؛ سواء أكانوا من القاعدين أم من المقاتلين ..

فالقاعدون ينقحون على المجاهدين جهادهم ويعيبون عليهم نهجهم ويخدلونهم عنه بيث الشبهات التي تفتت من عضدهم ، وتوهن صفهم ، وتفرق جمعهم .. حتى بلغ الأمر ببعض المشايخ ، والأسفاه ، أن تعاونوا مع الأنظمة في إقناع الشباب والضغط عليهم والإلحاح على استسلامهم والنزول على حكم الطواغيت الذي روّجت له الدولة الكافرة تحت مسمى العفو عن الفئة الضالة .. !!

- ومنهم المقاتلون المصرون على اختيارات مرجوحة خصوصاً أولئك الفصاميون الذين أشرت إليهم في (عقوق الدعوة) الذين ما يفتنون بغيرون الدعاة المخلصين بلزومهم برامجهم الدعوية التي هي جزء لا يتجزأ من مشروع الجهاد الجاد ، ويستعملون معهم إرهاباً فكرياً خاصاً من خلال رميهم بتهم القعود والتخلف ونحوها ، ولا يراعون ظروف بلاد أولئك الدعاة أو إمكاناتهم أو مراحل عملهم ودعوتهم ، فربما أثروا على بعضهم وأضروا بهم من خلال ذلك الإرهاب والضغط المتواصل ؛ فحرفوهم عن اختيارهم الأحظى والأصلح لدين الله والأنفع من كثير من الأعمال القتالية المبعثرة التي يباهي بها أو يدعوا إليها بحماس أجوف أولئك الفصاميون ، فيجرونهم بذلك الضغط والحمااس إلى أعمال مرجوحة أو ردود أفعال تارية إنية غير مدروسة ، فتقلب كثير من الوسائل عندهم إلى أهداف يشغلون الأتباع بل الأمة كلها بها ، أو تصير الأهداف مبررة للوسائل التي كانت قبل ذلك الحماس غير مبررة ولا مقبولة ، ويغض الطرف عن اختيارات ويتجاوز عن كثير من الممنوعات ..

- وهذه آفة لم يتوقف التضمر بها على طائفة الشباب ذوي الأفق الضيق والاختيارات الحماسية أو السطحية بل تأثر بها وللأسف الشديد رؤوس ومشايخ ومرجعيات انساقوا خلف حماس الشباب الأجوف واختياراتهم السطحية أو الثارية غير المدروسة ..

وقد قيل لبعض الحكماء : (أي الناس أذل ؟ فقال عالم يجري عليه حكم جاهل) .

وهذه إحدى الأثافي أن ينقلب الشيخ الموجه موجهاً وبصير تابعاً لا متبوعاً ومثاثراً لا مؤثراً ومطيعاً لا مطاعاً ، وتصبح المرجعيات تميل وتموج وتترنج تحت ضغط وحماس بل وأهواء الشباب الساذج ..

رأيت هذا جلياً في مواقف وفتاوى وتصريحات بعض مشايخ هذا التيار المبارك تجاه بعض الحركات القتالية الفلسطينية المتخبطة وعملياتها ، وتأييدهم غير المتحفظ لها .. ورأيت في الاندفاع والانسياق والتوسع دون تحفظ والتأييد المطلق دون ضوابط للعمليات التي يسميها المخدولون انتحارية ويسميها المتحمسون استشهادية ، ونسميها نحن بالجهادية لكن بضوابط وشروط معلومة ..

- ومن جنس ما قد يتضرر به بعض العاملين ؛ تلك الرسائل الحماسية التي يبثها بعض رؤوس المجاهدين هنا وهناك يحرضون بها الشباب على اللحاق بخطهم القتالي ذي الطابع النكائي الثاري المجرد ، ويعيبون فيها على الدعاة العاملين ثباتهم على برامجهم الدعوية وربما نعتوهم بالقعود بل والركون إلى الدنيا ، وحقيقة ذلك تقزيم للجهاد وتفريغ له من محتواه وبرامجه التي لا انفكاك له عنها إن كان يؤمل عليه تمكين للمسلمين في الأرض ..

وقد قرأت مثل ذلك في بيانات بعضهم إثر بعض الأحداث في بلدانهم ، كما قرأت وسمعت مثله بعد غزوات أيلول في واشنطن ونيويورك .. والتي رغم دفاعنا عن أبطالها وردنا على علماء السوء في طعنهم بها وتبريرهم منها .. إلا أننا والحق يقال كنا نتألم وننظر بقلق بالغ لإطلاقات بعض مشايخ الجهاد وقادته في تصريحاتهم وبياناتهم وأشرطتهم التي صدرت إثر تلك الغزوات ، والتي تابعهم عليها وقلدهم فيها بعد ذلك من نهج نهجهم في بلدان أخرى من تعبير طلبة العلم والدعاة وتنقصهم بلزومهم لبرامجهم الدعوية ..

وعندي أن هذا من ضعف الفقه والسطحية في التعامل مع الجهاد واختزاله في القتال النكائي المجرد ، وعدم التعامل معه كمشروع متكامل يعمل على إعادة تمكين الأمة ، ولو كانوا يتعاطون الجهاد على هذه الصورة الناضجة لراعوا ظروف المسلمين كل بحسب بلده ، وما وصل إليه الدعاة من مراحل ، وربما غلبوا التركيز على بعض البلاد دون بعضها ، أو رَجَّحوا بعض الجبهات دون أخرى ، أو بعض الأعمال والاختيارات دون بعضها ، تبعاً لما هو أحظى وأنفع للإسلام والمسلمين ، ولما دعوا الدعاة إلى ترك دعوتهم ونقض عزلهم ، ولاعتبروا جهود الدعاة والعلماء جزءاً لا يتجزأ من المشروع الجهادي الناضج والمتكامل ..

ولو كان الدعاة على وعي بذلك لما تضرروا أو تأثروا سلباً بتلكم البيانات ، أو غيرها من الظروف والتقلبات التي كثيراً ما تتقلب أو تنقطع معها اختيارات وبرامج كثير من السطحين الحماسيين ..

أما أولو النهى وبعيدو النظر فلا يضرهم من خالفهم .. (فالحرُّ حرٌّ وإن مسَّه الضر) ..

وعندما أثبتت في وقفة سابقة على أبطال غزوات نيويورك وواشنطن فإنما ركزت على هذا الجانب المهم الذي تميّز به أولئك الأبطال أسأل الله تعالى أن يجعل مثوَاهم الفردوس الأعلى ؛ فقد واصلوا عملهم الذي استغرق منهم سنوات عديدة ما بين التخطيط والتدريب والإرصاد والإعداد ولم يتضرروا بحال بتقلب الأحداث وتجديدها من حولهم رغم سخونة كثير منها ، فما انحرفوا عن نهجهم وغايتهم ، ولا عطلوا برنامجهم أو نقضوا عزلهم .. كما فعل الكثيرون بعد أن بهتهم منظر البرجين بعد ذلك وهما ينهاران .. .

وهو منظر كان بالنسبة لكثير من المضطهدين والدعاة والمجاهدين رائعاً ومرّوعاً في الوقت نفسه ، وأثاره على كثير من الدعاة والمجاهدين بعد ذلك كانت أيضاً بعضها رائع وبعضها مرّوع ، أما الآثار الرائعة فلا تعيننا في هذه الوقفة .

- أما المرّوعة ، فمنها ما رأيناه من تضرر كثير من الدعاة وانكشاف أحوالهم كما قيل :

ستعلم إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

فإن كثيراً ممن كان الشباب يحسن بهم الظن ممن كانوا يمسكون العصا من الوسط ، ولا يكاد كثير من الناس يصنفهم تصنيفاً واضحاً أو يعرف كنه حقيقتهم ؛ تكشفوا وتكشفت أوراقهم ..

فكما أن الطواغيت انجازوا جهاراً نهاراً إلى معسكر سيدهم بوش لما صاح بهم بعد تلك الغزوات ؛ (إما معنا أو ضدنا ..) ..

فكذلك أولئك المخلدون إلى الأرض انجازوا إلى معسكر السلطان أو إلى معسكر الصد والتخذيل ، وبرئوا من المجاهدين وانتكسوا على أعقابهم ، وهو نوع من الضرر وخيم ، نسأل الله العافية والسلامة ..

- ونوع آخر من الضرر برز بعد تلك الأحداث وتضرر به بعض الدعاة بل رؤوسهم ومشايخهم ممن كان يلتف حولهم الشباب فيعلمونهم ويدرسون ويربون ويعدون ، وكانوا على خير عظيم يقدمونه للأمة ويعاينون ذلك وبدوقونه ويعرفونه ؛ لم يتحملوا منظر البرجين المنهارين فانهارت معهما مشاريعهم الدعوية كلها .. وصار مثلهم كمثل القائل :

وكنت أرى أن قد تنهى بي الهوى إلى غاية ما فوقها
بي مطلب

فلما تلاقينا وعاينت حسنها تيقنت أنني إنما كنت
العَب

فانطلقوا لا يعرفون ماذا يعملون ، ولا يدرون من هول الصدمة ما الذي يريدون ؛ فتارة يستنفرون أتباعهم للحاق بأفغانستان بدعوى نصرة المجاهدين هناك تحت قذائف الطائرات وصواريخ البارجات مع أنه ليس ثم مواجهة هناك ولا قتال وإنما هي حرب الجبناء عن بعد ومن خلف الأزرار ، فنصرة أولئك الدعاة للمجاهدين في بلادهم التي تعج بالأعداء أنجع أنذاك وأوجع لأعداء الله لو كانوا جادين .. وتارة تراهم يفكرون باللحاق بالعراق لمجرد أن شاهدوا عملية في الفلوجة أو أخرى في بغداد ، وإذا أغلقت السبل في وجوههم إنقلتوا إلى الجزائر ، وإذا سمعوا بتفجير أو عملية في أوزبكستان وجهوا بوصلتهم إليها ونصبوا

أشْرعتهم عليها .. في قلب عجيب وغريب بلبلوا فيه
إخوانهم ، وشتتوا فيه أمرهم وأفكارهم وقوضوا مشاريعهم
الدعوية ، ونقضوا عزْلهم من بعد قوة أنكاثا .. واختزلوا
الجهاد في أعمال نكائية مبعثرة هنا وهناك ، بزّروها بدعوى
رفع الصائل مع أنه قد جال خلال المديار وصال على الأمة
في كل الأقطار ، ولا مزية للقطر الذي اختاروه أو وجهوا
شبابهم إليه وفصموا اختياراتهم عن الدعوة وجهود المدعاة
..

حتى اشتكى لي كثير من الشباب عبث رؤوسهم بهم ،
وتذبذبهم وتشتت توجهاتهم وتشتت الشباب معهم ،
وراجعني بعضهم متاثمين لخلعهم وعزلهم وتغييرهم بعد أن
جن جنونهم من قلبهم وتذبذبهم العاطفي الأنبي غير
المدرّوس ، وجرّرة طائفة من الشباب معهم تارة إلى هنا
وتارة إلى هناك ، واعتقال البعض منهم في سوريا وآخرين
في الأردن وبعضهم في العراق ..

ولا أشك أن هذا من التضرّر بالأحداث وعدم تنبي
مشروع خاص أو اتباع برنامج واضح محدد المعالم أو كما
يسمونها استراتيجية بيّنة في العمل الإسلامي ، وإنما هو
التقلب العاطفي المحض وردود الأفعال الحماسية الأنية ..
ومثل هذه الطريقة في التعاطي مع الدعوة والجهاد مهلكة
للجهود والأعمار ومحيطة للمشاريع والأعمال ، ومضیعة
للإتباع والشباب ، وأهلها لا يؤتمنوا على الشباب ولا على
أعمارهم وأرواحهم ، ولا ينبغي بحال أن يصدروا أو يمكنوا
من زمام الأمور ..

* * *

وبعد .. فإن ذاك الكيد والخبث والإجرام من الطواغيت
وأنصارهم في الصد عن المدعاة والمجاهدين ، مع ذاك
التخذيّل أو الإضرار الذي يمارسه غيرهم من المخالفين ؛
يحتاج من المدعاة والمجاهدين أن يكونوا على قدر من
العلم بالشرع والفهم لواقعهم والاعتصام بالله تعالى
والتحصن بدينه لكي يأمّنوا ويدرّأوا كيد أعداء الله ويسلموا
من تخذيّل المخذيّلين ويأمّنوا من التضرّر بالمخالفين ..

فيكونون حقاً من أهل الطائفة الظاهرة القائمة بدين
الله الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم .. والعرب
تقول :

الحُرُّ إن حالت أو مالت قوسه فسهمه صائب ..

وإذا استوى فسكين وإذا التوى فمنجل ..

وهذا المقصد العظيم يتطلب منهم وسائل لا غنى لهم عنها؛ هي العلاج الناجع والمخرج الناجح من هذه الفتنة :

* فمن أهمها العلم الذي ينال به اليقين ويتحصن ويعتصم به من الشبهات المضلة ، فإن شقشقات علماء السوء وإخوان الجهم والمريسي والله لا تروج إلا على القلوب الخاوية من نور العلم ، التي لم تستضيء بنور الوحي ولا يزال فيها مرتع لظلمات الجهل ؛ فهي والله خاوية عند من فتشها ، ولقد تصدّينا بفضل الله لها واجتلبناها ومحققناها في العديد من كتاباتنا ، وبذلنا لكم الكتابات لإخواننا وسهّلنا عليهم الأمر فهي بين أيديهم جهد سنوات ينالونه بلحظات أو ساعات ، فما عليهم إلا النظر فيها ، والمحروم من حرمة الله ..

لا تخش من بدع لهم وحوادثٍ ما دمت في كنف
الكتاب وحرزه

من كان حارسه الكتاب ودرعُهُ لم يخش من طعن
العدو ووخزه

لا تخش من شبهاتهم واحمل إذا ما قابلتك بنصره
وبعزه

والله ما هاب امرؤ شبهاتهم إلا لضعف القلب منه
وعجزه

* ومن أهم تلك الوسائل أيضا التقوى ، فيها يتحصن الداعية والمجاهد من شهواتهم ومغرياتهم ، وعماد التقوى :

- الصبر على طاعة الله .

- والصبر عن معصيته ، فالقلب إنما يحيا بفعل الطاعات ، واحتجاب المعاصي وعدم التعرض للفتن والمنكرات وفي البخاري : (باب من الدين الفرار من الفتن) .

- ويعين على ذلك اللحاق بالطائفة المنصورة وصبر النفس مع أهلها من الصالحين وأنصار الدين ((**وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ..**)) الآية .

* وبهذا الصبر وما يثمره من تقوى يتحصن المجاهد والداعية من كيد أعداء الله ، قال تعالى : ((**وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط**)) .

* وباليقين الذي ينال بالعلم ويتحصن به من شبهات القوم ، وبالصبر الذي يورث التقوى التي يتحصن بها من شهواتهم ومغرياتهم تنال الإمامة في الدين ؛ كما قال تعالى : ((**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**)) .

ولذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين).

* ومما يعين على العلم الحق ، وربطه بالواقع أو فهم الواقع على ضوءه ؛ الالتفاف حول المرجعيات العلمية لهذا التيار ، من العلماء العاملين والدعاة الربانيين الذين يقفون اليوم على أعظم ثغور الإسلام بتصديهم لطواغيت الكفر وثباتهم في وجوههم وتصديهم لشبهات عملائهم من علماء السوء وأذئابهم من جماعات التجهم والإرجاء ، فواجب على شباب الأمة الاصطفاف خلف ذوي العدالة من العلماء الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ، والالتفاف حولهم وحول كتاباتهم والاستفادة من تجاربهم وخبراتهم وعدم الزهد بها ، أو الاكتفاء بالتجارب الضحلة القاصرة أو الاغترار بالحماس الأجوف الذي صار سوطا يسلمه بعض السطحيين على الشباب بل وعلى كثير من المشايخ يقودونهم به إلى أعمال متخبطة تشوّه الجهاد ، أو اختيارات مبعثرة مرجوحة ، أو ردود أفعال وتنشجات غير مدروسة ، ويعزلونهم بذلك عن مرجعياتهم من ذوي الخبرة والفقہ والنظر بدعوى أنهم ليسوا من أهل الثغور ، وبزعم أن أهل الثغور أدري بفقہ الجهاد ، فيختزلون الجهاد والثغور في أعمال نكائية وردود أفعال ثارية محدودة غير مدروسة ، وكل من له عقل وفهم يعلم أن أولى الناس بوصف أهل الثغور وأهل الطائفة المنصورة هم علماؤنا العاملون الثابتون القائمون بأمر هذا الدين

على أعظم ثغور الإسلام في وجه الطواغيت وعملائهم من علماء السوء ، وإذا لم يكن هؤلاء العلماء العاملون من أهل الثغور فليس في الدنيا كلها إذن أهل ثغور ..

* ومن العلم والفهم الذي يجب أن يتزود به أصحاب هذه الطائفة القائمة بأمر الله ويعينهم على عدم التضرر بالأعداء والمخالفين ؛ استبانة سبيل المجرمين ، فقد فصل الله تعالى لنا الآيات البيّنات لأجل هذا المقصد العظيم ..

((وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين)) .

فالمعرفة بمكائد الأعداء والتبصّر بأساليبهم ووسائلهم يعين على الحذر منها وعدم التضرر بها وبآثارها .. ولأجل ذلك أشرت في هذه العجالة إلى ألوان وأنواع شتى من ذلك ، فينبغي على الدعاة والمجاهدين أن يكونوا على مستوى المسؤولية والأمانة العظيمة التي يحملونها في سلوكهم لهذه الطريق وفي كونهم من أهل الطائفة الظاهرة القائمة بدين الله ، وأن يكونوا في الحذر والفتنة والاختيار والفهم والخطاب على مستوى الصراع والجرب المستعرة عليهم والمكائد العظيمة التي يكيد بها الأعداء لهذا الدين ، وأن لا يتعاملوا مع الجهاد بسطحية مقبلة وسذاجة قاتلة ، فهذه المكائد الخبيثة لا يتصدى لها الدراويش والسذج وبغات الطيور ، وإنما يتصدى لها السباع والصقور ..

* ولأجل ذلك ولأجل أن الحرب على هذه الطائفة ودينها وجهادها اليوم عالمية ، ووسائلها على مستوى خبيث ومتنوع ، ورأس مال الدعاة والمجاهدين المخلصين قليل عدداً وعدة ولا مجال للمقاومة أو المغامرة عند الصادقين الجادين الواعين لظروف الأمة وإمكاناتها وحجم الحرب المستعرة عليها ؛ فيجب عليهم أن يتخيروا لدينهم وجهادهم الأنفع من الاختيارات والأحظى للأمة والأصلح لجهادها والأنكى لأعدائها والأقطع لدابريهم وكيدهم وكفرهم ، ولا تكون اختياراتهم مبنية على ردود الأفعال التي يجرهم إليها أعداؤهم توريطاً لهم في أعمال مرجوحة غير مدروسة ولا مجدية ، تشتت دائرة الصراع أو تشنع على الدعاة والمجاهدين وتنفر عن سبيلهم وتؤلب الناس عليهم فيظهرون بمظهر أعداء الناس المستضعفين لا منقذهم ، ويصير أعداؤهم من الطواغيت هم المنقذين للناس الحماة لهم من إرهاب الدعاة والمجاهدين ، وبذلك يعينون عدوهم

على مكائده وتختلط الأوراق ويلبس الحق بالباطل .. ومن لم ينظر في هذه الاعتبارات في اختياراته ولا رفع بها رأساً أو راعاها ؛ لم يفقه قوله صلى الله عليه وسلم في مرحلة من مراحل سير الطائفة المنصورة : (دعهم لا يتحدث الناس محمد يقتل أصحابه) وقوله : (إذا ترعد له أنف كثيرة) وقوله (لولا أن قومك حديثو عهد بالإسلام)

ونحو ذلك من الضوابط والإشارات والمعالم المهمة على الطريق ..

- وعلى كل حال فقد تقرر أن ردود الأفعال ليست أفعالاً محسوبة موزونة مدروسة ، بل هي انفعالات غالباً ما يجرُّ إليها العدو ، فحقيقتها أنها أفعال يحدثها العدو في المنفعل الذي فقد توازنه وتشوشت عليه بوصلته ، فصاحبها الحقيقي هو العدو ، ومن صدرت عنه منفعلة لا فاعل ..

* ومما يعين على التحصن من مكائد الأعداء وينجّي من التضرر بها أن يتذكر الداعية والمجاهد دوماً وفي أعنى الظروف وأشد القروح ويستحضر الصفة والبيعة التي عقدها مع مولاه ((**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ..**))

فلا ينقض هذه البيعة ولا يستقيل منها ولا يقبل فيها خياراً أو يتغي عنها حولا أو يرضى بها بدلا ، ومما يعينه على ذلك أن يتذكر كرم المشتري وشرف الثمن الذي يقبضه عوضاً عن نفسه وماله ، وعظم الثواب الذي ينتظره على هذه البيعة ، ومن ثم عظم الخسارة إن فرط بها ، فلا يخون أمانته التي تحملها ، أو ينقض بيعته التي باع عليها .. ويتذكر دوماً قوله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**)) فيكون ممن قال تعالى عنهم ((**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً**)) .

* ويعينه على حمل الأمانة والثبات على البيعة والوفاء بما عاهد الله عليه وعدم التضرر بالمخذلين ؛ الدوام على ما وصف الله تعالى به أهل هذه البيعة : ((**التائبون**))

**العابدون الجامدون السائحون الراكعون
الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن
المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين**)
فإن هذا مما يقوي اعتصامه بالله ويربط على قلبه ويثبت
ويقويه ..

* ويعينه على ذلك أيضاً تذكر ما عند الله من الثواب
العظيم لأوليائه والعذاب المقيم لأعدائه ، واستحضار
ترغيبه سبحانه للمؤمنين ووعيده للخائنين ..

فإن ترغيب الله وترهيبه ووعده ووعيده لا يدانيه ترغيب
وترهيب أو وعد ووعيد ، ولا يجعل فتنة الناس كعذاب الله
إلا القوم الخاسرون ..

فعذاب أعداء الله وسجونهم وأذاهم وإهانتهم وترهيبهم
لا يساوي غمسة واحدة في جهنم ((**ومن يهن الله فما
له من مكرم**)) .. كما أن ترغيبهم وعطاءهم ووعودهم لا
تساوي غمسة واحدة في أدنى درجات الجنة ..

فإن أخس أو أدنى أهل الجنة منزلة كما في الصحيح
رجل يعطى ما تمنى ومعه عشرة أضغاف الدنيا أو عشرة
أمثالها ، حتى إنه ليقول : ما أعطي أحد مثل ما أعطيت !

هذا أدناهم منزلة ، فكيف بأعلاهم ؟

فأين ترغيب أعداء الله ووعودهم لأذنبهم وأوليائهم
ولمن يخون الله أو يبيع دينه ؟ أيداني مهما بلغ شيئاً من هذا

وفي الصحيح أيضاً أن أهون أهل النار وأدناهم عذاباً من
توضع في أخمص قدميه جمرتان وفي رواية : ينتعل بنعلين
من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن
أحداً أشد منه عذاباً وأنه لأهونهم عذاباً .. فكيف بأشدهم ؟
فهل في عذاب أعداء الله وأذاهم مهما بلغ شيء مثل هذا

وفي الحديث الصحيح : (لو أن رجلاً يجُرُّ على وجهه
من يوم ولد إلى أن يموت هرماً لحقره عند لقاء الله) .

أي أنه يستهين بعذاب العمر كله وشقاقه ويستحقره
أمام ما يرى من عذاب الله للكفار يوم القيامة أو أمام ما

يراه من عظيم أجر الله وثوابه لمن صبر على ذلك واحتسبه ..

إن استحضار هذا وذاك وتذكره دوماً يثبت الداعية والمجاهد على بيعته وعهده الذي عاهد الله عليه ، ويزهده بوعود أعداء الله وترغيبهم وبعيته على أذاهم ووعيدهم في أحلك الظروف وأقساها ، فلا يتضرر بهذا أو ذاك ..

وفي الحديث : (يؤتى بأشقى أهل الأرض يوم القيامة فيغمس في الجنة غمسة واحدة ثم يقال له : هل رأيت شقاءً قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ويؤتى بأنعم أهل الأرض فيغمس في النار غمسة واحدة ، ثم يقال له : هل رأيت نعيماً قط ؟ فيقول : لا والله يا رب) .

ولذلك كنت أقول لأعداء الله أثناء تحقيقاتهم وخلال ترغيبهم وترهيبهم لما كانوا يعرضون عليّ أحياناً التعاون والعمل معهم : إن تتعاونوا أنتم معي أسهل وأقرب من إن أتعاون أو أعمل أنا معكم ؛ فانا أعتبركم أعداء وكفاراً ، وأكفركم وأكفر من يظاھرکم على المسلمين ، فهل يعقل إن أعمل في وظيفة أكفر أهلها ؟ وهل يعقل أن أتعاون مع أعدائي ، ثم لو أني عملت معكم فإنكم لن تقدروا عليّ أن تعطوني كالأجر الذي وعدني الله به إن وافيته ثابتاً محتسباً ، أما لو عملتم أنتم معي وصرتم أنصاراً لدين الله فإن أجركم إن أخلصتم حنة عرضها السموات والأرض ، فما قيمة رواتبكم وعطايا الدولة لكم أمام حنة عرضها السموات والأرض ، وأنتم إذا عملتم معي ختم الدولة - على حد تعبيركم - وهذا هين ولا يعد شيئاً أمام خيانة الله ودينه ، وأذى الدولة لكم على خيانتكم لا شيء أمام عذاب الله لي لو خنت دينه وعملت معكم ، كما أن خسارتكم لرواتب الدولة ورتبها لا شيء أمام خسارة حنة عرضها السموات والأرض ، فذلك هو الخسران المبین .. ولذلك فإن تعملوا أنتم معي أسهل وأقرب من أن أعمل أنا معكم ..

* أما التضرر بكثرة المخالفين والمخذلين والطاعنين في الدعوة والمجاهدين ، أو كثرة المنجازين إلى عدوة الطاغوت والمصفقين له والمطبلين ؛ فالأصل في الداعية والمجاهد أن يسلك طريق الطائفة المنصورة ويستقيم على سبيل الهدى ولا يحزن لقلة السالكون ، ويتجنب سبيل الضلالة ويعرض عن أهل التخذيل ولا يتضرر بكثرة الهالكين .. فهذه سنة الله في هذا الدين فلم يزل أنصاره هم القلة

الغرباء دوماً ، وفي الصحيح : يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد ، ومن استذكر من سبقه من الشهداء والصادقين من المجاهدين والعلماء والدعاة العاملين وغيرهم من أنصار هذا الدين ، واستحضر قوافلهم الضاربة في أعماق التاريخ لم يشعر بالغبرة ولم يتضرر لقلّة الأنصار وكثرة المخالفين والمخذلين ..

ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد
يكفيك حاملاً ودعه فإن الشوق

وإما تخافنّ الكلال فقل لها :
الوصل فايغ المناهلا أمامك وردُّ

وخذ قبساً من نورهم ثم سر به
ليس المشاعلا فنورهم يهديك

وقل ساعدي يا نفس بالصبر ساعة
الكذ يصبح زائلا فعند اللقاء

فما هي إلا ساعة ثم تنقضي
فرحان جاذلا وبصبح ذو الأحزان

* أخيراً .. فالنجاة من هذه الفتن مع هذا كله لا تنال إلا بلزوم ما تركنا عليه رسولنا صلى الله عليه وسلم وعدم التفريط بشيء منه أو الانحراف يمناً أو يسرة عن الطريق التي خطها ورسمها لنا صلى الله عليه وسلم ..

وفي الأثر عن سعد بن أبي وقاص لما دُعي إلى الخروج في الفتنة قال : إن مثلي ومثلكم كمثل قوم كانوا في فلاة بينة طريقهم ، فتأثرت ريح عجاجة فالتبست عليهم الطريق ، فقال قوم : الطريق ذات اليمين ، فسلكوا فيها فتأهوا وضلوا ، وقال قوم : الطريق ذات الشمال ، فسلكوا فيها فتأهوا وضلوا . وقال آخرون : كنا على الجادة حين تأثرت الريح ؛ فلنثيت على ما كنا عليه حتى تذهب العجاجة ، فنيخ فأنأخوا ، فأصبحوا وقد ذهب الريح وتبينت الطريق .. فهؤلاء هم الذين يثبتون على ما تركهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبدلون أو يغيرون ، فلا تضرهم الفتن ما دامت السموات والأرض ، ولا يتضررون بالمخذلين ولا بالمخالفين ..

قال تعالى : ((**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**)) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً؛ كتاب الله) .

فالثبات الثبات يا أصحاب الطائفة القائمة بدين الله ، الثبات على ما ترككم عليه حبيبكم صلى الله عليه وسلم لا تفرطوا بشيء منه ولا تتضرروا بمن خالفكم أو خذلكم ، ولا تتركوا عن نصرته دينه لشيء من عذابات الطريق أو كيد الأعداء وأذى القريب منهم أو البعيد ، وحذار أن تستوعروا الطريق أو تبطنوا في المسير أو تتخلفوا عن الركب ..

فتلك حروب من يغب عن غمارها ليسلم يقرع بعدها سنّ نادم

وقل للذي قد غاب : يكفي عقوبة مغيبك عن ذا الشان لو كنت وأعيأ

وأدلج ، ولا تخش الظلام فإنه سيكفيك وجه الحبّ في الليل هاديا

وسقها بذكره مطاياك إنه سيكفي المطايا يا طيب ذكره حاديا

وأقدم فإما مُنيّة أو مَنِيّة تريحك من عيش به لست راضيا

قال تعالى : ((**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم * إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين)) .

* * *

ختاماً .. فإن نصره هذا الدين بالقيام به وإظهاره على
الدين كله من أعظم المقاصد التي بعث الله الرسل من
أجلها .. كما قال : **((هو الذي أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون))** .

فهنيئاً للثابت من أهل هذه الطائفة على هذا الأمر
العظيم ، هنيئاً لمن وفى بهذه البيعة ولم يبدل تبديلاً .. فما
هي إلا أيام ، وعند الصباح يحمد القوم السرى ..
**((قاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا
يوقنون))** .

جمادى الثاني 1425 هـ

الخاتمة

ليس من أراد الشر فأدركه كمن أراد الخير فأخطأه

ليعذرني إخواني على بعض شدتي في هذه الوقفات ،
فما هي والله إلا الحرقه على هذه الدعوة والغيرة على
هذا الجهاد وأهله ، والحرص على أن يكونوا بأهى صورة
وأحسن حال .. وأن يتجنبوا اجترار هذه الأخطاء وتكرار
تلکم التخبطات

فهي وقفات مستوحاة من تأملات لصورة كالحة
وتجارب فاشلة عايشت أهلها في فترات سحني المتكررة
؛ حرصت على أن أستخلص منها العبر والفوائد والتنبيهات
لأوصلها إلى الشباب المبتدئ على عتبات هذا الطريق ،
فالشدة فيها ليست هدفاً ومقصداً بل هي وسيلة للردع
والتنفير عن هذه الأغلاط الشنيعة والزلات المربعة ،
ومرارتها محمودة كمرارة الدواء الذي يتحمله المريض
ليسترد به عافيته ويدفع عن نفسه البلاء ...

وهي كتلك الشدة التي يحتاج المرء أن يجربها أحياناً
على يديه لينظفها مما علق بها من الأوساخ ...

فعاقبتها إن شاء الله محمودة وفائدتها بإذن الله
موجودة لا مفقودة ، وليعلم قارئ هذه الكلمات أن عين
من شدت عليهم في القول ها هنا نقداً ومُناصحة ؛ كنتُ
قد ناصرت أكثرهم في مواطن أخرى كانت تستدعي
النصرة لإخوة ظلموا وتجنى عليهم الطغاة بل وكثير من
المنتسبين للدين ... ولا تمنعني نهرتي لهم على من
ظلمهم ، من قول الحق في زلاتهم ومناصحتهم في
أخطائهم كي لا تتكرر أو يقع فيها غيرهم فلكل مقام مقال
، ولكل حادث حديث ..

ولا أشك بعد هذا طرفة عين أن أدنى من انتسب إلى
هذه الدعوة مهما كانت أخطاؤه وانحرافاتة ومهما كان
جهله وإسرافه ؛ بأنه إن خلصت نيته وصلحت سيريرته
وكان ممن ينشد الخير لهذه الدعوة والنصرة لهذا الدين
ويتحرق على ما إل إليه حاله وحال أهله ؛ لا أشك طرفة
عين بأنه خير وأعلى وأنقى مهما قلت خبرته وكبرت

وقفات مع
ثمرات الجهاد

عثرته ممن سعى لحرب الدين وأهله وبذل عمره في
نصرة أعدائه وشانئيه؛ فخبثت سريرته وفسدت نيته ...

ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ...

وأن الكافرين لا مولى لهم

أبو محمد المقدسي

منبر التوحيد والجهاد

* * *

tth
tth
tth
tth
tth

منبر التوحيد والجهاد

المحتويات

كلمة بين يدي الوقفات

- الوقفة الأولى : سوء فهم لحديث الصَّعب بن جَثَامَة
 - الوقفة الثانية : أعط القوس باريها
 - الوقفة الثالثة : وبقللكم في أعينهم
 - الوقفة الرابعة : (ولتستبين سبيل المجرمين)
 - الوقفة الخامسة : العشائرية ومنزلق الركون إليها
 - الوقفة السادسة : والله ما هَزَلْتُ فيستامها الْمُفْلِسُون
 - الوقفة السابعة : السجِن جَنَّات وِنَار
 - الوقفة الثامنة : " رفقا بالقوارير "
 - الوقفة التاسعة : (من لي بمثلِ مشيكِ المدلِّلِ * تمشي رويدا وتحني بالأوَّل)
 - الوقفة العاشرة : الحذر والكتمان بين الإفراط والتفريط
 - الوقفة الحادية عشر : مسألة القتال مع الأمير الفاجر بين الإفراط والتفريط
 - الوقفة الثانية عشر : بين قتال النكاية وقتال التمكين
 - الوقفة الثالثة عشر : (وتودون أنَّ غير ذات الشوكة تكون لكم)
 - الوقفة الرابعة عشر : الخطاب الإعلامي للدعوة والجهاد بين الإفراط والتفريط
 - الوقفة الخامسة عشر : عقود الدعوة (الفصاميون)
 - الوقفة السادسة عشر : بين الجائز والأصلح .. وبين المشروع والأنفع ..
 - الوقفة السابعة عشر : تقزيم الجهاد
 - الوقفة الثامنة عشر : " لا يضرهم من خالفهم "
- الختامية : ليس من أراد الشر فأدركه كمن أراد الخير فأخطاه

